الإزدهار الفكري

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية ويشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية

تحريف التاريخ والعقيدة

أثر تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي في المجتمع

صدى الفارابي في المغرب

المشكلة الثقافية في العالم الإسلامي
واقعها وعلاجها

العدد التاسع • السنة 18 • شوال 1397 - أكتوبر 1977 • ثمن العدد : 3 دراهم

العدد التاسع
السنة الثامنة عشرة
شوال 1397
أكتوبر 1977
ثمن العدد 3 دراهم

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية
(مديرية الشؤون الاسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالى :

مجلة « **دعوة الحق** » ـ مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 ـ الرباط ـ المغرب
الهاتف : 235،85 ـ 338،30

الاشتراك العادى عن سنة 30 درهما ، والشرفى 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدى 55 - 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

أو تبعث راسا فى حوالة بالعنوان اعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادى والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التى لم تنشر

فهرس

العدد التاسع - السنة 18

الصفحة

3 ـ الافتتاحية : الافقار الفكري ..... دعوة الحق
6 ـ الخطاب الملكي بمناسبة تنصيب الحكومة الجديدة
9 ـ الخطاب الملكي بمناسبة افتتاح البرلمان
12 ـ الرسالة الملكية الى الحجاج المغاربة
14 ـ وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية تستقبل وزيرها الجديد الدكتور احمد رمزي
16 ـ في الذكرى الثانية للمسيرة الخضراء

دراسات اسلامية :

20 ـ الرد القرآني (10) ..... للاستاذ عبد الله كنون
26 ـ شجاعة النبي (ص) ..... للواء الركن محمود شيت خطاب
32 ـ اثر تطبيق الاقتصاد الاسلامي ..... للدكتور علي عبد الواحد وافي
47 ـ اثر الرسالة النبوية في الحضارة الانسانية ..... للاستاذ بهاء الدين الاميري
54 ـ وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية ..... للاستاذ محمد العبدلاوي
59 ـ نظرية الاصلاح الاجتماعي ..... للاستاذ فاروق حمادة

دراسات مغربية :

68 ـ ملامح من تطور المغرب العربي (2) ..... للاستاذ محمد المتوني
86 ـ ابعاد الحضارة المغربية (2) ..... للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
92 ـ صدى الفارابي في المغرب ..... للدكتور عبد الهادي التازي
102 ـ نشأة المسرح المغربي ..... للاستاذ محمد العلمي حمدان
108 ـ القاضي عياض ..... للاستاذ عبد الله كنون

ابحاث ودراسات :

114 ـ تحريف التاريخ والعقيدة ..... للدكتور ابراهيم حركات
129 ـ سقوط الحصون ..... للاستاذ حسين احمد العلمي
134 ـ الشاعر احمد الصافي النجفي ..... للاستاذ محمد بن محمد العلمي
140 ـ القصيدة عند شعراء مدرسة ابولو ..... للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي
145 ـ ابجدية منظورة ..... للاستاذ عدنان الداعوق

مكتبة دعوة الحق :

148 ـ المشكلة الثقافية في العالم الاسلامي ..... للاستاذ زين العابدين الكتاني

ديوان المجلة :

154 ـ اريج مكة وعبير رياض ..... للشاعر الاستاذ عبد الله بلخير
159 ـ وفاء ..... للشاعر الاستاذ محمد الحلوي
161 ـ يا مبدعا هذا الوجود ..... للشاعر الاستاذ علال بن الهاشمي الفيلالي
162 ـ من لواعج الذكريات ..... للاستاذ الشاعر عبد الكريم التواتي
166 ـ واحر قلباه !! ..... للاستاذ الشاعر محمد بن محمد العلمي
168 ـ الوية العز والايمان والظفر ..... للاستاذ الشاعر ابو بكر البوخصيبي
170 ـ فردوس الصاعد ..... للشاعر الاستاذ محمد البوعناني

ـ من نشاط وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ..... دعوة الحق
ـ شهريات العالم الاسلامي ..... دعوة الحق
ـ شهريات الفكر والثقافة ..... دعوة الحق

أدام الله أعيادنا
في ظل عرشنا

بمناسبة عيد الأضحى المبارك والأعياد المجيدة،
التي تصادف الذكرى الثانية للمسيرة الخضراء المظفرة،
تتشرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وأسرة
تحرير مجلة "دعوة الحق" بأن تتقدم بأحر التهاني وأخلص
الأماني إلى سيد البلاد أمير المؤمنين وحامي حمى
الوطن والدين، جلالة الملك الحسن الثاني رمز عزتنا
وضامن وحدتنا ورائد نهضتنا، وإلى ولي عهده
المحبوب الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه السعيد الأمير
مولاي رشيد، وإلى كافة أفراد الأسرة المالكة الشريفة
سائلة الله جلت قدرته أن يحفظ مولانا الإمام
ويسدد خطاه ويعينه على تحقيق آمال شعبه الوفي
المومن في التقدم والازدهار والرخاء إنه سميع مجيب.

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

الإفقار الفكري

● الافقار الفكري مظهر من مظاهر الديكتاتورية السياسية وقهر ارادة الانسان وامتهان كرامته ، يورث المذلة والخنوع والاستكانة الى الواقع الفاسد ، ويشيع حالة من النوبان والانسلاخ من القيم والمبادىء والخصائص التي تشكل حجر الزاوية فى كيان الامم والشعوب ، ويضعف ملكة التفكير والابداع والاجتهاد ويحيل المجتمع بكامله الى قطيع حيواني لا يكاد يمت الى فصيلة الانسان بصلة . وهو نتيجة طبيعية للارهاب والقمع والتسلط والضغط والاساليب البوليسية فى التعامل مع اهل الفكر وذوي الراي وحملة الاقلام وممثلي الشعب من مناضلين وحزبيين ونقابيين وموجهين ودعاة الاصلاح . وكلما تفشى الاستبداد وطغى الانحراف والتنكر لقيم الحق والعدل والانصاف وشاع الاعراض عن المبادىء والمثل واتسعت الشقة بين القمة والقاعدة ووقع التخلي عن المواثيق والعهود ، كلما كان الامر ادعى الى الافقار الفكري واقرب الى احتقار الانسان الذي كرمه الله تعالى .

ان آفة الاستبداد السياسي وخضوع الشعب لفئة جائرة جاهلة باساليب الحكم ان يشل حركة الفكر ويوقف دورته المبدعة ويبطل تاثير العقل على الحياة ، مما يؤدي فى نهاية المطاف الى تحكم الجهل المركب وسيطرة الغرور والعناد والغباء وهيمنة روح الانتقام والتشفي والحقد والتمكين للمنهزمين والفاشلين من ذوي الطباع الشريرة والنوايا الخبيثة

والاغراض السيئة والانتماءات المشبوهة وبذلك يدخل المجتمع فى دورة استعمارية جديدة تستلب فيه شخصيته وذاتيته .

ولسنا فى حاجة الى سوق الامثلة للدلالة على صحة ما نذهب اليه ، وتكفينا الاشارة الى ما فاسته بعض البلاد العربية والاسلامية من ويلات وأزمات من جراء تنكبها طريق الشورى ، وتفريطها فى السيادة الوطنية بسبب ارتباطاتها بقوى دولية عرفت كيف تستغلها وتستنزفها بل وكادت أن تفرغ استقلالها من مضمونه الحقيقي لو لم تتدارك الامر قبل استفحاله.

وعلاقة انظمة الحكم واساليب السياسة ومذاهب الاقتصاد بالافقار الفكري أمر يرقى عن الشك ، ذلك أن الرشد السياسي والوعي السليم والطهارة الوطنيـة والولاء الخالص للاصالة فى مختلف مظاهرها واشكالها، كل ذلك يشكل وقاية حقيقية ضد الغزو والاستلاب والاقطاع المذهبي الذي يؤدي فى النهاية الى الافقار الفكري .

● ان الديكتاتورية فى التحليل النهائي ليست سوى صورة للافلاس والفراغ والتيه والافتقار الى القدرة على التوجيه والضبط والاحتكام الى العقل والمصلحة العامة وحاجة الانسان الى الحرية والاحساس بالكرامة والوجود المعنوي ، وعلى النقيض من ذلك نجد على رأس الانظمة السوية العادلة الممثلة لارادة الشعب قادة وزعماء يتصفون بقدر اعلى من الانضباط السلوكي والاتزان العقلي والثراء الفكري والقدرة على التصرف السليم تحت جميـــع الظروف .

فالقضية اذن مرتبطة بالسياسة ارتباطا وثيقا ، فان طفت السياسة وتجبرت ، هزل الفكر وضعف ، واذا افتقر الفكر (بالضغط والتخويـــف والارهاب ...) انعدمت كل الضمانات الممكنة لممارسة جميـــع وجـــوه النشاط الانساني فى جو من الثقة والاطمئنان والامان .

وهكذا فان جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله كان يزن الكلمات بميزان العقل والحكمة حينما قال ـ حفظـــه الله ورعـــاه ـ فى كلمته السامية بمناسبة افتتاح البرلمان المغربي :

« ان بلدنا بلد محب للسلام ، كان دائما داعية للســـلام وسيبقـــى دعامة للسلام لذا اريد منكم ان تنكبوا على مشاكل أمن بلدكم وطمانينتهـــا واطمئنانها ان تنكبوا عليها بامعان وادراك للمسؤولية ذلك ان عملنا اليوم ، وخطابي اليوم ، ووجودكم هنا اليوم يشكل استفزازا بل تحديا لمدرسة الديكتاتورية ولمدرسة الحزب الوحيد ولمدرسة الافقار الفكري حتـــى تتمكن بسهولة من السيطرة على الافكار وعلى الجماعات والافراد » .

● هذا الربط بين السلام والمسؤولية وبين الديكتاتورية والافقار الفكري له دلالته الخاصة ذلك ان العمالة فى السياسة مدخل للانحراف فى الفكر . واذا كانت مدرسة الحرية والشورى والتشاور وتعدد الآراء واغناثها تنزع الى السلام وتنحاز الى جانب العدل والقانون الدولي بدافع التقدير العميق للمسؤولية فان مدرسة الديكتاتورية والحزب الوحيـــد تحارب السلام وترفض التعاون من أجل مصلحة الشعـــوب وتتعامـــل بصورة أو باخرى مع الاستعمار والقوى الصهيونية المعادية للسلام العالمي .

وهذا مظهر آخر من مظاهر الافقار الفكري وهو العمالة للاستعمار والخروج عن الجماعة وايثار مصلحة الاجنبي على مصلحة الشقيق والجار ورفيق الكفاح المسلح في الامس القريب .

● وآذا كان المغرب يرفض رفضا واعيا ومتبصرا الحزب الوحيد ويناى بأجهزة الحكم والادارة وقنوات التاثير على الرأي العام عن الديكتاتورية في السياسة والاقتصاد والفكر ، وينهج سبيل الحرية والديمقراطية الاسلامية الحق ، فلانه يتطلع الى اثراء الفكر لا افقاره ، وتقويته لا أضعافه ، وتطويره لا تجميده . وهذه لعمري التقدمية الحق ، والشورى الحق ، والديمقراطية الحق .

● فلا محل ـ آذن ـ للارهاب الفكري في المغرب الجديد .

● ولا موضع للافقار الفكري في ظل العرش العلوي المجيد .

● فلتتفتح كل الزهور ..

● في اطار الاسلام والملكية الدستورية ..

دعوة الحق

في خطاب تنصيب الحكومة الجديدة ، جلالة الملك يعلن الخروج عن مؤامرة الصمت :

النصيحة واجبة وأنا لا أريد أن أنفرد برأي

● حرص جلالة الملك الحسن الثاني ـ نصره الله ـ في الكلمة التي زف فيها الى شعبه الوفي بشرى تكوين الحكومة الجديدة يوم 10 اكتوبر الماضي ـ على طرح قضية سياسية وفكرية من الاهمية بمكان ، ترتبط بحاضر المغرب ومستقبله أن شاء الله . ويتعلق الامر بالعلاقة بين السلطة الشرعية العليا في البلاد المتمثلة في جلالته حفظه الله ورعاه وبين المسؤولين الكبار المشاركين في الحكم وتسيير شؤون البلاد الى جانب جلالته الشريفة . تلك العلاقة التي أوصى الاسلام الحنيف بتقويتها وتزكيتها بالثقة والحب والتعاون والنصح الامين والفهم والادراك والوعي والاحساس العميق بالمسؤولية الوطنية والدينية المقدسة .
وطالب جلالة الملك أعزه الله باسقاط « مؤامرة الكتمان » والتحلي بالامانة والصدق في نقل حقائق الواقع وصور الحياة الى سدته العالية بالله باعتباره راعي الامة وضامن وحدتها .

وتعتبر اشارة جلالة الملك لهذه النقطة بالذات في خطاب تنصيب الحكومة الجديدة ايذانا بانطلاق المغرب الجديد على اساس التشاور والتناصح والتآلف والتعاون من اجل مصلحة الوطن والمواطنين وعزة الاسلام وكرامة العرش ●

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

انا اذ نزف الى شعبنا العزيز بشرى تكوين حكومتنا التي ستعمل بجانبنا مع البرلمان المنتخب، اننا ونحن نزف له هذه البشرى نريد ان نؤكد للشعب المغربي اولا ولاصدقاء واشقاء المغرب ثانيا ان بلدنا ووطننا قد قرر ان يخطو خطوات جديدة ليصبح كفيلا بحمل لقبه وصفته الجديدة الا وهو « المغرب الجديد»

ان حكومتنا عليها ان تسن سننا حميدة طيبة في تعاملها مع السلطة التشريعية علما منا بان مبادىء القانون تنقسم الى قسمين : القانون المكتوب وقانون العادة .

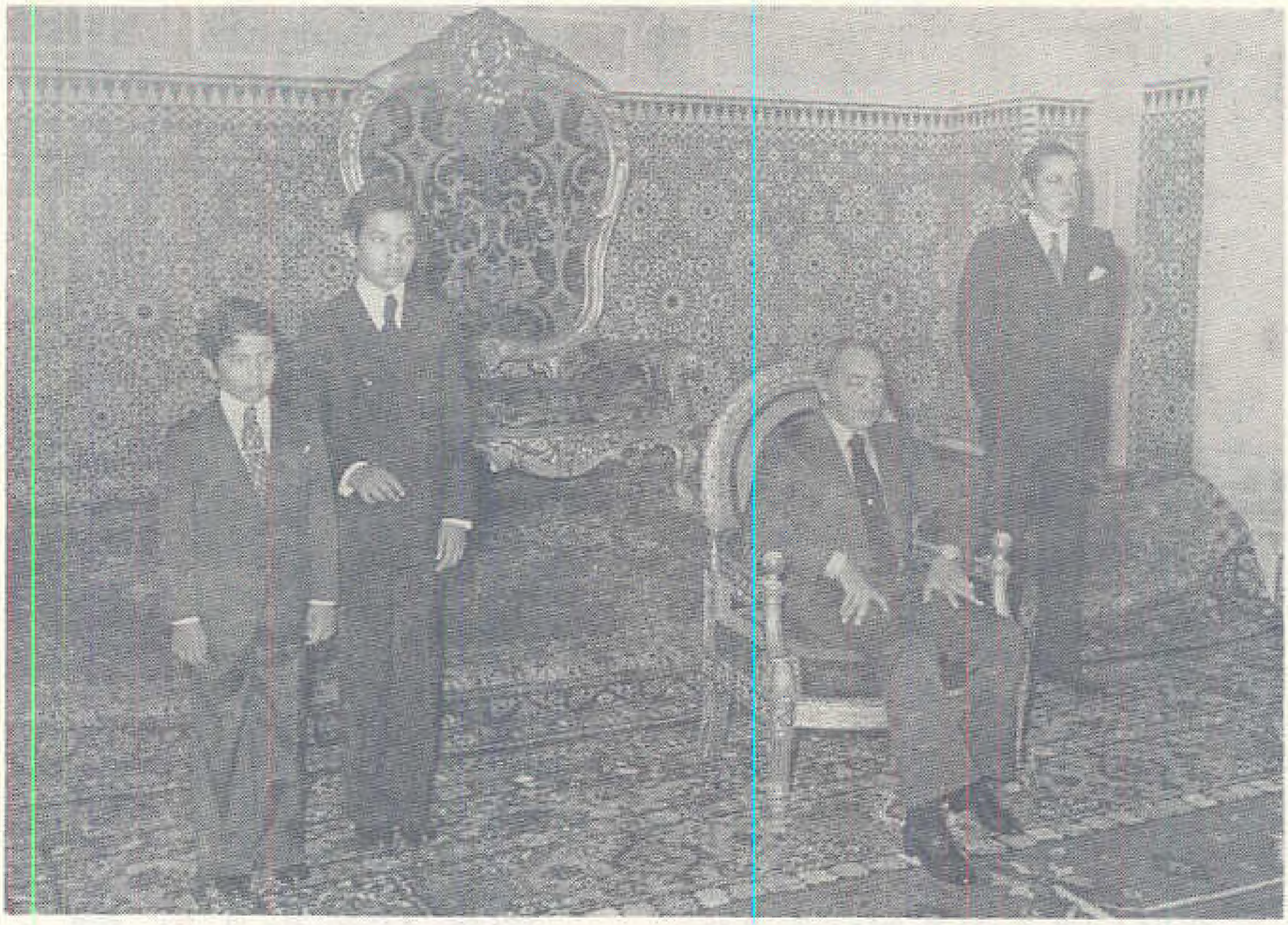

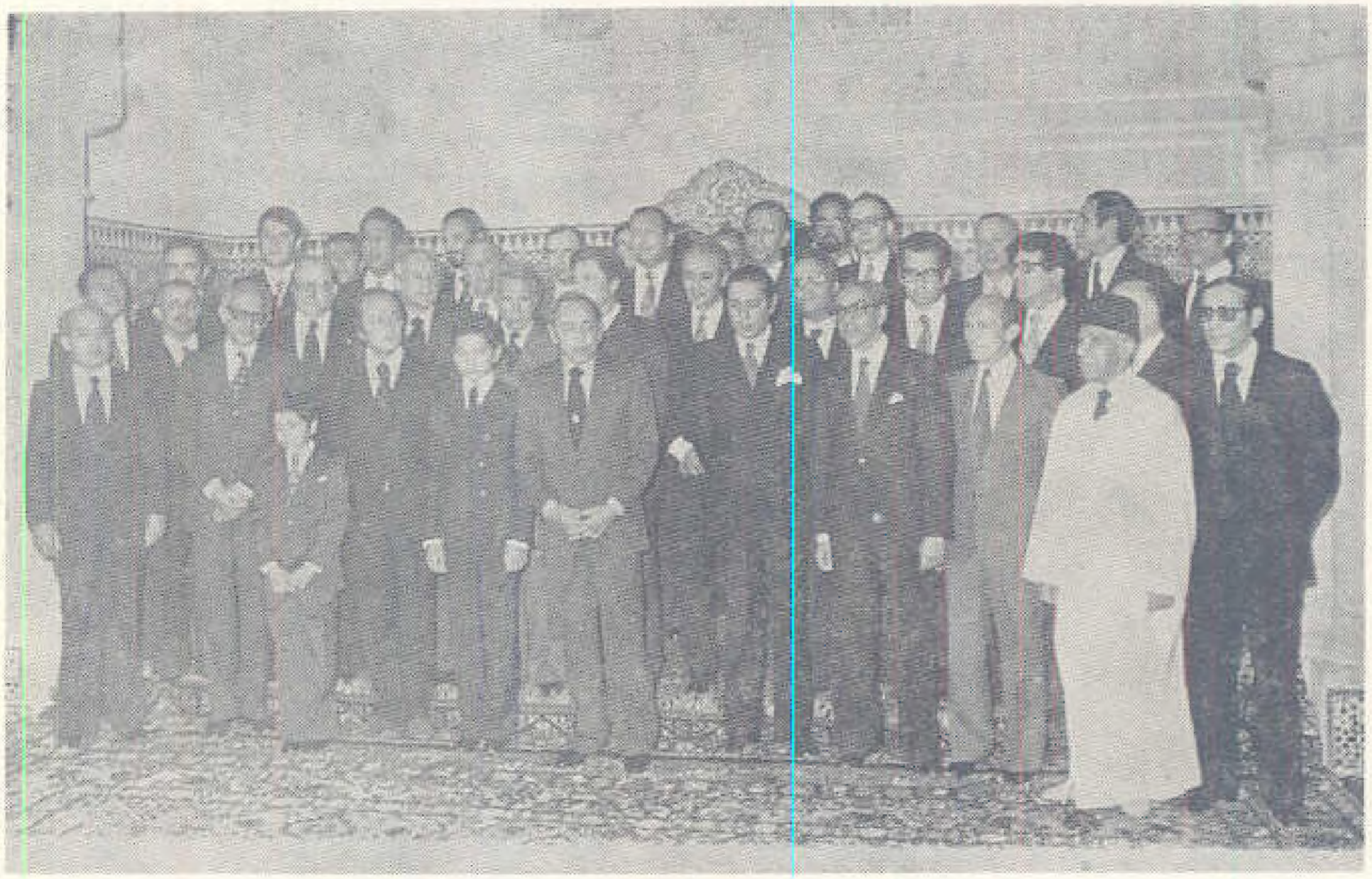

وكلاهما يصبح جاري المفعول بعد ممارسة طويلة او غير قصيرة لذا اريد ان يتحلى وزراؤنا كلهم بحزم من جهة وبالين وحسن المعاملة من جهة اخرى .

عليهم ان يعلموا انهم يمثلون تيارات مختلفة واحزابا مختلفة وكل حزب وكل تيار له برنامجه المفضل والمجمل ، وعمل الحكومة ليس ابراز الخلاف الموجود بين برنامج فلان وفلان بل العمل المستمر على ايجاد القناطر بين النقط الايجابية التي عليها ان تربط بين برنامج فلان وفلان . واذا وقع الانسجام داخل الحكومة مما لا شك فيه ان ذلك الانسجام سينعكس على البرلمان . وان برلمان سنة 1977 سيكون ان شاء الله برلمانا حيا ، يستجيب الى ما ننتظره منه الى عمل بناء من الناحية القانونية والتشريعية .

واذا اضفنا الى هذا ان جل وزرائنا هم منتخبون . ان منهم من يمثل القرية او البلدية او يمثل الصعيد الوطني امكننا ان نقول اننا جمعنا حولنا اكثر ما يمكن من العيون التي ستحمل الينا ما رات ، ومن الاذان التي ستحمل الينا ما سمعت ومن الافكار التي ستوحي الينا بالعمل تبعا لاجتهادها ومقدرتها على التفكير وعلى الاسهام بجانبنا في حكومتنا .

وللعمل معنا كذلك ولاعانتنا في ديوانا الملكي قررنا ان نسترجع اربعة من خدامنا المخلصين الذين مروا من مناصب مهمة جدا والذين عملوا بجانبنا باستمرار منذ ان اراد الله سبحانه وتعالى ان يحملنا هذه المسؤولية .

ولي اليقين شخصيا ان الوزير الاول الذي اظهر في تشكيل لائحته الوزارية قبل ان يعرضها على نظرنا السامي الذي اظهر المرونة واللياقة وجميع الخصال التي ننتظرها من رجل سيكون هو المنسق للادارة وللوزراء ان ما اظهره وزيرنا الاول يجعلنا نستبشر بالخير وننتظر من جموعه ان تكون مجموعة كالتي سبقتها حية مطيعة للواجب مجيبة لما ينتظر منها فاننا اذ نعين الحكومة وعلى راسها السيد احمد عصمان نؤكد لهذا الخدام لبلده ولوطنه ما يتمتع به لدينا من ثقة ومن تقدير وازيد من صداقة ومحبة شخصية .

اسال الله سبحانه وتعالى ان يلهمنا جميعا سواء السبيل واعلموا اخيرا وفقكم الله ان اوجب الواجبات عليكم قبل كل شيء هو واجب النصيحة فانا لا اريد ان انفرد براي ولا ان اسير الامور على حسب ما ارتاته ولكن اريد ان اسير شؤون البلاد ببعد النظر الدقيق وبعد التخطيط وبعد التحليل .

ولا يتاتى ذلك الا اذا كنت على يقين انني ساجد فيكم فرادى وجماعات من تكون له الشجاعة الكافية للادلاء برايه واعطاء نظره وان ما اجتاح المغرب من مشاكل طوال القرون التي عاشها في التاريخ المجيد يرجع الى شيء واحد الا وهو ما اسميه « بمؤامرة الصمت او مؤامرة الكتمان » اذا راينا كلما مر المغرب بمصيبة او مشكلة في تاريخه كان ذلك يرجع الى شيء واحد الا وهو ان الدائرة والبطانة التي كانت تحيط بملك المغرب كانت تخفي عليه اما الكل او البعض فهذا ما اسميه مؤامرة الكتمان .

فالله اسال ان يعطيكم الحداقة واللياقة والنظر الثاقب والتحليل المصيب حتى يمكنكم جميعا ان تقوموا بعملكم بكيفية تشرف اول خادم لبلده عبد ربه الحسن وتشرفكم كاشخاص وتشرف الاسر التي تنتمون اليها .

انه سميع مجيب والسلام عليكم ورحمة الله .

تحت شعار الآية الكريمة (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) افتتح جلالة الملك البرلمان:

بالشورى وتعدد الآراء، نتحدّى مدرسة الديكتاتورية

● استهل امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني ايده الله خطابه السامي بمناسبة تدشين البرلمان الجديد في فاتح ذي القعدة ـ 14 اكتوبر الماضي بالآية القرآنية الكريمة : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا .. » مشيرا ـ حفظه الله ـ الى انه لم يجد احسن من هذه الآيـــة لافتتـــاح البرلمان . وبنى جلالته خطابه الهام على اساس شرح الآية القرآنية رابطا بينها وبين مسؤولية المنتخبين في البرلمان ودورهم القيادي في النهوض بالبلاد ومقارنا بين الوضع عندنا حيث الاستقرار والحريـــة والشورى والديمقراطية الاصيلة وبين الاوضاع في العالم المعاصر القائمة على اساس الفوضى السياسية والاضطراب الاقتصادي والتخلف الاجتماعي واتباع الاهواء والنزوات والميل ذات اليمين وذات اليسار على حساب الشعوب المغلوبة على امرهـــا .

وقال جلالة الملك في هذا الخطاب بالخصوص ان الفكر والتفكير يجب أن يكون في اطار الاسلام والسنة النبوية . وبهذه العبارة الجامعة ختم جلالة العاهل خطابه التاريخي الذي يسجل الدخول في طور جديد من أطوار معركة البناء والتشييد والتمكين للمؤسسات الديمقراطية ●

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة المنتخبين

اصحاب السعادة رؤساء الجمعيات التمثيليـــة للدول الصديقة والشقيقة

انه ليوم سعيد هذا الذي نعيشه اذ يلتقي مع رغبة من اشد رغباتنا ويحقق خطوة من أعز خطواتنا ، لقد فكرت كثيرا في موضوع الخطاب الذي افتتح به دورة هذا البرلمان فلم اجد احسن من آية قرآنيـــة اكررها كثيرا على مسامع شعبي العزيز وهي كما يقول الله سبحانه وتعالى « وكذلك جعلناكم امة وسطا ».

فالله سبحانه وتعالى بعدما خلق البرية ابى بكرمه الا ان يهذب ويربي البشرية ، فعلى يد انبيائه ورسلـــه وكتبه رباها وهذبها حتى سار بها الى المستوى الذي وصلت اليه ، وكلما زادت البشرية في عمرها حقبا بعد حقب وقرونا بعد قرون الا والتهذيب الربانـــي

يصبح ادق وأصلح للمجتمع وللتعايش فيه وهكـــذا حينما ختم رسالاته سبحانه وتعالى برسالة النبـــي صلى الله عليه وسلم وحينما جعل تلك الرسالة عامة أراد ان يهذب البشرية بهذه الجملة وهذه الايـــة : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » .

وكم نحن في حاجة الى هذا التعليم القرآنـــي في القرن الذي نعيش فيه ، فالانسانية اصبحـــت حمقاء في اقتصادها في تجارتهـــا في تعاملهـــا في انظمتها ، لقد سيطرت على البعض الجهالة الجهلاء وسيطرت على البعض الثروة العمياء وسيطرت على الطرف الثالث الحماقة الحمقاء واخيرا سيطر على الطرف الرابع الاستهتار بالمقدسات والاخـــلاق ،، فالامة الوسط هي التي تعرف كيف توفق بين الدول النامية وبين الدول التي هي في طريق النمـــو في المؤتمرات الاقتصادية فيما يخص التبادل التجاري والطاقة والمواد الاولية ، الامة الوسط هي التـــي تعرف كيف يمكنها ان تجعل نظاما محترما محكمـــا يتعايش مع حريات خاصة وعامة ، الامة الوسط هي الامة التي تعرف كيف توفق بين طاقاتها وامكاناتهـــا وبين مطامحها وامالها .

« وكذلك جعلناكم امة وسطا »

لا افراط ولا تفريط ، وكيف يمكـــن ان نصل الى هذه الامة الوسط ؟ نصل اليهـــا بالتشـــاور او بتعريف جديد بالديموقراطية ، فالتشاور هو بنفسه يقتضي ان يكون امة وسطا حتى لا يطغى احد مـــن السلطتين التنفيذية والتشريعيـــة ، وحتـــى فـــي مشاورآتنا علينا ان نكون امة وسطا .

لي اليقين أن الجل منكم وعد منتخبيه وعودا ووعودا انه سينجز وسينجز وسينجز ، وكم اكـــون فخورا ان ينجز كل منتخب كيفما كانت نوعيته وكيفما كـــان حزبـــه .

وكم أكون فخورا ان ينجز كل منتخب ما وعد به ولكن حتى في هذا الميدان علينا ان نكون امـــة وسطا ففي عدتنا ما هو جدير بالاسبقية وما يمكـــن تأجيله وتأخيره لقلة الوسائل او لقلة الاطر .

امة وسطا معناها انه مكتوب عليكم ايها المنتخبون قبل كل شيء وقبل احصاء الحاجيات ، ان تكونـــوا على معرفة تامة بالامكانات ، ولما تكونوا على معرفـــة تامة بالامكانات يمكنكم اذاك ان تنتقوا من الضروريات ومن الحاجات ما هو جدير بالاسبقية ، وهذه الخصال من خصال الامة الوسط .

حضـــرات الســـادة

عليكم ان تعلموا كذلك ان العالم كلما اتســـع اتسعت افاقه امامنا بالوسائل السمعية والمرئية او بالوسائل السلكية واللاسلكية او بوسائل النقل .

ان العالم كلما اتسع كلما صغر في الحقيقة ، فلذا حينما تتطرقون الى موضوع من المواضيـــع اياكم ان تعتقدوا انه موجود الآن موضوع داخلـــي صرف ، انه لا يوجد موضوع داخلي صرف اليـــوم لدولة تريد ان تسير مسيرتها مثل المغرب ، لدولة جعلها الله على باب من ابواب بحار ، مثل المغرب ، كدولة جاءت في مفترق الطرق بين أوربا وبين المغرب العربي وبين افريقيا .

فعليكم اذن ان تعتقدوا وتعلموا وتومنوا بان كل تشريع شرعتموه وكل تخطيط خططتموه الا ولـــه ، مساس كبير او صغير ، وصلة قريبة او بعيـــدة ، بالميادين الخارجية ، وانا متيقن ان هذا يزيدكـــم تقديرا للواجب الملقى على عاتقكم وللامانة التي كلفتم بها من لدن منتخبيكم .

حضـــرات الســـادة

ان بلدنا بلد محب للسلام ، كان دائما داعيـــة للسلام وسيبقى دعامة للسلام ، لذا اريد منكـــم ان تنكبوا على مشاكل امن بلدكم وطمانينتها واطمئنانها ، ان تنكبوا عليها بامعان وادراك للمسؤولية ذلـــك ان عملنا اليوم ، وخطابي اليوم ، وجودكم هنا اليـــوم يشكل استفزازا بل تحديا لمدرسة الديكتاتوريـــة ولمدرسة الحزب الوحيد ولمدرسة الافقار الفكري حتى تتمكن بسهولة من السيطرة على الافكـــار وعلى الجماعـــات والافـــراد .

ان بلدنا الذي هو معرض الى ما هو معرض اليه منذ القدم ، لان الله سبحانه وتعالى جعله من اعز بلاد المخلوق على الارض وكثر الله حسادنا وكمـــا قال النبي صلى الله عليه وسلم فبلدنا بعمله هـــذا زاد

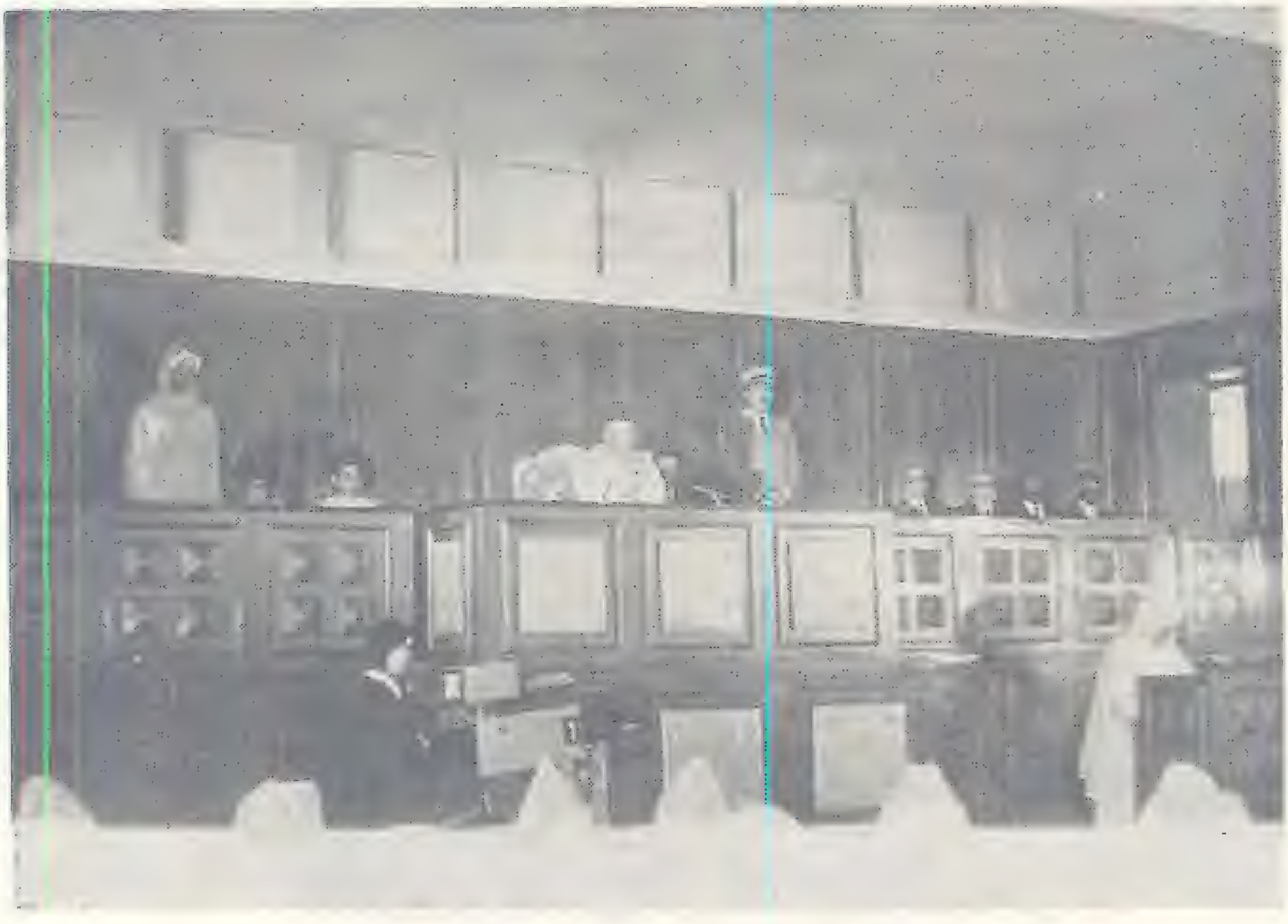

سببا من أسباب الاستفزاز ، ومن أسباب التحدي ، ولكن ما أشرف هذا التحدي ومـــا أشرف هـــذا الاستفزاز ، فأنا اريد ان أتحدى الناس بالحريـات ، اريد ان أتحدى الناس بالمشاورة مع المنتخبيـــن ، اريد أن أتحدى الناس بتعدد الاحزاب والهيئـــات والآراء ، لان تحديات مثل هذه هـــي التحديـــات التاريخية الاصيلة الملصقة بتاريخ المغرب ، ماضيه، حاضره ومستقبله ان شاء الله .

انني وانا باسم الله الرحمن الرحيم اعلن افتتاح هذه الدورة أرجو منه سبحانه وتعالى ان يجعلها مليئة بالخير كفيلة بتحقيق كل ما علقـه عليكـــم ملككـــم ومنتخبوكم ، ان يجعل من أعمالكم اعمالا مباركة حتى تكونوا أديتم كفادتكم وكأبنائكم من بعدكـــم ، أديتـــم واجبكم نحو هذا البلد ولا أعتقد اني في حاجة الى ان أؤكد لكم لان احساساتكم كاحساساتي لهذا البلـــد الذي يستحق كل تضحية وكل تقدير .

جعله الله سبحانه بلدا آمنا تهوى اليه قلوب الناس من مشارق الارض ومغاربها حتى يصبح جنة خضراء لكل من أراد ان يستظل بظل الحرية المقنونة، بظل القانون الحر ، بظل الفكر والتفكير في اطـــار الاسلام والسنة النبوية .

والسلام عليكم ورحمة الله

يقيننا قوي في وجوب الاحتكام إلى الإسلام لحل النزاع وبناء عالم إنساني.

● وجه امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله رسالة سامية الى حجاجنا الميامين قراها على الفوج الاول منهم السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور أحمد رمزي بمناسبة مغادرته التراب الوطني يوم الاحد 23 اكتوبر .

وقد تضمنت الرسالة المولوية الكريمة عدة توجيهات سديدة الى حجاج المملكة الذين يعتبرون بحق سفراء لبلادهم في تلك البقاع المقدسة التي يجتمع على صعيدها الطاهر المسلمون من كل بقاع العالم .

وفيما يلي النص الكامل للرسالة الملكية :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حجاجنا الميامين

قال الله تعالى في كتابه العزيز ، مخاطبا عز وجل نبيه وخليله سيدنا ابراهيم عليه السلام :

« واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات »

لقد جرت العادة ومضت سنة آبائنا وأجدادنا ان نخاطب حجاجنا الميامين ، في مثل هذه الايام من كل سنة ، مستهدفين تبيان جوهر هذه الفريضة المباركة ، وقاصدين توضيح المهمة الجليلة التي تنتظر الحجاج المغاربة في تلك البقاع المقدسة ، بين اخوان لهم ، اختلفت السنتهم والوانهم ، وتعددت جنسياتهم وانسابهم ، واجتمعت كلمتهم على التوحيد والتسليم لله سبحانه وتعالى ، والاستسلام لدينه الذي ارتضاه للناس كافة .

وان من أجل الاهداف الكونية التي جاء الاسلام من أجل تحقيقها بين شعوب الارض وأممها الدعوة الى

السلام والتآلف والمحبة ، ونبذ الاحقاد والحزازات ، وطرح الخلافات ، وتجاوز كل ما من شأنه أن يفسد العلاقات بين بني البشر . ولا تزال هذه القضية من اهم القضايا التي تشغل بال العالم المعاصر ، وتستأثر باهتمام انسان اليوم ، ولا يزال يقيننا قويا في وجوب الاحتكام الى الاسلام ، لحل النزاعات واقامة العلاقات وبناء عالم انساني ، تسوده روح الوئام والالتئام ، والمحبة والسلام .

ولعل فريضة الحج اهم مظهر من مظاهر السلام العالمي الذي ينشده الاسلام ويحث عليه ويرغب فيه، فانتم ـ حجاجنا الميامين ـ مقدمون على اداء شعيرة من اعظم الشعائر ، لا ينحصر مدلولها في النطاق الذاتي والمدلول الروحي والعبادي ، بل يتعداه الى مجال أوسع وأرحب باعتبارها تدريبا على السلام ، واقراء به ودعوة ملحة الى انتهاج سبيله ، وسلوك محجته .

واذا كانت الشعوب الاسلامية قد ابتليت بداء الانقسام والتجزئة والتشتت ، فان هذا استثناء وليس قاعدة ، لان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم، جاء موحدا وداعيا الى التآخي والتعاضد ، ولم يأت مفرقا ولا ممزقا للشمل ، فعلى المسلمين ان يأخذوا من دينهم ما يصلح حياتهم ومعاشهم ، ويقتبسوا من مشكاة النبوة الطاهرة اقباسا يسيرون على هديها في حاضرهم ومستقبلهم .

حجاجنا الميامين :

لقد من الله سبحانه وتعالى علينا بنعمة الوحدة وجمع الشمل ، وأكرمنا ـ جل جلاله ـ بالحرية والعزة والكرامة ، وهيأ لنا من اسباب الفوز والنصر والتمكين ما استطعنا به أن نرفع رؤوسنا في المحافل الدولية ، فحق علينا أن نحمده حمدا موصولا ، ونضرع اليه في كل وقت وحين أن يديم علينا نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، ويناى بنا عن مزالق الردى، فاحرصوا وفقكم الله على ان تستكثروا من الدعاء الصالح في ذلك المقام الرباني الذي تتشوق لرؤيته النفوس المؤمنة ، وانقلوا عنا لاخوانكم هناك الصورة المثلى لبلادكم التي دخلت ـ بفضل الله تعالى ـ مرحلة جديدة من البناء والنمو والانطلاق والاخذ باوثق اسباب الشورى والديموقراطية الاسلامية الميراة من شوائب الهوى والتيهية ، والقائمة على اساس يرضي الله ورسوله والمؤمنين .

عليكم أن تكونوا سفراء لبلادكم في تلك البقاع المقدسة ، تبسطون لاخوانكم في الدين الحقائق وتعلمونهم على الانتصارات المتعاقبة ، التي تحققت في شتى المجالات .

حجاجنا الميامين :

هنيئا لكم بما هديتم اليه من قصد نبيل ، ووفقتم اليه من سعي جميل ، والله المسؤول ان يصلح احوالكم ، ويكتب السلامة لكم في ضعنكم واقامتكم ، وفي متنقلكم ومثواكم ، ويعيدكم بمنه وكرمه الى اهليكم ووطنكم ، وقد تحققت لكم الغايات وحصلت المقاصد والرغبات ، وفزتم بالاجر الجزيل والثواب العميم ، آمين .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد ان هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، انك انت الوهاب »

« ربنا انا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الابرار ، ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك ، ولا تخزنا يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد » .

صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله .

وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية تستقبل وزيرها الجديد

الدكتور أحمد رمزي

عين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله الدكتور السيد أحمد رمزي وزيرا للاوقاف والشؤون الاسلامية في التشكيلة الحكومية الجديدة خلفا للسيد الداي ولد سيدي بابا الذي تقلد هذا المنصب نحو ثلاث سنوات ونصف السنة الى جانب السيد حسن لوقاش كاتب الدولة في الاوقاف والشؤون الاسلامية سابقا .

وقد اقيم حفل بقاعة المحاضرات بالوزارة سلم خلاله الوزير السابق السلطات الى الدكتور احمد رمزي الذي القى كلمة قيمة عبر فيها عن اعتزازه

بالثقة الغالية التي وضعها في شخصه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله . وتحدث عن دور الوزارة في نشر الوعي الاسلامي وصيانة اوقاف المسلمين وتكوين اجيال مؤمنة باسلامها وتراثها .

الدكتور أحمد رمزي :

— من مواليد الدار البيضاء سنة 1939 .

— تابع دراسته الابتدائية والثانوية بنفس المدينة؛ والتحق بكلية الطب بمدينة مونبلييه بفرنسا ؛ حيث نال شهادة الدكتوراة في الجراحة العامة.

— من 1963 الى 1967 ، تقلد منصب مدير مستشفى بمراكش .

— من 1969 الى 1972 شغل منصب الطبيب الرئيسي لعمالة اكادير .

كما القى السيد الداي ولد سيدي بابا بالمناسبة كلمة قدم فيها السيد الوزير منوها بخصاله وتكوينه العلمي والثقافي الواسع واخلاصه للعرش العلوي المجيد .

— من 25 ابريل 1974 الى 14 مارس 1975 تولى وزارة الصحة .

— من 28 ابريل 1975 الى 16 دجنبر 1976 ؛ عمل سفيرا لصاحب الجلالة بالعراق .

— يجمع بين الدراسات التخصصية العليا في الجراحة العامة ؛ وبين الثقافة العربية الاسلامية المعمقة .

— عضو في البرلمان عن مدينة اكادير .

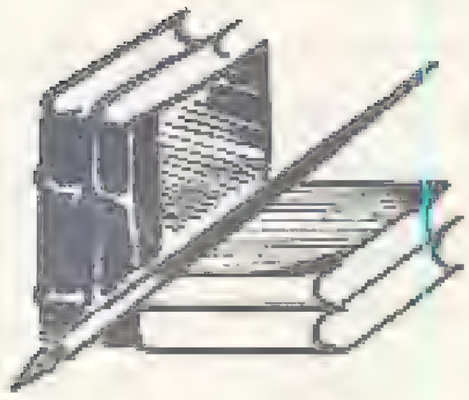

في الذكرى الثانية للمسيرة الخضراء :

● لو لم تكن المسيرة لما تحررت الصحراء . ولو لم تكن منطلقات المسيرة اسلامية في الجوهر والصميم لما كانت لتنجح هذا النجاح الباهر ، لان هذه الجماهير المحتشدة المندفعة الزاحفة بلا مقابل مادي او مردود مضمون لم تتحرك بشعار غير شعار الاسلام ، ولم تستجب لنداء سوى نداء القرءآن ولم تكن لتخرج من بيوتها لو لم يكن صاحب القرار جلالـــة الملك الحسن الثاني ...

● عاملان اساسيان دفعا بالمسيرة الى الامام واوقدا في صفوفها شعلة الحماس والايمان والتحفز والاستعداد لمواجهة اسوأ الاحتمالات ..

● العامل الاول الاسلام ، لانه اساس الكيان المغربي وهو عقيدة وتراث وحضارة هذا الشعـــب .

● العامل الثاني العرش . وهو نظام الحكم في المغرب الذي لم يعرف نظاما للحكم غير العرش . وهو نظام لم يفرض فرضا على هذا الشعب : لم يفرضه مغامر طائش بدبابة او مدفع رشاش في جنح الليل ... ولكنـــه خاصية من خصائص شعبنا ووطننا .. وبقدر ما تلتفت حوالينـــا عبـــر الحدود فتفزعنا حمامات الدم وحملات الارهاب واساليـــب قهـــر ارادة الانسان بقدر ما نزداد ايمانا ويقينا ووثوقا بهذا العرش الرائد القائد ... وبقدر ما ترتفع الاصوات في دول شقيقة ابتليت بالازمات السياسية تدعو للانتقال مما يسمى بالشرعية الثورية الى الشرعية الدستورية ... بقدر ما نحمد ربنا ان هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الى هـــذه الشرعية الدستورية منذ الفاتح الاكبر رضي الله عنه ...

● هذه روح المسيرة ... تسري في كيان المغرب ... ورسالة الفكر المغربي ان ينهض بعبء التبشير بمبادىء المسيـــرة واخلاقهـــا وايجابياتها وفضائلها ... وهي مبادىء السلام والمحبـــة والتكافـــل الاجتماعي والتعاضد والتآخي .. وهي مبادىء كما نرى تتعارض على طول الخط مع مذاهب الحقد والكراهية والدمار الاجتماعي ...

● فلتكن رسالة « دعوة الحق » ـ آذن ـ مستلهمة من روح المسيرة .. بل لتكن هذه المجلة مسيرة فكرية مستمرة نحو الحق والصدق والعقل .

عبد القادر الادريسي

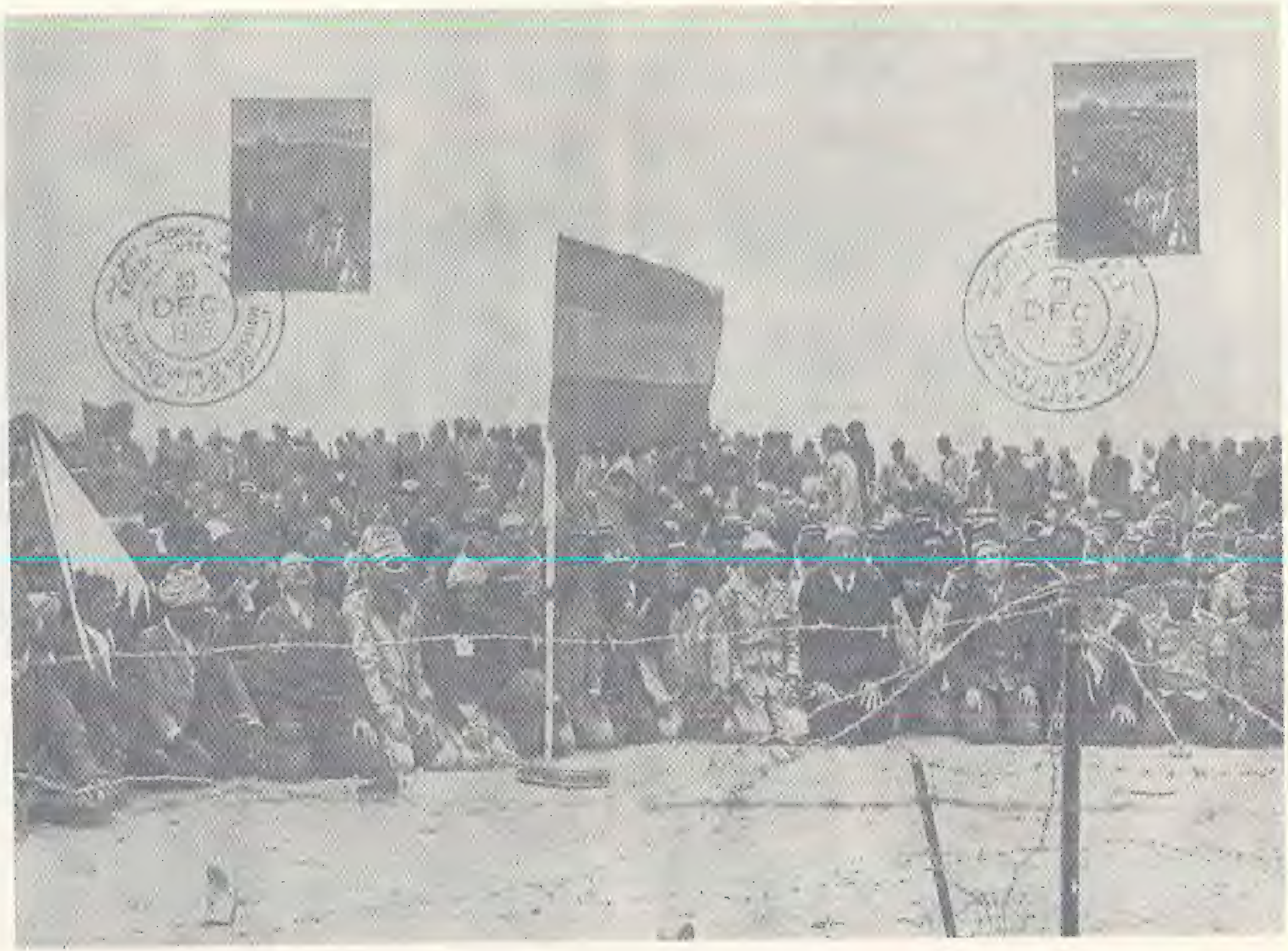

دراسات اسلامية

- الرد القرآني على كتيب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟
- شجاعة النبي (ص)
- أثر تطبيق الاقتصاد الاسلامي فى المجتمع
- أثر الرسالة النبوية فى الحضارة الانسانية
- وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية فى كل زمان ومكان
- نظرية الاصلاح الاجتماعي عند تاج الدين السبكي

الرّدّ القرآني

على كتيب : هل يُمكن الاعتقاد بالقرآن ؟

للأستاذ عبد الله كنون

عيد المولد :

بعد عيد الاضحى تعرض الكاتب للمولد النبوي الشريف ، فقال : « يحتفل المسلمون بعيد المولد في الشهر القمري ، ربيع الاول ، وهو عيد يتدرج في التاريخ التعصبي لميلاد النبي محمد ، وكان تحديده على سبيل التحكم ، في وقت متأخر جدا عن الحوادث التي بني عليها . واحتفل به قديما في اول يوم اثنين من ربيع الاول » وعلى هذه الفقرات عدة مآخذ ، اولها انه يجعل هذا العيد متدرجا في التاريخ التعصبي لميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ذلك انه لا اساس له ، لان المولد النبوي من اصله لا يثبت تاريخيا ، وانما هو من جملة القصص التي تحكى ويتحدث بها وليس لها حقيقة ولا وجود في الواقع . وقصده هو نفي وجوده صلى الله عليه وسلم بالمرة وبالاحرى انكار مولده الشريف كما سيصرح بذلك فيما ياتي له . وثانيها قوله أن تحديد تاريخ المولد كان على سبيل التحكم بناء على تاخره عن الاحداث التي صاحبت المولد ، هو مغالطة مفضوحة ، لان الذي تاخر هو الاحتفال بالمولد لا تحديد تاريخه ، والا فان تاريخ ميلاده عليه الصلاة والسلام عام الفيل ، وفي شهر ربيع الاول منه ، لا يختلف فيه اثنان ؟ فاي تحكم في هذا الامر الذي هو اجماع لا خلاف عليه ؟ والمؤلف راى كلام الناس في ان عيد المولد والاحتفال به ، انما احدث في القرون المتاخرة ، فحوله الى تاريخ المولد نفسه ، مغالطة منه للقارىء . واستغلالا له في تاييد زعمه ان المولد الشريف انما هو نوع من التاريخ القصصي للنبي صلى الله عليه وسلم . وثالثها دعواه انه احتفل بالمولد قديما في أول يوم اثنين من ربيع الاول هي مناقضة لما قاله قبل من انه انما وقع تحديد تاريخه في وقت متاخر ، فاذا كان قد احتفل به قديما ، فقد بطل انه لم يحدد تاريخه الا مؤخرا ، ثم قوله ان ذلك كان في أول يوم اثنين من ربيع الاول ، هو مما يدل على سوء فهمه للنصوص التاريخية ، فقد قرا ان ولادته صلى الله عليه وسلم كانت يوم الاثنين ليلة الثاني عشر من ربيع الاول على المشهور ، فجعلها يوم اول اثنين من الشهر المذكور ، وهكذا كلام هذا الكاتب ، اما تحريف عن قصد وسوء نية ، واما عدم فهم وقلة ادراك .

ثم تابع كلامه بقوله : « ان الوعاظ المسلمين ينظمون الصلوات في ايام مختلفة من هذا الشهر احتفالا بمولد الرسول ، وبعض العلماء يزورون المومنين في بيوتهم ويقومون بالصلاة التي تصحبها احتفالات وافراح ، تكلف المومنين نفقات واسرافا غير معقول ، وفوق ذلك فان صاحب الدار يدفع للعالم مبلغا كبيرا من المال ، كما يدفع مبالغ اخرى لمن حضر الاحتفال من المدعوين ، وهؤلاء بدورهم يدفعون للعالم مما اخذوه من صاحب الدار . الامر الذي يخلق عجزا في ميزانية رب البيت ولربما اتى على مصروفه الشهري بكامله ، فتبقى عائلته في ضائقة لا تجد ما تسد به حاجتها . ولا يخفى ما في هذا التبذير والنفقات المرهقة من التاثير على

العمل ونتيجته ، وبذلك تكون هذه الاحتفالات والاعياد الدينية عملا مضادا لبناء الشيوعية » .

ان هذا الكلام على طوله فارغ فراغ عقل كاتبه من اي مضمون يستحق الاهتمام ؛ ومع ذلك فعلينا ان نتتبعه لابطاله جملة جملة ، لانه وهو دعاية سخيفة للشيوعية ، ربما يجد من بسطاء العقول من يتقبله بدون تفكير ولا تأمل .

فقوله ان الوعاظ المسلمين ينظمون الصلوات فى شهر المولد ، ان كان يريد به الصلاة المعروفة فى الاسلام ، فهو كذب مردود عليه ، لانه ليس هناك صلاة مخصوصة بهذا الشهر ولا غيره ، هذا صلوات التراويح فى رمضان ، وباقى الشهور الصلوات فيها واحدة ، فريضة كانت او نفلا . وان كان يريد به الصلاة بمعنى الدعاء ، وهى la prière بالمفهوم الاجنبى فانه كذلك امر مستبعد هنا ، لان ما يقع فى الاحتفال بالمولد هو دراسة سيرته صلى الله عليه وسلم وقراءة قصة المولد ، وهى غير الدعاء ، ومثل هذا يقال فيما نسبه للعلماء الذين يزورون بيوت المؤمنين من قيامهم بالصلاة فى احتفالات المولد .

اما ما زعمه من ان هذه الاحتفالات تكلف المؤمنين نفقات باهضة تأتى على ميزانيتهم الشهرية ، وانهم يعطون للعالم مبلغا كبيرا من المال ، وكذلك للمشاركين فى الاحتفال الذين يعطون بدورهم ما استفادوه من صاحب البيت للعالم الذي يدير الاحتفال ، فانه من تخريف هذا الكاتب وتهويله وتشنيعه الذي يريد به التأثير على قارئه وحمله على استنكار الاحتفال بالمولد النبوي ، والحال ان الامر اكثر بساطة مما ذكر ؛ وهو يحمل فى طياته صورة للحياة الضنكة التى يعيشها المسلمون فى الاتحاد السوفياتى .

ان هؤلاء المبتلين بالحكم الالحادي الكافر بكل دين ، يعبرون باختفالاتهم الدينية ، ومنها الاحتفلال بالمولد الشريف ، عن تعلقهم بدينهم ومعتقدهم وتشبثهم بالحياة الروحية التى يحاول الحكام الماديون ان يبعدوهم عنها بكل وسيلة ، وهذا ما يفيظ الكاتب وكل شيوعى متحمس للمذهب الماركسى اللينينى ، فيجعله يتقول على المسلمين وعلمائهم ما ليس له اصل ويرميهم بكل تهمة باطلة ، قصد تجريحهم وتسويء سمعتهم والطعن فى الدين عموما والاسلام خصوصا .

واما ما يتعلق بالنفقات الباهضة المدعاة من الكاتب غالبا مبالغة منه ومجازفة لا تجوز الا على من يجهل الحالة المادية للمواطن السوفياتى ، والفرد المسلم بالخصوص الذي يعيش تحت الحكم الشيوعى وهل ابقى هذا الحكم لاحد ما يتوسع به فى النفقة ويجعله يبذر ويسرف ويعطى للعالم المبالغ المالية الكبيرة ؛ وللمدعوين الذين يحضرون الاحتفال فيتبرعون هم ايضا للعالم بما اعطاهم اياه صاحب الدار ، وهم ممن يتقولون بلسان حالهم : اعلى اهرج منا ؟ !

اما ان يصل الحال الى استهلاك ميزانية الشهر كلها فى هذا الاحتفال وبقاء العائلة على حالة لا تجد ما تسد به حاجتها ، فهذا دليل على ضآلة هذه الميزانية وكونها لا تسمن ولا تغنى من جوع ! . .

وقد حضرنا فى احتفالات من هذا القبيل ببلد شيوعى هو فى الجملة اوسع حالا واقل مضايقة من بلاد الكاتب ، فكان ما يقدم للحاضرين هو كاس من الحلو اي الماء المجعول فيه قليل من السكر ، وكعكة مصنوعة من الدقيق الساذج فقط لا غير ، فاين هو هذا الاسراف الذي يؤثر على العمل ويضاد بناء المجتمع الشيوعى ؟ .

عيد رجب :

هكذا يعبر المؤلف عن حادث الاسراء والمعراج الذي يحتفل به المسلمون فى رجب ، وهو تعبير لا يعرفه المسلمون اطلاقا ، فليس عندهم عيد يعرف بعيد رجب ، بل ان الاكثرية المطلقة من المسلمين لا تستسيغ حتى تعبير موسم ، ومدلوله اقل بكثير من مدلول عيد ، عند احياء ذكرى الاسراء والمعراج ، فالمؤلف يتكلم عن اشياء معينة ومعروفة ، ولكنه يسميها بغير اسمها تعصبا منه وتنطعا ليتأتى له الكلام عليها بحسب هواه وفى ذلك يقول : « يحتفل المسلمون ايضا بعيد رجب ، او المعراج الذي يعنى صعود محمد الى السماء السابعة ليكلم الله ، والقصة تقول ان محمدا ركب فى هذه الرحلة حصانا غريبا يسمى البراق فمر به على اسرائيل ، وكلم الله بالعربية فى موضوع دين جديد ثم رجع الى الارض فى برهة قصيرة ؟ والمسلمون الى اليوم يتقبلون هذه الخرافة كانها حقيقة واقعة » وهذا الكلام يقتضيه التحرير بل الصدق ، فاما عن قوله عيد رجب فقد بينا ما فيه . واما عن كون المعراج هو صعود محمد صلى الله عليه وسلم الى السماء السابعة فان فيه مجاوزة السموات الست التى قبل السابعة وقد كان العروج اليها واحدة فواحدة بحسب ترتيبها الطبيعى حتى وصل الى السابعة ، وليس كما يفهم

كلامه انه كان راسا الى السماء السابعة وقد اغفل الاشارة الى الاسراء وهو الرحلة الى بيت المقدس قبل العروج الى السماء ، ولعله كان يلمح اليه بقوله غمز به على اسرائيل ، والمراد المقدس عاصمة فلسطين اما اسرائيل فلم يكن لها وجود حينئذ ، واما اقحمها الكاتب هنا تماطفا مع الصهيونية العالمية التي هي والدة الشيوعية .

واما أن الرسول كلم الله عز وجل باللغة العربية وبياق الكاتب له مساق الاستغراب فلعله كان يريد ان تقع المكالمة باللغة الروسية ، وبذلك يزول الاستغراب ، ولكن من المؤسف أن الروسية وقتئذ لم يكن لها وجود او ان تكوينها كلغة لم يتم بعد ! .

وقوله ان الكلام كان في موضوع دين جديد ، يدل على جهل المؤلف بوقائع القصة وبتاريخ الاسلام من اصله ، فان هذا الدين كان قد تقرر ، ومر على قيام دعوته اثنتا عشرة سنة . وكلام المؤلف يعطي ان بدء تشريعه كان في المعراج ، وهو خطأ فادح ، بل ربما افهم انه دين ينسخ الاسلام نفسه ، وذلك لما في عبارته من قصور . ومعلوم ان الامر الذي شرع في المعراج هو الصلاة لا غير ، وهو امر لا يصح ان يعبر عنه بأنه دين جديد ! . . هذا ما يرد على وصف الكاتب لقصة المعراج من الاخطاء ، واما رأيه فيه فقد اجمله في تعبيره عنه بأنه خرافة وزاده تأكيدا بقوله : « كل سوفياتي يعلم انه لا توجد قوة فوق الطبيعة في السماء وان البراق لم يوجد اصلا ، وان العقل البشري المحيط بجميع جوانب الطبيعة ، وصل الى معرفة جميع اسرار السماء » يعني فلم يجد هناك ما يدل على وقوع حادث المعراج كما يقول المسلمون ! . .

ما اسخف عقل هذا الكاتب واضعف حجته التي تكون عليه لا له ! فمن من الاغبياء في العالم يقال له ان السوفيات لا يسلمون بهذا الامر اي امر كان فيعتبر ذلك حجة على انتفائه ؟ وما السوفيات الا مجلس العمال الحاكم في روسيا ، وان توسع في اطلاقه على ما يشمل اتحاد الجمهوريات في هذه البلاد . ومن المعلوم ان مجلس العمال هذا يتكون من اقطاب الشيوعية في روسيا ، وهم بحكم شيوعيتهم لا يقرون بوجود الاله ويكفرون بكل دين ، فلا يصح ان يكونوا حجة على ما يسمى بالاتحاد السوفياتي نفسه الذي لا يمثل الا نحو عشرة في المائة من سكانه فاحرى على سكان العالم مسلمين وغير مسلمين ! . . ومن القواعد المقررة عندنا نحن المسلمين ان الحق لا يعرف بالرجال؛ والقرآن الذي يهاجمه محامي الشيوعية يقول : (هاتوا برهانكم) ويعيب على من يقولون : (انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون) فكيف يحتج علينا بمجلس السوفيات في معرض نقد القرآن وما جاء به من الايات البينات ؟ وهذا مع تسليم ما زعمه من ان كل سوفياتي يعرف ان ليس هناك قوة فوق الطبيعة ؛ فان هذه الكلية تقتضي ان كل سوفياتي عالم من علماء الطبيعة وانه اثبت المقولة المزعومة ؛ ودون ذلك خرط القتاد .

كما ان قوله ان العقل البشري وصل الى معرفة اسرار السماء هو من ارسال الكلام على عواهنه ؛ بل هو بكلام العامة اشبه ، ولا غرو فقد برهن لنا هذا المؤلف اكثر من مرة على انه عامي ساذج ، ويرحم الله القائل :

علوم الارض لم تصلوا اليها
فكيف بكم الى علم السماء ؟

ثم فسأل حضرته ماذا يريد بالسماء ؟ ان كانت عنده هي المجال الفضائي فانه باعتراف علماء الفضاء انفسهم ما زال لم يكشف لهم عن بعض اسراره بله جميعها . ولذلك ما تزال الدراسات متتابعة والاقمار الصناعية والمراكب الفضائية ترود جوانب الفراغ وتأتي بقليل من المعلومات عن هذا الكون الفسيح ، وان كان يريد السماء بالمعنى الغيبي الذي تحدثت به الاديان السماوية ، فان المسكين يكون قد اخطأ خطأ فادحا لا يشبهه الا خطأ كاكارين في حسبانه ما وصل اليه من اجواز الفضاء هو السماء التي هي من عالم الملكوت ؛ وقال كلمته الرعناء التي استنكرها كل من سمع بها من العقلاء ! . .

وازى من المناسب ايراد الابيات الرجزية التي قلتها عندما صدرت تلك الكلمة المظلمة من رائد الفضاء السوفياتي وهي بعنوان : زلة كاكارين ؛ ونصها :

وقال رائد الفضا من جهله
ما ان رأيت الله في السماء
اي سماء رادها ؟ وهل درى
ان السما ليست من الفضاء ؟

وهل درى بانه سبحانه
ما ان يرى بهيكل الفناء ؟

قال لموسى الطهر : لن ترانى
فكيف بالحصاد والبناء ؟

وهل درى ان السماء لم تكن
قط بقدر الله ذي السناء ؟

فالله فوق عرشه قد استوى
واين عرشه من الاجواء ؟

وقد نهى نبينا محمد
فيما روى عنه ذوو الانباء

عن المفاضلة بين من رقى
الى السما ومن هوى فى الماء

فان ربنا تعالى مقنا
بسلمه المحيط بالاشياء

فى كل ما اين نكون فيه
وكل ما آن من الانماء

يا زلة ما ان لها اقالة
وهل لداء الجهل من دواء

فقسما لو ان (لايكا) نطقت
لهما اتت بهذه العوراء

ويقفز الكاتب بعد هذه الاحكام الاعتباطية الى ما هو اكثر تجافيا واشد مخرقة فيقول : « العلم لا يثبت وجود النبى محمد ، ويرفض جميع الروايات المنسوبة اليه ، واحيانا المسلمون انفسهم يسخرون من هذه الخرافة » ويستدل على قوله هذا بحكاية ينسبها الى من سماه (على اكبر) من اهل سمرقند ، وهى ان مسلمين احدهما يسمى محمد وثانيهما احمد ، خرجا فى رحلة لطلب الرزق وان احدهما كان له حمار فنفق فدفنه ، واقام على محل دفنه مشهدا فصار الناس يزورونه ويقدمون له القرابين والهدايا ، وكان ذلك فى صحراء العرب وفى غياب رفيقه عنه ، فلما رجع رفيقه وساله عن صاحب القبر قال له انه لا يوجد به الا عظام مركوبه صاحب الاذنين الطويلتين ولكنه يقول للناس الذين يزورونه : انه قبر اشرف رجل ، وهو محمد بن عبد الله . وقد آمن الناس بهذه الخرافة وصاروا يتقربون الى القبر ويبنون المنازل حوله ، وهكذا وجدت البلدة المسماة بالمدينة والقبر المزعوم انه قبر محمد ! . . .

ان المرء ليحار فى شان هذا المعتوه كيف اصبح سفير بلاده ، وهى ما هى علما وتقدما وحضارة ؟ وكيف سولت له نفسه ان يكون من رجال القلم والتاليف وهو بهذه العقلية السخيفة التى يتخاشى عنها اجهل الجهلة واغبى الاغبياء ؟ ! ولئن كانت هذه هى التربية التى يتلقاها الشيوعيون فى الاتحاد السوفياتى والمعلومات التى يلقنونها عن رجال التاريخ وتاريخ الاديان والحضارات والشعوب ، فاننا لا نحجم عن القول بان هذا اعظم ظلم اجتماعى بل اكبر جناية على العقل البشري تمارس فى العصر الحاضر ، ولا تشبهها فاشية ولا نازية ولا صهيونية ، لان هذه وان بلغت قمة التعصب والعنصرية واحتقار الغير فانها لم تبلغ بها العجرفة الى انكار واقع التاريخ والمتواتر من الاخبار والمعلومات القطعية ، ولولا اننا نعرف الاتحاد السوفياتي ولنا فيه اصدقاء من العلماء والمؤرخين لا يقرون هذا الهراء ، لساء ظننا به لمثل السوء الذي يعطيه هذا الامعة عنه !

وليت شعري ما هو هذا العلم الذي ينكر وجود النبى محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ان كان هو العلم الطبيعي المعبر عنه بالسيانس كما جاء فى كلام الكاتب La Seince فليس ذلك من موضوعه على حسب ما بيناه فى فصل كيف خلق الله العالم ، وان كان هو علم السير والتاريخ وتاريخ الاديان ، وهو الذي يرجع اليه فى هذا الموضوع فان آلاف التواريخ التى وضعت بمختلف اللغات قديما وحديثا تتحدث عن وجود النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ومولده وحياته قبل البعثة ، وبعثته ودعوته ، وما لاقاه من قومه من التكذيب والمقاومة ، واضطهاد اصحابه وهجرتهم اولا الى الحبشة فرارا بدينهم من الفتنة ، ثم هجرته هو واصحابه الى المدينة وقيام المجتمع الاسلامى الاول فى هذه المدينة ، والاصطدام الاول الذي وقع بينه وبين اهل مكة وهو المعروف بغزوة بدر ، والغزوات التى تلتها الى فتح مكة واكمال الدين الذي جاء به ، وقد كان ابتداؤه بنزول اول آية من القرآن عليه فى غار حراء الى ان تكامل نزوله وحج عليه الصلاة والسلام حجة الوداع ، فى السنة التى توفى فيها وقد حضر معه فى هذه الحجة مائة واربعة وعشرون الفا من المومنين ... كل هذا وغيره من التفاصيل المتعلقة بحياته الخاصة والعامة ، مما احتوته التواريخ الخاصة والعامة كذلك ، ما كتب منها من طرف المسلمين ومن طرف غيرهم ، وتناقله الناس فى مشارق الارض ومغاربها ، وقد برز بالطباعة الكثير منه مما الف قبل ظهور الطباعة ، وبقى مثله او اكثر منه فى رفوف الخزائن العلمية ينتظر أن يرى النور فى يوم ما ، ولحد الان ولن يزال ذلك

مستمرا الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، لا يفتأ الكتاب والمؤرخون مسلمين واجانب يؤلفون الكتب والتواريخ المختصرة والمسهبة عن حياته صلى الله عليه وسلم تمجيدا وتنويها ، وربما نقدا وتجريحا ، ومع ذلك فلم يقل احد منهم انه صلى الله عليه وسلم لم يثبت وجوده تاريخيا ، ولا رفض ما ينسب اليه من اعمال واقوال ، وجهد في سبيل تبليغ رسالته ، وتاسيس الدولة الاسلامية ، واثره في خروج العرب من جزيرتهم وفتح اقطار العالم وانشاء الحضارة العربية التي بذت جميع الحضارات التي كانت قبلها ، ومنها انبثقت الحضارة الغربية الراهنة .

بل ان المؤرخين اجمعوا على انه لم يبلغنا عن نبي من الانبياء من المعلومات ما بلغنا عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وان حياته منذ نشاته الى وفاته معروفة بالتواتر للجميع ، ولا كذلك حياة المسيح ولا حياة موسى عليهما السلام ، وهما اكثر الانبياء شهرة واتباعا بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، فاننا لا نعرف عنهما الا قليلا وقليلا جدا ؟ فاين ذهب بعلم مؤلف كتاب هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ومعرفته وثقافته العامة التي اهلته لان يكون سفيرا لبلاده ، وهو في الحقيقة سبة عليها ووصمة في دبلوماسيتها ومثل يضرب في الجهالة والطيش وقلة الحياء ؟ ! . .

ويطول بنا الكلام لو اردنا ان ننقل كلام المؤرخين وكتاب التراجم في هذا الصدد ، فلنقتصر على كلمة واحدة من آخر ما وقفنا عليه ، وهي للمستشرق الانجليزي (باسورث سميث) قال : « ترى الشمس ها هنا بارزة بيضاء تنير اشعتها كل شيء ، وتصل الى كل شيء لا شك ان في الوجود شخصيات لا نعلم عنها شيئا ، ولا نتبين حقيقتها ابدا ، او تبقى منها امور مجهولة ، بيد ان التاريخ الخارجي لمحمد (صلى الله عليه وسلم) نعلم جميع تفاصيله من نشاته الى شبابه وعلاقته بالناس وروابطه وعاداته ، ونعلم اول تفكيره وتطوره ، وارتقائه التدريجي » الى ان يقول : « وعندنا كتابه (القرآن) لا مثيل له في حقيقته وفي كونه محفوظا مصونا ، وانه لم يشك احد في قيامه على اساس الصدق شكا يعتد به ، وهو عندنا ممثل لروح عصره ومرآة لبيئته » (1) .

ثم نقول ان الحكاية التي تسببا لعلى اكبر الذي زعم انه من اهل سمرقند هي حكاية متداولة معروفة في بلاد العالم الاسلامي لكنها تساق مساق النقد والتذكير والايقاظ لعباد القبور والمتعلقين بها والمستغلين لها ، وهم كثير في كل الشعوب ، وفي الشعوب النصرانية اكثر ، ومنها هذا البلاء لجهلة المسلمين ولكنها في السياق الصحيح تقول ان الحمار الذي نفق كان للرفيقين معا ، وانهما دفناه وذهبا لحال سبيلهما ، وبعد امد طويل مرا بنفس المكان الذي دفناه فيه فوجدا عليه مشهدا وان الناس يزورونه ويتبركون به ، فعجبا من جهلهم وسخافتهم وبينا للناس ما هو ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر . . وهذا السياق لم يعجب المؤلف فحوره واضاف اليه ما ظن انه ينال به من الاسلام ونبي المسلمين ؛ فكان ذلك منتهى العباطة وغاية الجهل ، والدليل القاطع على ان الرجل مختل العقل سقيم الادراك ، اذ انكر المحسوسات ونفى المسلمات ، (ومن يهن الله فما له من مكرم) .

واخيرا نسأله اذا كان هذان الشخصان مسلمين بحكم تسمية احدهما محمدا والاخر احمد ، فكيف اسلما قبل مبعث نبي الاسلام ؟ .

ويزيد هذا المؤلف اممانا في الضلالة والجهل فيقول : « كيف يمكن ان نفكر في حياة النبي محمد ، في حين انه لا توجد حجة تاريخية مادية مكتوبة تدل على وجوده ، ومحمد نفسه لم يترك وراءه شيئا في الموضوع » فاما قوله انه لا توجد حجة تاريخية على وجوده فهو وان كان اشبه شيء باليذيان فقد اجبنا عنه آنفا . . . ونزيد عليه ان كتابه صلى الله عليه وسلم للرجل الذي يوجد الان في حوزة ملك الاردن والذي خضع لتحليلات علمية دقيقة اثبتت صحته ، هو حجة مادية مكتوبة تقنع مراض القلوب الذين لا يؤمنون الا بالمحسوسات امثال المؤلف ، واما ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يترك وراءه شيئا في موضوع وجوده فنقول عليه بلى لقد ترك للاغبياء ما لم يستطيعون نفيه الا بمثل حكاية على اكبر التي كشفتهم وفضحتهم هم والذين اعتمدوهم كمدافعين عن ايديولوجيتهم ، وترك للعقلاء الكتاب الذي تيه به المستشرق سميث في الكلمة التي نقلناها عنه قريبا ، وكفى بذلك تركة في الموضوع .

ويلح السفير رحماتوف على انكار وجود النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : « ان رجلا في مثل

---

1) مجلة الجامعة الاسلامية ـ العدد 2 السنة 9 .

عظمة محمد كيف لا يكون معروفا لمعاصريه من المؤرخين والكتاب والشعراء والنحات وبخاصة في بيزانطة وارمينيا ، بل وفي بلاد الخلافة العربية نفسها ، فان اكثر المؤرخين العرب والعلماء المسلمين وحفاظ القرآن ليس لديهم معلومات محددة عنه ، والمثل (الاوكراني) يقول من كان غير موجود ليس له وجود ، ولذلك فان ميلاد محمد لا يعرف لانه لم يوجد قط » .

ولسنا بحاجة الى تفنيد هذه الاقوال وتزييف ما فيها من ادعاءات وانما نقلناها لانها ربما تثير بعض الشبهة عند محدودي الادراك وضعاف العقول كالمؤلف فيما يتعلق بالنحات فنشير الى ان الاسلام جاء بتحريم الصور والتماثيل ، فمن تطبيق تعاليمه ان لا يكون النبي الذي جاء به موضع تجارب للمصورين والنحات الذين يمكن ان يكونوا في دار الاسلام ، واما بخصوص مؤرخي بيزنطة وارمينيا فقد يكفينا بالنسبة للاولى الكتاب النبوي الذي ارسله صلى الله عليه وسلم لهرقل كما اشرنا اليه من قبل ، فانه من عندها خرج ، وفي خزائن ملوكها كان محفوظا ، وبالنسبة للثانية فقد لا نبالغ اذا قلنا ان تاريخها القومي في زمن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يصلنا ، ولعله لم يسجله احد من اهلها بل ان كثيرا من شعوب المنطقة والبلاد الروسية نفسها ، لم تعرف لها تاريخا في هذه الفترة وما بعدها الى زمن الخلافة العباسية الا من طريق المؤرخين العرب ، فكيف تسجل هي تاريخ غيرها وتاريخ النبي صلى الله عليه وسلم بالذات ؟ .

اما قوله عن جهل تاريخه عليه السلام في بلاد الخلافة العربية ومن العلماء المسلمين وحفاظ القرآن ايضا ؛ فهو مما يبعث على الضحك من سذاجة هذا الكاتب او مغالطته باعتبار آخر ، لانكاره الاشياء الثابتة بالحس بل ما يقره هو من حيث لا يشعر ؛ فمجرد ذكره للخلافة هو اثبات لما ينكره ، لانها خلافة عنه صلى الله عليه وسلم ، بوجوده كانت ، وبقيام الخليفة مقامه في تسيير شؤون المسلمين سمي خليفة ؛ ولكن من اين لغليظ الفهم ادراك هذه المعاني ؟ . . .

وبعد ان ينفي الكاتب بناء على اوهامه وتحرصاته وجود النبي محمد صلى الله عليه وسلم متذرعا بذلك لابطال الاحتفال بالمولد الشريف وبذكرى الاسراء والمعراج لانهما لم يقعا ، ولم يثبت وجود صاحبهما تاريخيا ، يقول ان السوفيات الذين يبنون بلادهم من جديد ، ليسوا بحاجة الى هذه الاعياد والعادات الاجنبية عن المبادىء العلمية الماركسية ، والتي تعطل قيام المجتمع الشيوعي » .

وهذا هو بيت القصيد عنده من هذا الفصل ؛ ولكن الغريب هو ان يعد الاعياد الاسلامية والتقاليد التي مرت عليها قرون وقرون في بلاد الاسلام اجنبية ؛ ومبادىء اليهودي ماركس التي ترعرعت على البلاد بالحديد والنار اصلية ومن صميم حياة الشعب ، وهي لا يعتنقها الا نحو 10 ٪ منه سواء كانوا مسلمين او مسيحيين او سوى ذلك .

عبد الله كنون

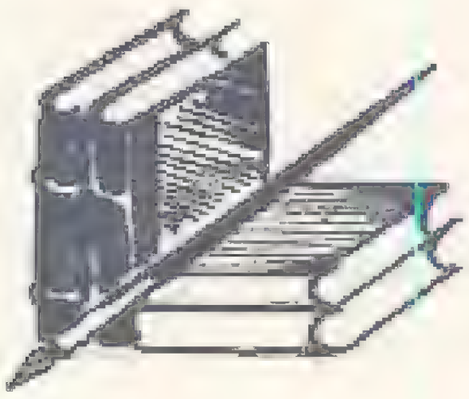

الإعداد المعنوي للجهاد

شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم

للواء الركن محمود شيت خطاب

— 1 —

ما احوج العرب والمسلمين اليوم ، الى الاقتداء بشجاعة الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام؛ والارض المقدسة والقدس الشريف والضفة الغربية وقطاع (غزة) وسيناء والهضبة السورية تئن تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي ؛ وبلادهم من النيل الى الفرات مهددة بالتوسع الصهيوني الاستيطاني ؛ ليخاطبوا اسرائيل باللغة الوحيدة التي تفهمها وترضخ لها ؛ وليستعيدوا حقوقهم المغتصبة ويفرضوا السلام في ارض السلام . . .

وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة ، تقدم نماذج رائعة فذة ، تبرز بها شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم في ايام السلام والحرب على حد سواء . . .

كانت رجولته النادرة تملأ الاعين قدرا وجلالا ، وكان في السلم (رجلا) يوحد من اجل الجهاد ، وكان في الحرب (رجلا) يجاهد من اجل (التوحيد) ، وكانت حياته المباركة منذ بعثته الى التحاقه بالرفيق الاعلى (توحيدا) من اجل (الجهاد) و (جهادا) من اجل (التوحيد) ، وكان من بعض آثار جهاده وتوحيده ، جمع شتات العرب في شبه الجزيرة العربية كلها تحت لواء الاسلام . .

ولست بصدد ذكر امثلة من شجاعته في ايام السلام ، لانني احب ان يتعسر حديثي على شجاعته في ايام الحرب ، لان العرب والمسلمين يعانون في هذه الايام العصيبة من حرب فرضت عليهم فرضا ، فهم احوج ما يكونون الى تدارس شجاعته صلى الله عليه وسلم العسكرية ، لتكون اسوتهم الحسنة في حاضرهم ومستقبلهم ، وليقتفوا اعماله البطولية في ميدان القتال . . .

ولكني استأذن القراء بذكر مثال واحد دليلا على شجاعته في ايام السلام ما قرأته في السيرة النبوية العطرة الا وهتفت من صميم قلبي : ما اعظم شجاعتك يا رسول الله عليك افضل الصلاة وازكى السلام ! !

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : « حضرتهم (1) ، وقد اجتمع اشرافهم يوما بالحجر (2) ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من امر

---

1) يريد : حضرت قريشا .

2) الحجر : حجر الكعبة ، وهو ما تركته قريش في بنائها من اساس ابراهيم عليه السلام ، وحجرت على المواضع ليعلم انه من الكعبة ، فسمي حجرا لذلك ، لكن فيه زيادة على ما في البيت ، وكان ابن الزبير ادخله في الكعبة حين بناها ، فلما هدم الحجاج بناءه رده على ما كان عليه في الجاهلية (راجع معجم البلدان) .

هذا الرجل قط : سفه احلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب دیننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا — لقد صبرنا منه على امر عظيم . فبينما هم فى ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه (3) ببعض القول ، فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم مضى ، فلما مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : اتسمعون يا معشر قريش ! أما والذي نفسى بيده ، لقد جئتكم بالذبح (4) ! . . فاخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم رجل الا كأنما على راسه طائر واقع ، حتى ان اشدهم فيه وصاة (5) قبل ذلك ليرفؤه (6) باحسن ما يجد من القول ، حتى انه ليقول : انصرف يا ابا القاسم ، فوالله ما كنت جهولا ! ! فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اذا كان الغد اجتمعوا فى (الحجر) وانا معهم ، فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فبينما هم فى ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، واحاطوا به يقولون : انت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، انا الذي اقول ذلك ! . . » (7) .

كان ذلك أيام ضعف المسلمين ، قبل الهجرة الاولى الى ارض الحبشة وقبل اسلام حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم .

وهذا يدل على تحد شديد لقريش ، وعلى شجاعة منقطعة حقا . . .

---

3) غمزوه : طعنوا فيه .
4) الذبح : مجاز عن الهلاك ، ومنه فى حديث القضاء : (من تصدى للقضاء وتولاه فقد تعرض للذبح ، فليحذره) .
5) الوصاة : الوصية .
6) يرفؤه : يهدئه ويسكنه ويرفق به ويدعو له .
7) انظر التفاصيل فى : سيرة ابن هشام (309/1 — 310) ؛ تحقيق مصطفى السقا ورفاقه ، القاهرة ، 1355 هـ .
8) كان المهاجرون اربعة وسبعين رجلا وسائرهم من الانصار . انظر طبقات ابن سعد 2 / 12 ؛ مع اختلاف طفيف فى عددهم بالمصادر الاخرى . انظر جوامع السيرة لابن حزم 114 — 146 ، وسيرة ابن هشام 324/2 — 354 .

— 2 —

ولكن ما نحتاج اليه اليوم ، هو التذكير بشجاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى ايام الحرب ، حتى تكون نبراسا للعرب والمسلمين قادة وجنودا وحكاما ومحكومين وحكومات وشعوبا . . .

ان من اهم صفات القائد بخاصة والجندي بعامة ، هى التحلى بالشجاعة الشخصية . . .

والقائد الذي لا يتحلى بالشجاعة لا ينتصر ابدا ، لان جنوده لا يثقون به ، ولانه لا يستطيع ان يكون مثالا شخصيا لرجاله فى الاقدام والتضحية ، ولانه لا يخاطر بروحه فلا يخاطر اتباعه بارواحهم . . .

والقائد الشجاع يتبعه رجاله الى الموت ، والقائد الجبان يسبقه جنوده الى النجاة . . .

والشجاع يربى الشجعان ، وخصلة الشجاعة تنتقل منه الى اتباعه بالعدوى ، وفاقد الشىء لا يعطيه . . .

لقد برزت شجاعة الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام فى غزواته كلها بشكل يبهر العقول والقلوب معا ، ويدعو الى اعظم الاعجاب والتقدير ...

ان (غزاره) قبول خوض غزوة (بدر) الكبرى ، وهى اول غزوة خاضها المسلمون ، شجاعة نادرة حقا ، لان تعداد المسلمين يبلغ ثلث تعداد المشركين ، ولان المشركين كانوا متفوقين على المسلمين بالتسليح والقضايا الادارية . . .

فقد بلغت قوة المسلمين فى (بدر) ثلاثمائة وخمسة رجال من المهاجرين والانصار (8) ، وبلغت قوة المشركين تسعمائة وخمسين رجلا . .

وكان مع المسلمين فرسان فقط ويسبعون بعيرا ، وكان مع المشركين مائتا فرس يقودونها وعدد كبير من الابل لركوبهم وحمل امتعتهم ...

وكان المسلمون فقراء يفتقرون الى الطعام ، وكان المشركون اغنياء يذبحون كل يوم تسعة من الابل او عشرة لطعامهم ، بينما يكتفى المسلمون غالبا بالتمر والسويق (9) .. لسد الرمق ..

وكان الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام يدرك كل الادراك خطر الاشتباك بالمشركين ، لان اندحار المسلمين فى هذه الغزوة الحاسمة قد يؤدي الى القضاء المبرم على مستقبل الاسلام . لذلك ابتهل الى الله سبحانه وتعالى فى دعائه قبل نشوب القتال وفى اثنائه قائلا : (اللهم هذه قريش ، قد اقبلت بخيلائها تحاول ان تكذب رسولك . اللهم ، فنصرك الذي وعدتنى . اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد) ...

وحين اشتد اوار القتال فى بدر ، نزل الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام بنفسه ليقود صفوف المسلمين ويباشر القتال ، فلم يكن احد من المسلمين اقرب منه الى العدو . قال على بن ابى طالب رضى الله عنه : « لما كان يوم (بدر) ، اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اشد الناس بأسا ، وما كان احد اقرب الى المشركين منه » (10) ...

وقال الامام على رضى الله عنه : « انا كنا اذا اشتد الخطب (11) واحمرت الحدق (12) ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأيتنى يوم (بدر) ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو » (13) .

— 3 —

وكانت قوة المسلمين فى (احد) تسعمائة وخمسين فارسا ، وكانت قوة المشركين ثلاثة آلاف راجل وفارس ...

وقد اعد الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام خطة تعبوية لخوض غزوة (احد) ، قادت المسلمين الى النصر فى المرحلة الاولى من المعركة ، حتى انهزم المشركون وتكبدوا خسائر فادحة ...

ولكن (الرماة) الذين امرهم النبى صلى الله عليه وسلم الا يبرحوا اماكنهم ولو راوه واصحابه يقتلون ، اختلفوا فيما بينهم ، فانطلق اكثرهم لجمع الغنائم من معسكر المشركين ظنا منهم بان المعركة قد انتهت بنصر المسلمين ...

وانتهز خالد بن الوليد رضى الله عنه هذه الفرصة ، فهاجم مواضع رماة المسلمين ، وضربه المسلمين من الخلف ، وطوقهم . فلما راى المشركون ذلك ، قاموا بهجوم مضاد على المسلمين ، فاصبح المسلمون محاطين من كل جانب ، واصبح مصيرهم مهددا بالفناء ...

ولجا اكثر المسلمين الى جبل (احد) ، ووقف مع الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام اربعة عشر رجلا : سبعة من المهاجرين وسبعة من الانصار (14) ، يقاتلون ليشقوا لهم طريقا من بين قوات المشركين التى اطبقت عليهم من كل جانب . واستطاع المشركون ان يصلوا قريبا من موضع الرسول صلى الله عليه وسلم فرماه احدهم بحجر اصاب انفه وكسر رباعيته (15) .

---

9) السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، سمى بذلك لانسياقه فى الحلق ، جمعها : اسوقة ، القاهرة ، 1389 .

10) انظر : دلائل النبوة للبيهقى 1 / 278 .

11) الخطب : الحال والشان ، وفى القرآن الكريم : (قال : فما خطبكم ايها المرسلون) ؟ ! . والامر الشديد يكثر فيه التخاطب جمعها : خطوب . وهنا يريد : الامر الشديد ، والخطر المحدق .

12) الحدق : جمع حدقة . والحدقة : السواد المستدير وسط العين . واحمرت الحدق : اشتد الخطر وتفاقم الامر ، حتى احمرت الحدق من جراء ذلك . وهذا التعبير : احمرت الحدق ، كناية عن تفاقم الخطر واشتداده .

13) انظر الرسول القائد 431 .

14) طبقات ابن سعد 42/2 .

15) الرباعية : السن بين الثنية والناب ، وهى اربع : رباعيتان فى الفك الاعلى ، ورباعيتان فى الفك الاسفل .

وعمالك النبى صلى الله عليه وسلم نفسه، وسار مع البقية الباقية من اصحابه مقاتلا ، فاذا به يقع فى حفرة حفرها ابو عامر ليقع فيها المسلمون ؛ فأسرع اليه على بن ابى طالب رضى الله عنه واخذ بيده ، ورفعه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه حتى استوى . . .

واخذ المشركون يعيدون زخم هجومهم المضاد للقضاء على المسلمين وعلى النبى صلى الله عليه وسلم بالذات ، وصاح احدهم بأعلى صوته : (قتلت محمدا . .) .

وقاد الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه رجاله ، ورمى بنفسه عن قوسه ، حتى تحطمت القوس . . . وتساقط المسلمون حوله صرعى واحدا بعد الاخر ؛ حتى استطاعوا بقيادته القذة شق طريقهم عبر صفوف المشركين ولجأوا الى رابية مشرفة من روابى جبل (احد) . . .

وتركت هذه الشجاعة المذهلة اثرها فى قريش ؛ فتوقف زخم هجومها ؛ وذهبت محاولات قريش كافة للقضاء على النبى صلى الله عليه وسلم ادراج الرياح . . .

وصدق الله العظيم : (ولقد صدقكم الله وعده ؛ اذ تحسونهم (17) باذنه ، حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعدما اراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الاخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين) (18) . . .

وعاد المشركون ادراجهم الى مكة ، وعاد المسلمون الى المدينة ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم قرر القيام بحركة جريئة ترد الى المسلمين معنوياتهم ، وتدخل الى روع يهود والمنافقين الرهبة ، وتعيد الى المسلمين سلطانهم بالمدينة المنورة قويا كما كان . . .

لذلك خرج باصحابه الذين شهدوا غزوة (احد) فقط ، فى اليوم الثانى من يوم (احد) لمطاردة المشركين . فلما وصل موضع (حمراء الاسد) (18) ، جاءه من يخبره أن قريشا قررت السير له . . .

وقرر الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام لقاء قريش ، وبقى ينتظرهم هناك ثلاثة ايام ، ولكن المشركين المنتصرين خافوا لقاءه وحرصوا على الاحتفاظ بمكاسبهم . . .

ان شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى (احد) تجل عن الوصف ، فقد استطاع أن يسيطر على الموقف الحربى تجاه تفوق ساحق للمشركين فى معركة يائسة الى ابعد الحدود ، ثم يفيد تنظيم رجاله ويعيد اليهم معنوياتهم ويحد هجمات مضادة للمشركين ، فيحيل الهزيمة الكبرى الى نصر ، لانه اضطر قريشا الى اليأس من القضاء على المسلمين ، بعد أن كان فناء المسلمين امرا حتميا ، ثم اضطرهم الى الانسحاب من ساحة المعركة بعد اليأس من ابادة المسلمين . . .

ولم يكتف بذلك ، بل خرج فى اليوم الثانى من المعركة ، لمطاردة المشركين ، حتى اضطرهم الى اتخاذ (الحيلة) بارسال معلومات كاذبة الى المسلمين حول اعتزامهم على اعادة الكرة على المسلمين ؛ فلم يكترث الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التهديد والوعيد ، وانما اعد العدة لمجابهة المشركين ، وقرر لقاءهم مهما تكن الظروف والاحوال . . .

انى لم اقرأ فى تاريخ الحرب ، قائدا تميز بمثل هذه الشجاعة الخارقة ، ولعل موقف النبى صلى الله عليه وسلم فى (احد) هو من اعظم مواقفه العظيمة فى الحرب التى تدل على شجاعته التى لا تتكرر ابدا . . .

— 4 —

١ — وكان تعداد جيش المسلمين فى غزوة (الخندق) ثلاثة آلاف رجل ، وكان تعداد الاحزاب

---

(16) تحسونهم : تستأصلونهم بالقتل . قال ابن هشام : الاستئصال . يقال : حسست الشىء : اى استأصلته بالسيف وغيره . انظر سيرة ابن هشام 66/3 .

(17) الاية الكريمة من سورة آل عمران 3 : 152 .

(18) حمراء الاسد : موضع على ثمانية اميال من المدينة ، على طريق المدينة — مكة . انظر التفاصيل فى معجم البلدان 337/3 .

عشرة آلاف مقاتل ، اربعة آلاف من قريش وستة آلاف من سليم واسد وفزارة واشجع وغطفان ...

وحاصر المشركون المدينة المنورة ، واشتد القتال ، وكان رجحان كفة المشركين على المسلمين ظاهرا للعيان . لذلك نكث يهود قريظة وانضموا الى المشركين ...

وتحرج موقف المسلمين كثيرا ، اذ أصبح الخطر يتهددهم من داخل المدينة بيهود ومن خارجها بالمشركين ...

في ذلك الموقف العصيب ، الذي يفتت اصلب النفوس واشجعها ، والذي وصفه القرآن الكريم وصفا أبلغ وصف وأصدق وصف ، فقال تعالى : (اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا . واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض : ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) (19) . واشهد انني لا اكاد اقرا هذه الاية بعد اربعة عشر قرنا من نزولها ، الا وتكاد أعصابي تفزق ويتملكني الشعور بالخوف الشديد والاشفاق على المسلمين من الموقف الرهيب الذي عاشوه يومذاك وعلى رأسهم النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الاحزاب ...

ومع ذلك ثبت الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ثبات الجبال الشم الراسيات لا يتزعزع ولا يريم ، واثقا بالله معتمدا عليه معتدا به يقاتل كما يقاتل اصحابه ، ويحفر كما يحفرون (20) ، ويحرس كما يحرسون ، ويسهر كما يسهرون ، بل كان يستثير بالخطر ويؤثرهم بالامن ، ثم يحرضهم على القتال ويبشرهم بالنصر او الجنة ، وانما هي احدى الحسنيين : انتصار او شهادة ...

ب) ويوم (حنين) كان خالد بن الوليد رضي الله عنه على مقدمة المسلمين في مائة فرس هي خيل بني سليم عند التقدم من مكة المكرمة الى الطائف لقتال هوازن وثقيف الذين اجمعوا على حرب المسلمين (21) .

وكان مالك بن عوف النصري قائد المشركين قد عبأ رجاله في وادي (حنين) ليلا وأمرهم ان يحملوا على المسلمين حملة واحدة ...

وانحدر المسلمون في صباح الصبح في وادي (حنين) على تعبية ، وهو واد من أودية (تهامة) اجوف حطيط (22) ينحدر انحدارا .

وهاجم المشركون المسلمين من كل جانب ، فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم اهل مكة وتبعهم الناس منهزمين ...

ولكن الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ثبت وثبت معه نفر قليل من اصحابه واهل بيته لا يزيدون على العشرة رجال (23) .

واخذ النبي صلى الله عليه وسلم ينادي الناس اذ يمرون به منهزمين : « اين ايها الناس ؟ اين ؟ ... هلموا الي ! انا رسول الله ! انا محمد بن عبد الله ... ! » ...

وتقدم عليه افضل الصلاة والسلام وهو راكب بغلته البيضاء يركضها نحو العدو وهو يقول :

« انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب »

وامر صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضي الله عنه أن ينادي : « يا معشر الانصار ! يا اصحاب البيعة يوم الحديبية » ...

---

19) الايات الكريمات من سورة الاحزاب 33 : 10 — 12 .

20) عمل النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق كأي فرد من المسلمين ، بل كان المسلمون يستعينون به عندما تصادفهم بعض العقبات والصعاب في اثناء الحفر ، كظهور الصخور ، فيحضر هو بنفسه لتفتيتها .

21) انظر طبقات ابن سعد 149/1 ، والطبري 344/2 ، وسيرة ابن هشام 68/3 .

22) تهامة : ما انخفض من ارض الحجاز ، واجوف : متسع ، وحطوط : منحدر .

23) هم : ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب والعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وابو سفيان بن الحارث وابنه جعفر والفضل بن العباس وربيعة بن الحارث واسامة بن زيد وايمن بن ام ايمن بن عبيد الذي قتل يومئذ .

وكرر العباس النداء ، حتى تجاوبت اصداؤه في جنبات الوادي . . . وسمع المهاجرون الانصار النداء ، فكافحوا ليبلغوا مصدر الصوت ، ورمى اكثرهم درعه وترك بعيره واستصحب معه سيفه وترسه فقط ، ليبلغ مصدر الصوت بسرعة . . .

واجتمع حول الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام نحو مائة مسلم وهم يتصايحون : « لبيك . . لبيك . . » فاستقبل بهم صلى الله عليه وسلم المشركين . .

واشتد القتال ، وتقدم الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام برجاله ، ففر المشركون . . . واستسلم كثير منهم أسرى ، فلما عاد المسلمون الذين هربوا وجدوا الكثيرين من المشركين اسرى مصفدين بالاغلال . . .

ولولا ثبات النبي صلى الله عليه وسلم ، لاصيب المسلمون بكارثة عسكرية ، ولصدق القائل حين رأى انهزام المسلمين : « لا تنتهي هزيمتهم دون البحر » (24) . . .

ولكن شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم غيرت الموقف من حال الى حال . . .

قال البراء بن عازب رضي الله عنه : « كنا اذا حمي البأس نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الشجاع الذي يحاذي به » (25) . . .

واخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن انس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس ، وكان أشجع الناس . ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم الى الصوت ، وهو على فرس لابي طلحة رضي الله عنه عري ، في عنقه السيف ، وهو يقول : « لم تراعوا . . لم تراعوا . . »

لقد كان عليه افضل الصلاة والسلام ، يقود رجالة من (الامام) ، يقول لهم : « اتبعوني . . . اتبعوني . . .

لذلك استحوذ بشجاعته واقدامه . . . بمثاله الشخصي الذي يضربه لرجاله في الشجاعة والاقدام . . . ببذله وتضحيته واستئثاره بالاخطار وايثار اصحابه بالامن . . . استحوذ على (ثقة) رجاله ، فقادهم من نصر الى نصر ، ومن فتح الى فتح ، حتى شمل الاسلام ارجاء شبه الجزيرة العربية ، فوحد العرب تحت لواء الاسلام . . .

ذلك هو الدرس العظيم الذي يعلمه الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام لاتباعه المسلمين ولقومه العرب . . في هذه الايام بالذات . .

فما أحوج العرب والمسلمين ان يتلقوا هذا الدرس ، عن سيد القادات وقائد السادات ، رجل الرجال وبطل الابطال ، امام المجاهدين وقدوة المؤمنين وخاتم النبيين . . .

---

24) انظر التفاصيل في : الرسول القائد 357 — 361 ، وخالد بن الوليد المخزومي 80 — 82 .
25) رواه البخاري .

● كتب الجاحظ الى رجل وعده : أما بعد فان شجرة وعدك قد اورقت ، فليكن ثمرها سالما من حوائج المطل ، والسلام .

وقال المهلب بن ابي صفرة القائد الاسلامي المشهور لبنيه : يا بني اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما ، فكفى بذلك تقاضيا . . .

أثر تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي في المجتمع

الدكتور علي عبد الواحد وافي

اقام الاسلام بنيان نظامه الاقتصادي على أربع دعائم يكمل بعضها بعضا وتعمل متضافرة على اقرار العدالة الاجتماعية وتحقيق التوازن الاقتصادي على امثل وجه ومن احسن طريق .

الدعامة الاولى : تتمثل في اقرار الاسلام للملكية الفردية وحمايته لها ؛ وحمايته للعمل الانساني وثمرات الجهود . ويرمي الاسلام من وراء هذه الدعامة الى تشجيع الحافز الفردي ؛ وفسح المجال امام المنافسة والطموح والرغبة في التفوق ، وتحقيق تكافؤ الفرص بين الناس في هذه الميادين ، واعطاء كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحياة الدنيا ، ومسايرة الطبيعة الانسانية التي فطر الله الناس عليها ، لان حب التملك غريزة من غرائز بني الانسان .

الدعامة الثانية : تتمثل فيما يدخله الاسلام على تصرف المالك من قيود وما يضعه على كاهله من أعباء وواجبات . فالاسلام لا يدع المالك حرا يتصرف في ملكه كما يشاء وتشاء له اهواؤه لا في حياته ولا بعد مماته ، بل يقيد تصرفه هذا بقيود كثيرة لتحقيق الصالح العام واتقاء الضرر والضرار . ولا يدع المالك حرا في كسب ماله واستثماره من اي طريق شاء ، بل يحدد له الطرق السليمة التي يكسب منها ماله ويستثمره ، ويحظر عليه ما وراء ذلك من طريق الكسب والاستثمار ولا يكتفي الاسلام بتقييد حرية المالك في تصرفه في ملكه في حياته وبعد مماته وبتقييد حريته في كسب ماله واستثماره . بل انه ليضع كذلك على كاهله واجبات واعباء مالية كثيرة يؤديها للدولة وللمجتمع وللصالح العام وللفقراء والمساكين في مقابل تمتعه بما بقي له من حقوق .

ويرمي الاسلام من وراء هذه الدعامة بجميع فروعها الى اقرار العدالة الاجتماعية وتحقيق التوازن الاقتصادي ، وتقليل الفروق المالية بين الطبقات والافراد ، وتقريب هؤلاء واولئك بعضهم من بعض ، واتقاء تضخم الثروات وتجمعها في ايد قليلة ، وتقليم اظافر رأس المال ، وتجريده من وسائل الطغيان والجبروت والسيطرة على شؤون الحياة ، وضمان حياة انسانية كريمة لافراد الطبقات الدنيا والطبقات الكادحة من الشعب .

الدعامة الثالثة : تتمثل في الاسس العامة التي يقيم عليها الاسلام العلاقات الاقتصادية بين الناس فالاسلام لا يقيم هذه العلاقات على اسس نفعية مادية كما تفعل النظم الاخرى ، بل يقيمها على اسس انسانية خلقية بحتة يتقبلها التكافل والتعاون والتواد والتحاب والتراحم بين الناس بعضهم مع بعض ، والتواصي بالبر والخير والعدل والاحسان ، واحترام الشخصية الانسانية التي كرمها الله فينظر كل فرد الى غيره على انه غاية في ذاته لا على انه وسيلة لجلب المنفعة ، ويحب كل فرد لغيره ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه .

الدعامة الرابعة : تتمثل في ان الاسلام لا ينظر الى المعاملات الاقتصادية على انها معاملات بين

الناس بعضهم مع بعض فحسب ، بل ينظر اليها كذلك على انها معاملات بين العبد وربه ، ولا يجعل ثواب من يسير على تعاليمه فى شؤون الاقتصاد مقصورا على ما عسى أن يناله من خير فى الدنيا بل يعده كذلك باجر كبير فى الاخرة ، ولا يجعل عقاب من ينحرف عن تعاليمه فى شؤون الاقتصاد مقصورا على ما عسى ان يصيبه من ضرر فى الدنيا بل يتوعده كذلك بعذاب اليـــم فى الآخرة . وبذلك يضم الاسلام فى شؤون الاقتصاد الى الوازع الدنيوي وازعا آخر اقوى كثيرا واشد اثرا وهو الوازع الديني الاخروي .

***

هذا ، وان نظرة مجملة فى هذه الدعائم لكافيـــة فى الدلالة على سمو النظام الاقتصادي فى الاسلام وما يمتاز به عن النظم الاقتصادية المطبقة فى الوقـــت الحاضـــر .

فمن هذه النظرة المجملة يتبين لنا ان النظـــام الاقتصادي فى الاسلام ليس نظاما شيوعيا لانه يقـــر الملكية الفردية بجميع انواعها ويحميها ، على حين ان النظام الشيوعي لا يقر الملكية الفردية بحال ، أو بعبارة ادق لا يقرها الا فى امور ليست ذات بال فى شـــؤون الانتاج .

ومن هذه النظرة المجملة يتبين لنا كذلـــك ان النظام الاقتصادى فى الاسلام يختلف اختلافا جوهريا عن النظم الاشتراكية المطبقة فى الوقت الحاضـــر ، وذلك بما تتضمنه الدعامتان (الثالثة والرابعة) السابق ذكرهما من مبادىء لا نظير لها فى هذه النظم ، بل انه ليختلف عنها اختلافا جوهريا بكثير من التفاصيل التى تضمنتها الدعامتان (الاولى والثانية) ، كما سيظهر لنا فى دراستنا التفصيلية لهاتين الدعامتين .

فالنظام الاقتصادي فى الاسلام ليس اذن نظاما شيوعيا ، ولا هو من النظم الراسمالية ويختلف اختلافا جوهريا عن النظم الاشتراكية المطبقة فى الوقـــت الحاضـــر .

وهو نظام نسيج وحده ، منقطع النظير بين النظم الاقتصادية الحاضرة ، له مقوماته ومثاليته الخاصـــة بـــه .

***

هذه نظرة مجملة فى الدعائم التى يقيم عليهـــا الاسلام نظامه الاقتصادي وفى الاهداف التى يرمـــى اليها من وراء هذه الدعائم وفى وضع هذا النظام بين النظم الاقتصادية الحاضرة .

ويبقى بعد هذه النظرة المجملة ان نشرح بشىء من التفصيل هذه الدعائم . وهذا هو ما سنعرض لـــه فيما يلى من هذا البحث . وفى اثناء شرحنا للدعامتين (الاولى والثانية) سنضمنهما اهم ما تشتمل عليـــه الدعامتان (الثالثة والرابعة) لتداخل عناصر هـــذه الدعائم بعضها فى بعض ، فنقتنا ذلك عن الكلام على هاتين الدعامتين الاخيرتين فى صورة مستقلة .

***

الدعـــامـــة الاولـــى
اقرار الاسلام للملكية الفردية وحمايته لها وحمايته للعمل الانسانـــى وثمرات الجهـــود

ويرمى الاسلام من وراء هذه الدعامة بجميـــع فروعها ، كما علمنا ، الى تشجيع الحافز الفردي وفسح المجال امام المنافسة والطموح والرغبة فى التفوق ، وتحقيق تكافؤ الفرص بين الناس فى هذه الميادين ، واعطاء كل مجتهد جزاء اجتهاده من ثمرات الحيـــاة الدنيا ومسايرة الطبيعة الانسانية التى فطر الله الناس عليها . وذلك لان حب التملك غريزة من غرائز بنـــى الانسان .

وتشتمل هذه الدعامة على عنصرين : احدهما خاص بالملكية الفردية ، والآخر خاص بالعمـــل الانسانى ، وسنقف على كل عنصر منهما فقرة على حـــدة .

***

— 1 —
اقرار الاسلام للملكية الفردية ، وتيسيره سبل الحصول عليها ، وحمايته لهـــا

يقر الاسلام الملكية الفردية ويبيسر سبل الحصول عليها ما دامت هذه السبل سليمة مشروعة ولا يكتفى الاسلام باقرار الملكية الفردية وتيسير سبل الحصول عليها ، بل انه ليحيطها كذلك بسياج قوي من الحماية ،

ويتمثل هذا السياج في العقوبات الدنيوية والاخروية التي يقررها الاسلام لمختلف انواع الاعتداء على الملكية كالسرقة وقطع الطريق والغصب ونقل حدود الارض.. وما الى ذلك

فيقرر الاسلام عقوبة قطع اليد في السرقة . قال تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا ، نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » (1) ولم يهتد الرسول عليه السلام في تنفيذ حد السرقة . فقد جاءه مرة اسامة بن زيد — وكان من احب الناس اليه يشفع في فاطمة بنت الاسود المخزومية (التي كانت قد وجب عليها حد السرقة لسرقتها حليا وقطيفة ورأى اهلها ان اقامة الحد عليها سيلحق بقبيلتهم العريقة عارا ابديا : فلجئوا الى اسامة لمكانته عند الرسول عليه السلام، راجين ان يشفع لها عنده) فانكر الرسول عليه السلام شفاعته ، وانتهره قائلا : « اتشفع في حد من حدود الله ؟ ! » ثم قام فخطب الناس فقال : « ايها الناس انما ضل الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف فيهم اقاموا عليه الحد ، واسم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » (2) .

وهذا كله في السرقة العادية ، او ما يسميه فقهاء المسلمين « السرقة الصغرى » واما قطع الطريق او ما يسميه فقهاء المسلمين « السرقة الكبرى » او « الحرابة » (بكسر الحاء) فعقوبته اشد من ذلك بكثير وفي هذا يقول الله عز وجل : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم » (3) .

واما الغصب ونقل حدود الارض فمقترفهما ملعون في نظر الاسلام ومحروم من رحمة الله وفي هذا يقول عليه السلام: «من غصب شبرا من ارض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة» وتوجب الشريعة الاسلامية على الغاصب ان يرد الشيء المغصوب أو يرد قيمته اذا اتلفه أو بدده . فان كان المغصوب ارضا فغرس فيها او بنى ، قلع الغرس وهدم البناء وردت الى صاحبها كما كانت . ويوقع على الغاصب عقوبة الحرابة السابق ذكرها اذا توافرت اوصافيها في جريمته أو توقع عليه عقوبة التعزير اذا لم تتوافر هذه الاوصاف . والتعزير عقوبة يقدرها القاضي او يقدرها القانون المتواضع عليه في صورة تتفاوت شدتها حسب درجات الجريمة ومبلغ خطرها وحسب اختلاف المجرمين انفسهم وما يكفي لردعهم وزجر غيرهم ، وتكون بالحبس والجلد .. وما الى ذلك

وفي سبيل حماية الاسلام للملكية يجيز الاسلام للمالك ان يدفع عن ملكه بجميع وسائل الدفاع التي تتاح له ، حتى لو ادى ذلك الى قتل المعتدي ، وفي هذه الحالة لا قصاص عليه . واذا مات هو في اثناء دفاعه هذا فانه يموت شهيدا لقوله عليه السلام : « من قتل دون ماله فهو شهيد » .

ولا ينهى الاسلام عن الاعتداء على الملكية فحسب بل انه لينهى كذلك حتى عن مجرد النظر بعين نهمة او حاسدة الى مال الغير .. وفي هذا يقول الله تعالى : « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وابقى » (4) ويقول : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، ان الله كان بكل شيء عليما » (5) .

---

1) آية 38 من سورة المائدة .
2) رواه الامام البخاري في صحيحه في باب (كراهية الشفاعة في الحد اذا رفع الى السلطان) .
3) آية 33 من سورة المائدة ، انظر في كتب التفسير وكتب الفقه الاسلامي اختلاف الائمة في تفسير هذه الآية وفي نوع الجرائم والعقوبات التي تشير اليها وفي توزيع هذه العقوبات على حالات الجريمة ونوعها .
4) آية 131 من سورة طه .
5) آية 32 من سورة النساء .

حمايـــة الاسلام للعمل الانسانى وثمرات الجـــهـــود

ولما كان الانتاج لا يتوقف على رأس المال المتمثل فى الملكية الفردية فحسب ، بل يتوقف كذلك علـــى العمل الانسانى ، ولما كان فقراء الناس ودهماؤهـــم لا يملكون الا قواهم الجسمية والعقلية وليس لهم من رؤوس أموالهم الا ما يستطيعون بذله من مجهود ، لذلك أحاط الاسلام العمل الانسانى برعاية وحماية لا تقلان فى قوتهما عن الرعاية والحماية التى أحاط بهما الملكية الفردية .

فالاسلام يقدس العمل ، ويعلى من شأنه ويحث عليه . وفى هذا يقول الله تعالى : « هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » (6). ويأمر القرآن المؤمنين لصلاة الجمعة الا يطول مكثهم فى المسجد ، وان ينصرفوا الى أعمالهم بعد انتهائهم من اداء الفريضة ، وقال تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله » (7) . بل لقد اجاز القرآن مباشرة اعمال التجارة وما اليها فى اثناء أداء مناسك الحج ، قال تعالى : « ليس عليكـــم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم » (8) ، قال المفسرون فى تفسير هذه الآية انها تحث على الاخذ بأسباب الرزق ومزاولة اعمال التجارة وما اليها فى مواطن الحج نفســه ومواسمه » . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما اكل احدكم طعاما قط خيرا من عمل يده » ، وروى ان النبى عليه السلام لما أقبل من غزوة تبوك استقبله معـــاذ ابن جبل وصافحه ، فوجد الرسول عليه الســـلام خشونة فى يده ، فقال له « لقد كبئت يداك يا معـــاذ » أي خشنت وغلظت . فقال معاذ : نعم يا رسول الله ، لاننى احترث بالمساحاة وانفق من ذلك على عيالى ، اي اشتغل بالزراعة واستخدام الفاس وانفق من ذلـك على عيالى ويرجع الى عملى هذا السبب فى خشونـــة يدي ، فقبل الرسول عليه السلام يده ، وقال : « تلك يد يحبها الله ورسوله ، تلك يد لا تمسها النـــار » . وروى عن ابن عباس أن قوما قدموا على الرســـول عليه السلام فقالوا ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر . فقال عليه السلام : « أيكم يكفيه طعامه» فقالوا كلنا ، اي نتعاون جميعا على سد حاجته مـــن نتاج أعمالنا حتى نعفيه من العمل فيتفرغ لعبادته » ، فقال عليه السلام : « كلكم خير منه » اي لانكم تعملون وهو لا يعمل .

وعلى أساس هذه النظرة المقدسة للعمـــل ، يقدس الاسلام حق العامل فى ملكية اجره فهو يدعو الى الوفاء به ، ويندد من يجوز عليه من اصحاب الاعمال بحرب وخصومة من الله عز وجل .

وفى هذا يقول الرسول عليه السلام فيما يحكيه من ربه فى الحديث الشريف : « يقول الله عز وجل : ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة ، رجل اعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فاكل ثمنه ، ورجل استاجر اجيـــرا فاستوفى منه ولم يعطه اجره » . ويدعو الاسلام كذلك الى التعجيل بأداء الاجر . وفى هذا يقول الرسول عليه السلام : « اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه » . ويطبق الاسلام هذه المبادىء على جميع انواع العمل المباح ، سواء فى ذلك الاعمال الجسمية والاعمـــال العقلية واعمال التنظيم والادارة .

***

الدعـــامـــة الثـــانيـــة

ما يدخله الاسلام من قيود على تصرف المالك فى ملكه فى حياته وبعد مماته ، وعلى حريته فى كسب ماله واستغلاله ، وما يضعه على كاهله من أعبـــاء وواجبـــات

لا يدع الاسلام المالك حرا يتصرف فى ملكـــه فى حياته كما يشاء ، ولا يدعه كذلك حـــرا يتصرف فيما يؤول اليه ملكه بعد وفاته ، بل يقيد هذه التصرفـــات كلها بقيود كثيرة لتحقيق الصالح العام واتقاء الضرر والضرار . ولا يدع كذلك المالك حرا فى كسب مالـــه واستثماره من اي طريق شاء ، بل يحدد له الطريق السليمة التى يكسب منها ماله ويستثمره ، ويحظـــر عليه ما وراء ذلك من طرق التملك والاستثمـــار ، ولا يكتفى الاسلام بتقييد حرية المالك فى ملكه فى حياته

---

6) آية 15 من سورة تبارك .
7) آية 10 من سورة الجمعـــة .
8) آية 198 من سورة البقرة .

وبعد مماته وتقييد حريته في كسب ماله واستثماره ، بل انه ليضع كذلك على كاهله اعباء وواجبات مالية كثيرة بؤديها للدولة وللمجتمع وللصالح العام وللفقراء والمساكين في مقابل تمتعه بما بقي له من حقوق .

ويرمي الاسلام من وراء هذه الدعامة بجميع فروعها — كما قلنا — الى اقرار العدالة الاجتماعية ، وتحقيق التوازن الاقتصادي ، وتقليل الفروق المالية بين الطبقات والافراد وتقريب هؤلاء واولئك بعضهم من بعض ، وانقاء تضخم الثروات وتجميعها في ايد قليلة وتقليم اظافر رأس المال ، وتجريده من وسائل الطغيان والجبروت والسيطرة على شؤون الحياة ، وضمان حياة انسانية كريمة للفقراء والمساكين وللطبقات الدنيا والطبقات الكادحة من الشعب .

وتشتمل هذه الدعامة على اربعة عناصر وهي: ما يدخله الاسلام من قيود على تصرف المالك في ملكه في حياته ، وما يدخله من قيود على تصرفه فيما يؤول اليه ملكه بعد وفاته ، وما يدخله من قيود على حرية المالك في كسب ماله واستغلاله ، وما يضعه على كاهله من اعباء وواجبات . وسنعقد لكل عنصر من هذه العناصر الاربعة فقرة على حدة .

1 — ما يدخله الاسلام من قيود على تصرف المالك في ملكه في حياته :

لا يدع الاسلام المالك حرا يتصرف في ملكه في حياته كما يشاء وتشاؤه اهواؤه ، بل يقيد تصرفه هذا بقيود كثيرة لتحقيق الصالح العام واتقاء الضرر والضرار .

فالاسلام يحظر على المالك كل تصرف في ملكه يؤدي الى ضرر عام او خاص او ينطوي على اعتداء على حرية الآخرين . ويذهب الاسلام في هذا السبيل الى حد انه يجيز نزع الملكية او رد الاقطاع او منع الاذى اذا اساء صاحبها استخدامه لها ، وادت اساءته هذه الى الاضرار بغيره ، ولم يكن ثم وسيلة اخرى لمنعه من ذلك . وقد طبق هذا المبدأ الرسول عليه السلام على سمرة بن جندب . فقد كان لسمرة هذا نخيل في بستان رجل من الانصار ، وكان سمرة يكثر من دخول البستان هو واهله بحجة تعهد نخيله فيؤذي هذا صاحب البستان ، فشكاه الى الرسول عليه السلام فاستدعى سمرة ، بعد ان تحقق من صحة الشكوى ، وقال له بعه نخلك ، فابى . قال فاقطعه وانتفع به ، فابى . فقال هبه ولك مثله في الجنة ، فابى . فقال عليه السلام « فانت اذن مضار » اي تبتغي ضرر غيرك . ثم قال لمالك البستان « اذهب فاقلع نخله » (9) . وروى يحيى بن آدم انه كان للضحاك بن خليفة الانصاري ارض لا يصل اليها الماء الا اذا مر بارض لمحمد بن مسلمة ، فابى محمد هذا ان يدع الماء يجري في ارضه . فشكاه الضحاك الى عمر وقال له : « اعليك ضرر في ان يمر الماء بارضك . قال ولكنها ارضي امنع عنيا ما اشاء . فقال له عمر : « والله لو لم اجد له ممرا الا على بطنك لامررته ! » وهذه القصة وان لم تدل على نزع ملكية الارض الا انها نص في انه لا يجوز للمالك ان يسيء استخدام ملكه بحيث يلحق ضررا بالآخرين .

ولا يجيز الاسلام للمالك تعطيل ملكه وعدم استغلاله اذا كان في ذلك التعطيل اضرار بالمصالح العام ، ويجيز الاسلام في هذه الحالة منح الملكية لمن يقوى على استغلالها اذا كان صاحبها عاجزا عن ذلك ، وقد فعل ذلك عمر بن الخطاب مع بلال بن الحارث المزني . فقد كان الرسول عليه السلام اقطع بلالا هذا ، ارض العقيق ، وهي ارض بجوار المدينة وكانت مساحتها واسعة ، فلم يستطع الا استثمار جزء منها ، ولما تولى عمر الخلافة استدعاه وقال له : « انك قد استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضا طويلة عريضة فاقطعك اياها وان رسول الله ما كان يمنع شيئا يسأله (اي ما كان يرد سؤال سائل) وانت لا تطيق ما في يدك » قال اجل . قال « فانظر ما قويت عليه منها فامسكه ، وما لم تقو عليه فادفعه الينا نقسمه بين المسلمين » فقال لا افعل والله ولا افرط في شيء اقطعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر « والله لتفعلن » واخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين .

---

9) روى هذه القصة الامام محمد الباقر ، عن ابيه علي زين العابدين ، عن ابيه الحسين ، عن ابيه علي بن ابي طالب .

2 — ما يدخله الاسلام من قيود على تصرف المالك فيما يؤول اليه ملكه بعد وفاته :

وكما أن الاسلام لا يدع المالك حرا فى تصرفه فى ملكه فى حياته ، لا يدعه كذلك حرا فى تصرفه فيما يؤول اليه ملكه بعد وفاته ؛ بل يقيد هذا التصرف كذلك بقيود كثيرة لتحقيق الصالح العام واتقاء الضرر والضرار . وتتمثل هذه القيود فى الاحكام التى وضعها الاسلام للميراث والوصية .

فقد وضع الاسلام للميراث نظاما حكيما يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعا عادلا ، ويحول دون تضخمها ودون تجمعها فى ايد قليلة ، ويؤدى الى تقليل الفروق المالية بين الطبقات والافراد وتقريب هؤلاء واولئك بعضهم من بعض — فنظام الميراث فى الاسلام يوزع تركة المتوفى على عدد كبير من اقربائه ، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ، ويحول من جهة اخرى دون تجمع ثروات كبيرة فى يد عدد محدود من الافراد . فنظام الميراث فى الاسلام يورث الابناء واولاد الابناء والبنات ، ويورث الآباء والامهات . ويورث الاجداد والجدات ، ويورث الاخوة وابناء الاخوة والاخوات ، ويورث الاعمام وابناء الاعمام ، يورث الازواج والزوجات — فيشمل هذا النظام الحكيم لاثيث الثروة الكبيرة التى يتفق تجمعها فى يد بعض الافراد ان تتوزع بعد بضعة اجيال على عدد كبير من الانفس ، وتستحيل الى ملكيات صغيرة . وهذا هو امثل نظام لتحقيق التوازن الاقتصادي وعلاج ما عسى ان يطرا على هذا التوازن من اختلال .

ولحرص الاسلام على تحقيق هذه الاغراض حرم تحريما باتا كل اجراء يؤدى الى الاخلال بقواعد الميراث وتوعد مرتكبيه باشد عقاب فى الآخرة . وفى هذا يقول الله تعالى بعد أن قرر قواعد الميراث « تلك حدود الله ؛ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم ؛ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » (10) .

ومن اجل ذلك يرى معظم فقهاء المسلمين انه لا تصح الوصية لوارث لما ينطوي عليه هذا الاجراء من تحايل على قواعد الميراث واعطاء بعض الورثة اكثر من نصيبه الشرعى ، وعملا بقوله عليه الصلاة والسلام بعد أن نزلت آيات المواريث : « ان الله اعطى كل ذي حق حقه ؛ الا لا وصية لوارث » وحتى الذين يجيزون منهم هذه الوصية يتيدونها فى حدود الثلث من التركة (11) .

ومن اجل ذلك يرى معظم فقهاء المسلمين انه لا تصح الوصية لوارث لما ينطوي عليه هذا الاجراء من تحايل على قواعد الميراث واعطاء بعض الورثة اكثر من نصيبه الشرعى ، وعملا بقوله عليه الصلاة والسلام بعد أن نزلت آيات المواريث : « ان الله اعطى كل ذي حق حقه ؛ الا لا وصية لوارث » وحتى الذين يجيزون منهم هذه الوصية يقيدونها فى حدود الثلث من التركة (11) .

واما الوصية لغير القريب فجائزة بالاجماع لتيسير اعمال البر ؛ ولكن فى حدود ضيقة لا يضار بها الورثة ولا تتاثر بها قواعد الميراث ؛ وهى حدود الثلث من التركة عند كثير من الفقهاء (12) . وقد ترتب الشريعة الاسلامية من هذا وذاك حماية القواعد السامية التى وضعتها للميراث ووقايتها عبث المورثين واهوائهم .

---

10) الآيتان 13 ، 14 من سورة النساء ، وقد جاءتا عقب آيتى الميراث مباشرة ، وهما الآيتان 11 ، 12 من سورة النساء .

11) هذا هو مذهب الشيعة الامامية ، وقد صحت عندهم رواية الحديث المذكور آنفا فى هذه الصيغة (ان الله اعطى كل ذي حق حقه ، الا لا وصية لوارث الا فى الثلث) وعلى هذا المذهب يسير الآن التشريع المصري (قانون رقم 71 لسنة 1946) .

12) واما الاقرباء الوارثون فمعظم الفقهاء يذهبون الى أن حكمهم حكم غيرهم فى جواز الوصية لهم فى حدود الثلث ، وذهب آخرون منهم ابن حزم الى وجوب الوصية لهم اعتمادا على ظاهر قوله تعالى: « كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين » آية 180 من سورة البقرة ، فهم يرون أن الآية غير منسوخة وانها تفيد الوصية للاقربين غير الوارثين . وانه اذا لم يوص الميت لهم قام ولى الامر مقامه وقد اخذ المشرع المصري ببعض تطبيقات هذا المذهب حينما قرر فى المادتين (76 ، 77) من القانون رقم 71 لسنة 1946 م ان الميت الذي لم يكن قد اوصى لفرع ولده الذي مات قبله نجب فى تركته وصية بمقدار نصيب والده فى حدود الثلث وبشرط الا يكون قد اعطى هذا النصيب بدون عوض عن طريق تصرف آخر . وهذا هو ما يطبق عليه اسم (الوصية الواجبة) .

فأين من هذا النظام الحكيم الذي وضعه الاسلام للميراث ، واحاطه بسياج من الحماية ، أين منه نظم الغرب التي ينقل بعضها معظم ثروة المتوفى الى البكر من ابنائه ، ويدع كثير منها المالك حرا فى ان يوصى بتركته كلها او بعضها لمن يشاء . فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة فى يد عدد محدود من الافراد ، واثار هذا حفيظة الفقراء ، واورثهم الحقد على المجتمع ونظمه ، فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة ، والاتجاهات الشيوعية الفاسدة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية ابما اضطراب ، وادى هذا الى معظم الثورات والانقلابات الخطيرة التى تعرضت لها اوربا فى العصور الحاضرة .

وقد جعل الاسلام نصيب الانثى فى الميراث نصف نظير نظائرهم من الذكور فى معظم الاحوال وقد يثبت هذه التفرقة على اساس التفرقة بين اعباء الرجل الاقتصادية واعباء المرأة فى الوضع الاسلامى . فمسؤولية الرجل فى الحياة من الناحية المادية اوسع كثيرا من مسؤولية المرأة واعباؤه فيها أثقل كثيرا من اعبائها بحسب ما يقرره نظام الاسلام . فالرجل فى هذا النظام هو رب الاسرة وهو القوام عليها والمكلف بالانفاق على افرادها ، على حين ان المرأة لا يكلفها الاسلام حتى الانفاق على نفسها . فنفقتها واجبة على اصولها او فروعها او اقاربها بحسب ترتيب الفقه الاسلامى لهم فى وجوب النفقة اذا لم تكن متزوجة ، ونفقتها ونفقة بيتها واولادها واجبة على زوجها اذا كانت متزوجة ، لا فرق فى ذلك بين أن تكون موسرة او معسرة . فكان من العدالة اذن ان يكون حظ الرجل من الميراث اكبر من حظ المرأة حتى يكون له فى ذلك ما يعينه على القيام بهذه الاعباء المالية التى وضعها الاسلام على كاهله ، واعفى منها المرأة رحمة بها وحدبا عليها وصيانة لها من التبذل والامتهان وضمانا لسعادة الاسرة بل ان الاسلام قد بالغ فى رعايته للمرأة اذ اعطاها نصف نصيب نظيرها من الرجال مع اعفائه اياها من اعباء المعيشة والقائها جميعها على كاهل الرجل .

3 — ما يدخله الاسلام من قيود على حرية المالك فى كسب ماله واستغلاله :

وبجانب القيود المبينة فى الفقرتين السابقتين ، يقيد الاسلام كذلك حرية المالك فى كسب ماله واستغلاله ، فيحدد له الطرق السليمة التى يكسب منها ماله ويستثمره ويحظر عليه ما وراء ذلك من طرق التملك والاستثمار ، فيحرم الاسلام تحريما قاطعا جميع طرائق الكسب غير السليم ، وهى الطرائق التى تقوم على الربا ، او استغلال النفوذ والسلطان ، او الرشوة الظاهرة او المستترة ، او ابتزاز الناس واكل اموالهم بالباطل ، او انتهاز حالات عوزهم وحاجاتهم ، او التحكم فى ضروريات حياتهم او غش المبيعات واخفاء عيوبها ، او التطفيف فى الكيل والميزان .. وما الى ذلك من الطرق التى تتعارض مع الخلق الكريم ومع واجب الانسان نحو اخيه الانسان بحسب ما يقرره الاسلام. وقد حقق الاسلام بذلك عدة اهداف سامية :

فاوصد بذلك اهم الابواب التى تؤدي فى العادة الى تضخم الثروات فى يد بعض الافراد . وذلك ان الطرائق السليمة فى الكسب لا ينجم عنها فى الغالب الا الربح المعتدل المعقول المتفق مع سنن الاقتصاد . واما الارباح الفاحشة والثروات الضخمة فانما تكون فى الغالب نتيجة لطرائق الكسب غير السليم . ففى تحريم الاسلام لهذه الطرائق الاقتصادية تحقيق لتكافؤ الفرص بين الناس ، وقضاء على اهم عامل من العوامل التى تؤدي الى اتساع الفروق الاقتصادية بين الافراد والطبقات .

وحقق الاسلام كذلك بموقفه هذا غرضا ثالثا وهو دفع الناس الى العمل والكد لكسب المال وتنميته وصرفهم عن الكسل والبطالة والطرق المهينة الوضيعة التى تأتى بالكسب والتنمية بدون جهد ولا عناء .

فحرم الاسلام عمليات الربا تحريما باتا ، وجعلها من كبريات الكبائر ، وتوعد مرتكبيها بحرب من الله ورسوله . قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (13) ثم حث الله تعالى الدائنين على التسامح حيال المدينين الذين لا يستطيعون اداء الدين فى موعده فحبب اليهم ان يمدوا لهم فى الاجل بدون مقابل حتى يتيسر لهم اداؤه فقال : (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) . ثم تدرج فى الحث على مثل اعلى وارقى من ذلك فحبب

---

13) آيــة 278 ، 279 من سورة البقرة .

الى الدائنين ان يتنازلوا عمالهم من دين فى حالة عسرة المدين وان يتصدقوا به ابتغاء وجه الله ، وتحقيقا للتكافل الاجتماعى وحق الفقراء فى مال الاغنياء ، فقال « وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » (14) .

وحرم الاسلام كذلك استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال ، وحرم امتلاك ما ياتى عن هذا الطريق ، واجاز لولى الامر مصادرته واستيلاء بيت المال عليه لانفاقه فى المصالح العامة للمسلمين وعلى ذوى الحاجات منهم . فالاسلام هو اول تشريع سن (قانون الكسب غير المشروع) او (قانون من اين لك هذا ؟) كما يطيب لبعض الناس ان يسميه فى الوقت الحاضر .

فحرم الاسلام الرشوة الظاهرة التى تقدم الى الحكام لتحقيق نفع مادي او ادبى أو لتيسير الاستيلاء على اموال الناس بالباطل . وفى هذا يقول الله تعالى : « ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » (15) .

وحرم الاسلام كذلك الرشوة المستترة ، وهى التى تتمثل فى هدايا تقدم الى الحكام والموظفين لتحقيق غرض غير مشروع ، واجاز للولى الاستيلاء على هذه الهدايا وضمها الى بيت المال .

وقد طبق هذا المبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، فقد روى البخاري فى صحيحه انه اقبل يوما على الرسول عليه السلام ابن اللتبية (وهو رجل من بنى لتب من الازد — كان الرسول عليه السلام قد استعمله على صدقات بنى سليم ، اي على جمع الزكاة منهم ، وكان قد اهدى اليه فى اثناء قيامه بوظيفته بعض الهدايا) فقسم الرجل ما معه قسمين ، وقال للنبى عليه السلام هذا لكم وهذه هدايا اهديت الى . فظهر الغضب فى وجه النبى عليه السلام وقام فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « أما بعد فانى استعمل رجالا منكم فى امور مما ولانى الله ، فياتى احدهم فيقول : هذا لكم وهذه هدايا اهديت الى . فهلا قعد فى بيت ابيه او قال بيت امه ، فينظر ايهدي اليه ام لا ؟ ! — والذي نفسى بيده لا ياخذ منه شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته » . اي ان ما جاءه من هدايا لم يهد اليه لشخصه ، بل اهدي اليه لوظيفته وطمعا فى استغلال نفوذه ، ولو انه لم يكن موظفا وقعد فى بيته ما اهدي اليه شيء . ثم صادر الرسول عليه السلام جميع الهدايا التى اهديت الى ابن اللتبية وضمها الى بيت المال . وطبق هذا المبدأ فى نطاق واسع من بعد الرسول عليه السلام عمر بن الخطاب فى ايام خلافته فكان يصادر ما كان يكسبه الولاة من اعمال لا يجوز لهم الاشتغال بها كالتجارة وما اليها وما كان ياتيهم من هدايا واموال نتيجة لاستغلال نفوذهم وجاههم . فعل ذلك مع ولاته على البصرة ، بل يقال انه فعله مع ابى هريرة عامله على البحرين ومع عمرو بن العاص عامله على مصر .

وحرم الاسلام كذلك غش المبيعات واخفاء عيوبها . وفى هذا يقول الرسول عليه السلام : « من غشنا فليس منى » ويقول : « البائعان بالخيار ما لم يفترقا . فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » وتجيز الشريعة الاسلامية للمشترى رد المبيع اذا ظهر فيه عيب اخفاه عنه البائع ، وهذا هو ما يسميه الفقهاء « خيار العيب » ولولى الامر ان يوقع من العقوبات على مرتكبى هذه الجرائم ما يراه كافيا لردعهم وزجر غيرهم ، وقد ثبت ان عمر رضى الله عنه اراق اللبن المغشوش بالماء تاديبا للغاش وزجرا للناس عن غش المبيعات .

وحرم الاسلام كذلك التطفيف فى الكيل والميزان ، وتوعد مرتكبيه بعذاب شديد فى الآخرة . وفى هذا يقول الله تعالى : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون . الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » (16) .

ويقص علينا القرآن الكريم قصة اصحاب الايكة الذين كانوا يطففون الكيل والميزان وارسل الله اليهم شعيبا لهدايتهم ونهيهم عن ذلك ، فلم ينتهوا ، فاهلكهم الله بذنوبهم فى الدنيا واعد لهم عذابا اليما فى الآخرة » (17) .

---

14) آية 280 من سورة البقرة .
15) آية 189 من سورة البقرة .
16) الآيات الاولى من سورة المطففين .
17) آيات 176 — 191 من سورة الشعراء .

وحرم الاسلام كذلك احتكار الضروريات للتحكم فى اسعارها . وفى هذا يقول الرسول عليه السلام : « من احتكر طعاما اربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » — ويقاس على ذلك احتكار صنف ما فى التجارة او الصناعة للتحكم فى السوق ، متى كان فى ذلك اضرار بالمستهلكين ، عملا بالقاعدة الاسلامية التى تخضع لها جميع المعاملات ، وهى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولا ضرار » .

4 — ما يضعه الاسلام على كاهل المالك من اعباء وواجبات :

لا يكتفى الاسلام فى سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية بتقييد حرية المالك فى تصرفه فى ملكه فى حياته وبعد مماته وكسب ماله واستغلاله بالقيود السابق بيانها ، بل يضع كذلك على كاهله واجبات واعباء ، مالية كثيرة يؤديها للدولة وللمجتمع وللصالح العام وللفقراء والمساكين فى مقابل تمتعه بما بقى له من حقوق .

وترجع اهم هذه الاعباء الى سبعة انواع ، وهى : الزكاة والخراج والضرائب والصدقات الموسمية والكفارات وواجبات التكافل الاجتماعى والصدقات المستحبة .

وسنعقد فيما يلى لكل عبء من هذه الاعباء فقرة على حدة ، ونختم البحث بفقرة شاملة نشرح فيها دعوة ابى ذر الغفارى لعلاقتها بموضوع الصدقات ونبين اتفاقها مع روح الاسلام وبعدها عن الشيوعية .

1) الزكاة :

فرض الاسلام على كثير من انواع الثروة ومظاهر النشاط الاقتصادي مع انواع الزكاة ما يكفل تحقيق العدالة الاجتماعية ، ويحول دون تضخم الملكيات وتجمعها فى ايد قليلة ويؤدي الى تقليل الفروق المالية بين الطبقات والافراد وتقريب هؤلاء واولئك بعضهم من بعض ، ويسد حاجات المعوزين ، ويعمل على اشاعة روح التعاون والتكافل والتواصى بالبر والخير والعدل والاحسان .

تفرض الاسلام الزكاة فيما تنتجه الارض وفيما يملكه الفرد من الذهب والفضة والانعام وعروض التجارة بالشروط والمقادير المبينة فى كتب الفقه الاسلامى .

والاصل فى الزكاة بجميع انواعها ان تدفع الى بيت المال ، وبيت المال يقوم بصرفها فى مصارفها التى حددتها الشريعة الاسلامية ومن اهمها الانفاق على الفقراء والمساكين وذوى الحاجة وفى سبيل الله (18) .

وقد جعل الاسلام الزكاة من اهم اركانه ، وقرنها دائما بالايمان بالله وبالصلاة ويلغ من اهتمام الاسلام بامرها ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه قد حارب القبائل التى امتنعت بعد وفاة الرسول عليه السلام عن اداء الزكاة ، حتى من بقى منهم على اسلامه واعتبر هؤلاء فى حكم المرتدين ، وقال فى ذلك قولته المشهورة : « والله لو منعونى عناقا (وهى الانثى الصغيرة من ولد المعز وفى رواية عقال بعير (19) — كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ولو وحدى ، ما امتسك السيف بيدي لقد كمل الدين وتم الوحى (20) ، او ينتقص وانا حى ؟ ! » ، تنضى بذلك على اكبر فتنة كانت تهدد الاسلام ونظمه الاقتصادية الفتية .

هذا ، وتختلف الزكاة عن كثير من انواع الضرائب المقررة فى الوقت الحاضر فى انها لا تفرض على ما تنتجه رؤوس الاموال فحسب ، بل تفرض كذلك على رؤوس الاموال المنقولة نفسها . فاذا تعطل راس المال المنقول عن الكسب فانه لا يلبث ان يذهب الزائد منه عن النصاب زكاة فى نحو اربعين عاما . وذلك فى الاموال التى تقدر زكاتها سنويا بربع عشرها ، وهى تشمل الذهب والفضة وعروض التجارة ، وحتى اذا لم يتعطل راس المال المنقول عن الكسب فان

---

18) انظر فى مصارف الزكاة كتب الفقه الاسلامى ، وقوله تعالى : (انما الصدقات للفقراء والمساكين . . الآية) وهى آية 20 من سورة التوبة ، وتفسير هذه الآية فى كتب التفاسير .

19) كان يجب على دافع زكاة الانعام ان يقدم الى جامع الزكاة عقال ما يدفعه اليه من انعام ، حتى لا يحتمل بيت المال ثمن هذا العقال .

20) يشير بذلك الى قوله تعالى : (اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا) (من آية 3 من سورة المائدة) .

متابعة أخذ الزكاة منه سنويا بالمقدار المقرر تنتضيه دائما من اطرافه وتحول دون تجمع ثروة كبيـــرة فى يد صاحبـــه .

ب) الخـــراج :

وفى عهد عمر رضى الله عنه فرض الخراج (وهو ما نسميه الآن بالاموال الاميرية المقررة على الاراضى المنزرعة) وذلك أنه لما فتحت فى عهده أرض العراق رغب بعض الصحابة فى أن توزع على الفاتحين . فأبى عليهم ذلك ذاهبا الى انها بهذا التوزيع تؤول الى قلة من الناس فى حين أن الدولة تحتاج فى المستقبل الـى المال للخدمات العامة ومرافق البلاد وشؤون الموظفين ومقتضيات الجيش والجهـــاد . . وما الى ذلك ، ورأى ابقاء حق الرقبة فى هذه الارض للدولة وترك الزراع يسيطرون على ان يلتزموا للدولة بدفع ضريبة معينـة على كل مساحة من الارض يزرعونها ، واطلق على هذه الضريبة اسم الخراج . وانتهى امر الصحابـة بموافقتهم على هذا الاجراء فاصبح تشريعا ، ويخصص الخراج للمصالح العامة للمسلمين . ويدخل فى ذلـك (اصلاح حال المسلمين وارزاق (أي مرتبات) الموظفين والولاة والقضاء وأهل الفتوى من العلماء ورجـال الجيش وتعبيد الطرق وعمارة المساجد والربـاطـات والقناطر والجسور واصلاح الانهار . . وما الـــى ذلـــك) (21) .

ج) الضـــرائـــب :

ويجيز كثير من الفقهاء للامام أن يفرض مـــن الضرائب الدائمة او المؤقتة ما تدعو اليه الحاجـة وتستقيم به احوال المسلمين وتقتضيه شؤون الدفاع عن البلاد ، اذا لم تكف الموارد الثابتة لذلك وعلى هذا الاساس فرضت فى عهود الخلافة الاسلامية ضرائب على الواردات ، وعلى التجار الذين يمرون ببعض نقط المراقبة فى البلاد الاسلامية ، وعلى السفن التى تمر بموانئ هذه البلاد ، وعلى الحوانيت ودور سـك النقـود . . وعلى انواع اخرى كثيرة من هذا القبيل .

ولما أخذ ملك مصر المظفر قطز بعد العدة لضرب التتار واجلائهم عـــن دمشق وما احتلوه من مـــدن سوريا ، وجد بيت المال خاويا ، فاتجه الى العز بن عبد السلام كبير فقهاء عصره وقاضى قضاة الشافعية يستفتيه فى ضرائب يفرضها على الناس لحماية الدولة وتجهيز الجيش ، فافتاه بجواز ذلك اذا لم يكف لهذا الغرض ما فى خزائن الدولة وما يملكه الامراء . ففرض الملك المظفر قطز بعد هذه الفتوى ضريبـة دفـــاع مقدارها دينار على كل رجل وامراة ، وأخذ الاوقاف الخيرية قبل ميقاتها بشهر ، وعجل الزكاة سنة وأخذ من التركات ثلثيها (22) ؛ وبفضل ذلك كتب للجيش المصري النصر على جيوش التتار فى موقعة (عـــين جالوت) سنة 658 هجرية ، فانقذ بذلك الاســـلام والحضارة الانسانية من شرور اولئك الوحوش .

د) الصدقـــات الموسميـــة :

واوجب الاسلام على الاغنياء والقادرين فى بعض مواسم تتكرر كل عام وفى بعض اعياد ومناسبات أن يخرجوا من اموالهم صدقات للفقراء والمساكين او جعل ذلك سنة مؤكدة ، ومن أهم هذه الصدقات ، زكاة الفطر التى يخرجها رب الاسرة فى يوم عيد الفطر عن نفسه وخدمه ومن تجب عليهم نفقتهم من افراد اسرته ؛ والتى قال الرسول عليه السلام بشأنها (ان صيام رمضان معلق بين السماء والارض لا يرفع الا بزكاة الفطر) ويتصدق بها على الفقراء والمساكين وذوى الحاجـــة او يدفع بها الى بيت المال ويتولى بيت المال انفاقهـا فى مصارفها . ومن هذه الصدقات كذلك الضحايا التى تنحر فى عيد الاضحى والهدى الذي يجب أن يستحب للحاج نحره ، وكلاهما يخصص كله او معظمه او قسم منه للفقراء والمساكين . قال تعالى فى بيان طريقـة الانتفاع ببعض ذبائح الهدى (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) (23) — وقال فى آية اخرى : (فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) (والقانع السائل . والمعتر الذي يطيف ولا ينـال) .

---

21) هذه هى عبارة الميداني على القدوري من كتب الفقه الحنفى انظر صفحتى 276 ، 277 من هذا الكتاب ، وانظر تفاصيل هذا الموضوع فى كتاب الخراج للامام ابى يوسف تلميذ ابى حنيفة وكتاب الخراج لابى يعلى الموصلى من كبار فقهاء الحنـابلـــة .

22) انظر تاريخ ابن اياس ، وصفحة 137 مـــن كتاب (ابن تيمية) لمرحوم الشيخ محمد ابو زهرة .

23) آيـــة 28 من سورة الحـــج .

هـ) الكفـــــارات :

وعمد الاسلام الى طائفة من المخالفات والخطايا التى يكثر حدوثها وجعل كفارتها اخراج الاموال والتصدق بها على الفقراء والمساكين . والتعبير هنا بكلمـــة (التصدق) تعبير غير دقيق ، لاننا لسنا بصدد صدقة ولا احسان ، بل بصدد امر واجب حتمى ، فجعـل الاسلام ذلك كفارة للحنث فى اليمين ، والظهار (وهو ان يقول الرجل لامراته انت على كظهر امى أو عبارة من هذا القبيل ثم يرغب فى مراجعتها ؛ وكانت هـذه المخالفات كثيرة التردد على البيئة العربية) وليعض المخالفات التى تحدث فى مناسك الحج ؛ ولبعـض انواع الفطر فى رمضان ، قال تعالى فى كفارة اليمـين (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين مـن اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم . .) (24) .

وقال فى كفارة الظهار : (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا . . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين . . فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) (25) — وقال فى مخالفات الحج وما يعرض فيه من ضروريات : (واتموا الحج والعمرة لله ، فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية مـن صيام او صدقة او نسك (اي ذبيحة) فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى (26) . ويقول : (يايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة ، او كفارة طعام مساكين . .) (27) وقال فى الكفارة الواجبة فى بعض انواع الفطر فى رمضان : (وعلى الذين يطيقونه (اي لا يستطيعون الصوم الا بصعوبة كبيرة لشيخوخة او مرض لا يرجى برؤه) « فدية طعام مسكين » وفى قراءة (مساكين) (28) . وجاء رجل الى النبى عليه السلام يسأله عن كفارة جماعه لامراته عمدا فى نهـار رمضان ، فقال له : (هل عندك ما تعتق به رقبة) قال لا : قال (فهل تستطيع صيام شهرين متتابعين قال لا ؛ قال : (فهل عندك ما تطعم به ستين مسكينا) . . (الحديـث) (29) .

و) واجبات التكافل الاجتماعى :

وضع الاسلام امثل نظام للتكافل والتعـــاون الاجتماعى ، وسن احكاما كثيرة لتحقيق هذا التكافـل وهـذا التعـاون .

فاوجب على الاغنياء ان ينفقوا على الفقـراء والعاجزين عن الكسب من اقربائهم على ما هو مفصل فى كتب الفقه الاسلامى . فتحقق بذلك التكافل الاجتماعى فى نطاق الاسرة .

واوجب على اهل كل حى وقرية ومدينة ان يعيش بعضهم مع بعض فى حالة تكافل وتعاون يرق غنيهـم لفقيرهم ، ويسد شبعانهم حاجة جائعهم ، حتى لقـد ذهب جماعة من الفقهاء منهم ابن حزم الى مسؤولية البلد الذي يموت احد افراده جوعا فيدفع اهله الديـة متضامنين الى اهله كانهم شركاء فى موته ، لتقصيرهم فى واجب التكافل الاجتماعى . وفى هذا يقول الرسول عليه السلام : « ايما اهل عرصة امسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله » . فحقق الاسلام بذلك التكافل الاجتماعى فى نطاق الحى والقريـــة والمدينـــة .

واوصى القرآن بالجار القريب والجار البعيد فى اكثر من آية . ومن ذلك قوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين ، والجار ذي القربى والجـــار

---

24) آيـــة (89) من سورة المائدة .
25) آية 3 ، 4 من سورة المجادلة .
26) آيـــة 196 من سورة البقرة .
27) آيـــة 95 من سورة المائدة .
28) آيـــة 184 من سورة البقرة .
29) اخرجه البخاري فى باب الصوم .

الجنب » (30) فقرن وجوب الاحسان بالجار القريب والجار البعيد بوجوب عبادة الله وعدم الشرك به ووجوب الاحسان الى الوالدين واوصى الرسول عليه السلام بالاحسان الى الجار فى اكثر من حديث ، فمن ذلك قوله عليه السلام : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع » ، وقوله : « خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » فحقق الاسلام بذلك التكافل الاجتماعى فى نطاق الجوار .

ولا يفرق الاسلام فى ذلك بين الجار المسلم وغير المسلم ، فعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فاما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له » اي لا تربطه بجاره المسلم رابطة دين ولا رابطة قرابة ، ومع ذلك يجب على جاره المسلم أن يحسن اليه لان له عليه حق الجوار « واما الجار الذي له حقان فجار مسلم لا رحم له ، له حق الجوار وحق الاسلام ، واما الجار الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم ، له حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة » . وروى مجاهد قال كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يذبح شاة ، فقال ابن عمر لغلامه اذا سلخت حذه الشاة فابدا بجارنا اليهودي ، ثم كرر ذلك عدة مرات . فقال له مجاهد متعجبا من الحاحه فى هذا الطلب مع ان الجار يهودي : كم تقول هذا يابن عمر ؟ فقال اننى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه » اي سيجعل له نصيبا من تركتنا بعد وفاتنا . ولم يفرق الرسول فى ذلك بين الجار المسلم وغير المسلم (31) .

واوجب الاسلام فى حالات الشدة والضرورة والازمات الاقتصادية ان يعود القادر على المحتاج بما يسد حاجته ، روى ابو سعيد الخدري حال النبى فى سفر وشدة ، فقال كنا فى سفر وشدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان عنده فضل ظهر (اي مطية) فليعد به على من لا ظهر له » ثم اخذ يعدد من اصناف الاموال حتى ظننا ان ليس لنا من مالنا الا ما يكفينا (32) . وعن ابى موسى الاشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الاشعريين (وهم رهط ابى موسى الاشعري) اذا ارملوا فى الغزو او قل طعام عيالهم فى المدينة جمعوا ما عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى اناء واحد بالسوية ، فهم منى وانا منهم » (33) وبذلك حقق الاسلام التكافل الاجتماعى فى اوقات الشدة والضرورة والازمات الاقتصادية

ز) الصدقات المستحبة :

وقد حبب الاسلام الى الاغنياء التصدق على الفقراء والمساكين بفضل اموالهم زيادة على الاعباء السابق ذكرها ، وجعل هذا التصدق من اكبر القربات واعظمها (اجرا) وجعل اكتناز الذهب والفضة وعدم انفاقها فى سبيل الله من كبريات المعاصى وتوعد المكتنزين بأشد عقوبة يوم القيامة والآيات القرآنية التى وردت فى ذلك تجل عن الحصر ولا تكاد تخلو منها سورة القرآن الكريم (34) .

وبعض آيات القرآن الواردة فى هذا الصدد تدل على ان الاسلام لا ينظر الى هذا النوع من الانفاق على انه احسان وتصدق ، بل على انه حق للفقراء فى مال

---

30) آية 36 من سورة النساء ، وقيل فى معانى الجار ذي القربى والجار الجنب ، أن الاول هو الجار القريب فى المكان او فى النسب ، والاخر هو الجار البعيد فى واحد منهما او فى كليهما .

31) راجع اسناد الاحاديث المذكورة فى الجار فى تفسير ابن كثير لقوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا . . » (آية 36 من سورة النساء) ، وفى احياء علوم الدين للغزالى وتخريج العراقى لاحاديثه فى الهامش ، صفحات 188 — 191 من الجزء الثانى ، طبعة مصطفى الحلبى عام 1346 هـ .

32) اخرجه البخاري فى صحيحه .

33) اخرجه البخاري فى صحيحه .

34) من ذلك آيات 254 ، 260 الى 273 من سورة البقرة ، وآيتى 34 ، 35 من سورة التوبة وآيات 6 الى من سورة الانسان ، وآيات 17 — 21 من سورة الليل .

الاغنياء قال تعالى يصف المؤمنين : « والذين فى اموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » (35) وقال : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون 7 (36) فوجب فى هاتين الآيتين هذا النوع من الانفاق على انه حق للفقراء لا مجرد احسان من الاغنياء .

وكثير من آيات القرآن الواردة فى هذا الصدد تدل كذلك على ان الاسلام ينظر الى التملك على انه مجرد وظيفة يقوم صاحبها بانفاق المال على مستحقيه ، وينظر الى المالك على انه مستخلف على ثروته من قبل الله لانفاقها فى سبيله وفى هذا يقول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير » (37) .

بل لقد حبب الاسلام الى الاغنياء ان ينفقوا الفضل من اموالهم فى سبيل الله والمصلحة العامة وسد حاجات المعوزين . والفضل من المال هو ما كان زائدا عن حاجة الفرد وحاجة من يعولهم ولا يؤدي انفاقه الى اضطراب فى حياته ولا فى حياتهم الحاضرة والمستقبلة .

وفى الحث على هذا الانفاق يقول عليه الصلاة والسلام : « ما احب ان يكون لى مثل احد ذهبا انفقه فى سبيل الله اموت واترك منه قيراطين » اي انه ليؤلمه ان يكون له مثل جبل احد ذهبا يظل ينفق منه على الفقراء والمساكين وذوى الحاجة ، ثم تعجله المنون وفى يده منه قيراطان لم ينفقهما بعد فى سبيل الله .

وليس معنى هذا ان الاسلام يحبب الى الاغنياء ان ينسلخوا من جميع ما يملكون ويقدموه صدقة للفقراء والمساكين ، بل ان الاسلام ليكره المسلك كل الكراهية . ويوجب على الفرد ان يبقى من اموالة ما يكفى لحاجته وحاجة من يعولهم . وكل ما يحبب فيه الاسلام هو انفاق ما زاد عن هذا القدر ، وما لا يؤدي انفاقه الى اضطراب ما فى حاضر حياتهم ومستقبلها . وفى هذا يقول الله تعالى : « يسالونك ماذا ينفقون قل العفو » (38) والعفو هو السهل اليسير الذي لا

---

35) آيتى 24 ، 25 من سورة المعارج .
36) آية 38 من سورة الروم .
37) آية 70 من سورة الحديد .
38) آية 219 من سورة البقرة .
39) آية 118 من سورة التوبة .

يؤثر فى حياة الفرد . وقد ثبت ان الرسول عليه السلام كان يرد صدقة من يريد التصدق بجميع ماله . فقد جاءه يوما رجل بمثل بيضة ذهب وقال يا رسول الله اصبت هذا من معدن ، فخذها فهى صدقة ، ما املك غيرها فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم مرارا وهو يردد كلامه هذا ، وبعد لاي اخذها منه وحذفه بها ، فتخطأته ، ولو اصابته لاوجعته . وقال : « ياتي احدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ، فيتكفف الناس ! ! خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى » . واخرج البخاري من ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، وابدا بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى » اي ان تظل غنيا تتصدق على الناس وتكون يدك هى العليا ، خير من ان تنسلخ عن جميع اموالك ، فتتكفف الناس ، فتصبح يدك هى السفلى ، واخرج البخاري عن الزهري عن سعد بن ابى وقاص قال عادنى النبى صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع من مرض اشفيت منه على الموت ، فقلت يا رسول الله بلغ بى من الوجع ما ترى ، وانا ذو مال ولا يرثنى الا ابنة لى واحدة ، قال افاتصدق بشطره ؟ (اي بنصفه) ، قال لا ، افاتصدق بثلثى مالى ؟ قال لا قال فالصدق بثلثه ؟ قال : « فالثلث يا سعد والثلث كثير فانك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس » وروى كعب بن مالك (وهو احد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله فى غزوة تبوك وامر الرسول عليه السلام اصحابه بمقاطعتهم عقابا لهم ، وظلوا كذلك مدة طويلة حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت ، ثم تاب الله عليهم ، ونزل فيهم قوله تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا الا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » (39) ـ انه بعد ان يطفه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضى عنه وان الله قد تاب عليه ، جاء الى النبى صلى الله عليه وقال له يا رسول الله قد جعلت توبتى عن التخلف عن الجهاد فى غزوة تبوك ان انخلع عن جميع مالى صدقة

الى الله ورسوله فقال له : « امسك عليك بعض مالك فهو خير لك » فقال فانى امسك سهمى الذي بخيبر (40) .

ح — دعوة ابى ذر الغفاري واتفاقها مع روح الاسلام وبعدها عن الشيوعية :

قام ابو ذر الغفاري رضى الله تعالى عنه فى عهد عثمان بن عفان يدعو الاغنياء الى ان ينفقوا فى سبيل الله والبر بالفقراء والمساكين وذوى الحاجة جميع ما فضل من اموالهم عن حاجاتهم وحاجات من يعولونه وينهاهم عن البذخ والترف واكتناز الاموال والترفع على الفقراء والمستضعفين من الناس .

وكان ابو ذر يعتمد فى دعوته هذه على احاديث كثيرة سمعها هو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواها غيره كذلك ، واشرنا الى بعضها فيما سبق . منها ما رواه هو عن النبى عليه السلام قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو احد (وهو جبل بجوار المدينة حدثت فى الغزوة المسماة باسمه) فقال عليه السلام يا ابا ذر ، فقلت لبيك يا رسول الله بابى انت وامى قال انبصر احدا ، فنظرت الى الشمس ما بقى من النهار وانا اظن ان رسول الله سيرسلنى فى حاجة ناحية أحد ، فقلت نعم يا رسول الله ، قال : « ما احب ان يكون لى مثل احد ذهبا انفقه فى سبيل الله اموت واترك منه قيراطين » . قلت او قنطارين يا رسول الله . قال بل قيراطين . اى انه ليؤلمه ان يكون له مثل جبل احد ذهبا يظل ينفق منه على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات ثم تعجله المنون وفى يده منه قيراطان لم ينفقهما بعد فى سبيل الله . ومن هذه الاحاديث كذلك قوله : « عهد الى خليلى رسول الله ان اى مال ذهب او فضة اوكى عليه (اى ربط عليه واذخر) فهو جمر على صاحبه حتى يفرغه فى سبيل الله » .

وقد دعا ابو ذر الى مبادئه هذه وهو بالشام فى ايام ولاية معاوية بن ابى سفيان من قبل عثمان بن عفان ، ولم يرتح معاوية لدعوته ، وخاف ان تحدث فتنة وان ينال نظام المال من جرائها اضطراب ، وحاول ان يثنيه عنها ، فلم يستطع ، فكتب بشأنه الى عثمان . فطلب اليه عثمان ان يرسله اليه فى المدينة . ولما عجز عثمان كذلك عن ملمه عن نشر دعوته ، وراى تماديه فى الاجتماع بالناس وبثهم مبادئه ، اضطر الى نفيه الى الربذة ، وهى قرية صغيرة فى ضواحى المدينة ، فظل بها حتى وافته منيته رضى الله عنه .

هذا ، ولم تشتمل دعوة ابى ذر هذه على افراط ولا مبالغة الا من ناحية واحدة وذلك ان ابا ذر كاد يوجب على الاغنياء ان ينفقوا فى سبيل الله وسد حاجات المعوزين جميع ما فضل من اموالهم عن ضروريات حياتهم وحياة من يعولونهم ، على حين ان الاسلام يحبب الى الاغنياء هذا المسلك كما تقدم بيان ذلك فى الفترة السابقة ولكنه لا يوجبه عليهم ايجابا ، بل يعد المسلم مؤديا لواجبه المالى ما دام لم يقصر فيما فرضته الشريعة او اوجبته عليه من زكاة وضرائب وصدقات مقررة ونفقات على الاهل وما الى ذلك .

بيد ان هذا — كما لا يخفى — هو اضعف الايمان ، ومن فوقه منازل رفيعة فى الاسلام تتقدم فى سموها وقربها الى الله تعالى حتى تصل الى المثل الاعلى الذى حث عليه ابو ذر واستمده من روح الاسلام ومثاليته .

وقد اخطأ كثير من الباحثين اذ يعدون تعاليم ابى ذر الغفاري والتعاليم المشبهة لها فى الاسلام من قبيل الاتجاهات الشيوعية . والحق انها هى والشيوعية على طرفى نقيض ، فهذه التعاليم اذ تحث الملاك على اداء زكاة اموالهم وعلى البر بالفقراء وذوى الحاجة ، تعمل بذلك على تثبيت الملكية الفردية وحمايتها من كل ما يتهددها من ثورة او انتفاض من جانب الفقراء والمحرومين كما تعمل بذلك ايضا على اتقاء الصراع بين طبقات الاغنياء والفقراء ، وبين اصحاب رؤوس الاموال والعمال وعلى اقرار التعايش السلمى بين الناس ، على حين ان الشيوعية تعمل على الغاء الملكية الفردية وجعل الملكيات كلها ملكيات جماعية ، وتمهد لذلك باثارة الصراع بين الطبقات . ومن ثم تعد دعوة ابى ذر الغفاري وجميع التعاليم المسمحة التى من طرازها من الد خصوم الشيوعية ومن اشد ما يوضع فى سبيل انتشارها من معوقات .

---

(40) اخرجه البخاري .

(خـــاتمـــة)

مما تقدم يتبين لنا صدق ما ذكرناه فى خاتمـــة هذا البحث من أن نظام الاقتصاد فى الاسلام نظام نسيج وحده ، منقطع النظير بين النظم الاقتصادية المطبقـــة فى الوقت الحاضر ، لا يدانيه نظام منها فى دقته وسموه ومبلغ تحقيقه لخير الافراد والجماعات ، له مقوماتـــه ومثاليتـــه الخاصة بـــه .

د. على عبد الواحد وافى

● قال النبي صلى الله عليه وسلم : من أعطى حظه من الرفق ، فقد أعطى حظه من الخير كله ، ومن حرم حظه من الرفق فقـــد حـــرم حظه من الخير كلـــه ..

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه وهو أمير المؤمنيـــن : يا ابت مالك لا تنفذ الامور فو الله لا ابالي فى الحق لوغلت بي وبك القدور فقال له عمر : لا تعجل يا بني فان الله تعالى ذم الخمر فى القرءان مرتين وحرمها فى الثالثة ، وانا اخاف أن احمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكـــون فتنـــــة ...

أثر الرسالة النبوية في الحضارة الانسانية

للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري

● شارك الاستاذ عمر بهاء الدين الاميري بهذا البحث في المؤتمر العالمي للسيرة النبوية المنعقد اخيرا في اسطنبول بتركيا .

بسم الله رب العالمين ، قاهر الجبارين المكابرين ناصر المؤمنين الصادقين ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولو كره الكافرون والمشركون ....

صلاة الله وسلامه عليك ، ايها الصادق الامين ، يا محمد ، يا خاتم الانبياء والمرسلين ، يا صفوة الخلق ورحمة العالمين ...

احييكم ايها الاخوة في الله ، بتحية الاسلام الطيبة الخالصة ، واعانقكم من صميم القلب واعماق الحب ، فسلام الله عليكم ورحمته ورضوانه ، وبركاته وانعامه واحسانه .

وبعد ، فانه ليوم عظيم عظيم ، هذا الذي نجتمع به في عاصمة من اكبر واخطر عواصم الاسلام ، ماضيا وحاضرا ، ومستقبلا زاهرا .

استامبول مدينة المئاثر والمآثر ، وبلد كرام الاجداد وجليل الامجاد .

استامبول ، عاصمة الدولة العلية ، والخلافة العثمانية ، التي كان ابناؤها بالاسلام وللاسلام معاقل وحصونا ، فحافظت على وحدة امتنا ومجدها ، قرونا ... وقرونا ..

فالشكر لله العلي القدير جل جلاله على لقاء الاشقاء المؤمنين ، وعملهم مجتمعين مؤتمرين ، لاحياء سيرة خاتم الانبياء والمرسلين ، رسول الحق ، سيد الخلق ، هادي الاولين والآخرين الى الاسلام ، دين الله المبين ... ان الدين عند الله الاسلام ، ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ..

يا رب ، ايمانا بك ، واخلاصا لك ، واعتمادا عليك ..

يا رب ، انبعاثا في سبيلك ، وجهادا لاعلاء كلمتك واستمدادا من تسديدك وتاييدك .. انت القادر ، وانت القاهر .. وانت الغالب .. وانت الناصر .. ونحن عبادك عبادك ... تلتمس طولنا من طولك ، ونخرج عن حولنا لحولك ، لا اله الا انت ، ولا حول ولا طول ، ولا عزة ولا قوة ، الا بالله رب العالمين ، له الحمد وله المجد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

وبعد فاسمحوا لي ايها الاخوة الاحباب أن تكون كلمتي بينكم قصيرة مكثفة ، ضنا بوقتكم ، واعتمادا على رصيدكم الكبير الجدير من العلم والفهم :

سأتناول بشكل موجز مركز ، أيها الحفل الكريم:

اثر الرسالة المحمدية في الحضارة الانسانية :

أرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، على فترة من الرسل ، وقد فشت في المجتمع البشري أنـــواع الجاهليات : جاهلية الكفر .. وجاهلية الشـــرك .. وجاهلية الظلم ... فانحدرت بالانسان عن المقام الذي خلقه الله له : « خليفة في الارض »

كانت هناك مظاهر حضارية ذات شـــأن ، ولا سيما في بلاد الفرس والروم .

أما الحقيقة الحضارية الانسانية السوية ، فلم يكن لها وجود فعال .. كانت قوى البغي متسلطة على عباد الله ، تتخذ بعض بني آدم ، مجرد سلعة او متعة.. فالضعيف الفقير — ولو كان موهوبا وصاحب حق — يمتهن ويتاجر به .. يلحق بالارض يباع صغيرا ..

والمرأة ، من جهة ، حيوان نجس لا تدخـــل ملكوت السماوات ، وقد خلقت لخدمة الرجل .. وهي ، من جهة ثانية ، اداة استلذاذ واستمتاع ..

والوليد البـــر ، عبء ثقيل ، لا يستراح منـــه الا ببيعه او بالتخلي عنه ، يقتل وادا ، او يتخذ عبدا..

والحكام الاكاسرة والقياصرة ، ومن يـــدور في افلاكهم .. اذا تهادنوا ، غرقوا في الملذات الشهوانية والترف المفرط الى درجة الانحلال ..

واذا تخاصموا ، اشعلوا نيران الحـــروب ، وجعلوا حلفاءهم وشعوبهم لها وقودا

والله جل وعلا ، مطلع عليم حكيم .. يغضبـــه كل القصب ، ان يتعطل المعنى الانساني ، ويختـــل المقصد الرباني .. وهو الذي يأمر بالعدل والاحســـان وايتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي .. وقد حرم الظلم على نفسه ، وجعله محرما على عباده وهو يمهل ولا يهمل ..

وعكذا كـــان .. وحم الامـــر ..

وولد محمد بن عبد الله في « مكة المكرمة » مركز الكرة الارضية ، بلد البيت العتيق ، الذي رفع قواعده أجداده ابراهيم واسماعيل .. وجعله الله مثابة للناس وامنا ..

نشأ محمد بأعين الله ورعايته ، من اسرة مجد وخير وبركة ، في محيط عربي صحراوي ، وكانت له في حياته تأثرات انسانية فذة لا يتسع المجال للحديـــث عنها ..

حتى اذا كان الاجل المرصود ، اصطفاه اللـــه جل جلاله ، هاديا داعيا معلما متمما لمكارم الاخلاق .. فكان خاتم الانبياء والمرسلين .. وكان رحمة للعالمين ..

وأخذ يستقيم أمر الانسانية بعد اعوجـــاج .. وكان ذلك ايذانا بوضع حجر الاســاس ، لصرح أمثل حضارة انسانية ، قامت في الوجود ، جدارة وصدارة.. صلاحا وفلاحا .. صعودا وصمودا .. وملاءمـــة للانسان : اي انسان في كل زمان ومكان ..

ان الدين عند الله الاســلام . اجل ، ان الدين عند الله الاسلام ، بعث به كل الانبياء والرسل ، على اســاس توحيدي واحد ، وشرائع متعددة متجددة تلبي حاجات الامم والاقوام ، في كل عصر ومصر .

اما محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد بعـــث بالاسلام القمة للناس كافة .. مصدقا لما بين يديـــه ، ومهيمنا عليه .. واكمله الله له اكمالا تقتضيه عالميتـــه الممتدة .. فتوفر لدين محمد بذلك ، الثبات والتطور في وقت معا ، وكان اعجازه الاكبر ، استيعابه للكلية الانسانية المطلقة ..

اقام محمد صلى الله عليه وسلم « الانسان » في مقامه الاصيل « خليفة » يحمل « الامانة » ويتمتـــع بالعقل المميز ، والقدرة على الاختيار .. فاعاد الـــى بني آدم بذلك ، الهبة النعمة الالهية الكبرى ، التـــي كثيرا ما فرطوا بها وضيعوها ، وسلبها بعضهم مـــن بعض ، الا وهي « الكرامة » ..

واعلن ان النساء شقائق الرجال .. فهم سواء في التكليف والتشريف ، في الحقوق والواجبات ..

واكد ان الانسان هو ركن الاكوان ، سخر لـــه ربه كل شيء ، واباح له الطيبات من الـــرزق ، واستعمره في الارض ..

من هذا المنطلق السوي ، مضى الرسول عليه الصلاة والسلام ، يخطط للحضارة الاسلامية ابعادها الانسانية ، على بصيرة من الايمان ، وذخيرة مـــن القرآن ، وبصيرة من العرفان والاحسان ..

ولم ينتقل صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه ، الا بعد ان تركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها..

وخلفه لنا ما لا تضل ابدا لو اتبعناه ، كتاب الله المبين، وسنة رسوله الامين ..

وسرعان ما اخذت الحضارة الاسلامية حجمها الكبير الخطير ، في الاعماق وفي الافاق ، وقد حباها دين الله في شريعته المحمدية ، من خصائصه الفذة ، ما جعلها فريدة في التاريخ ، زاخرة بالحياة ، مرنة الاهاب .. دائمة الثبات .

لقد كانت الرسالة المحمدية « هندسة » جديدة للكون ، وليست ثورة ولا انقلابا . انها بنيان شديد سديد ، واصلاح جذري كامل شامل ، يقبض على قاعدتين راسختين من : حتمية العمل ، ومنهجية السعي فيه ..

انها انبثاق عن الفطرة البشرية ، وتلبية سوية لها .. لان الجدارة الكبيرة التي جعلها الله للانسان ، تتنافى مع الحرمان .. ولان روحانية البشر الخليفة ، تتنزه عن الفردي ..

وقد اوقف الاسلام « انسانه المكرم » وجها لوجه امام الله تعالى ، دون وساطات ولا كهنوتيات .. وجعل كل فرد هو المسؤول الاول في قطاعه الخاص ، مع ركنيته وحيزه الهام في القطاع العام لامته الاسلامية ، وامرته الانسانية ، فهو راع وهو رعية بنفس الوقت..

وانطلق الاسلام دائما ، في سيره الحضاري الطويل من قواعد : الحق والعدل والخير والمحبة.. وجعل طموح رسالته الى استيعاب الانسانية جمعاء .. باذلا بره ، حتى لغير معتنقيه ، مثيبا العدل ، حتى مع اعدائه ، داعيا المؤمنين الى ان يفتروا حتى لمن لا يرجون ايام الله معلنا شعار السلام في الارض ، كمبدا دائم ، لا يخرج عنه الا محمولا على ذلك ، لدفع الظلم ورد العدوان ، يردد في صلواته كل يوم مرات ، داعيا رب العالمين : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وكما انفتح الاسلام ، العقيدة والشريعةوالسلوك على الاديان السماوية الاخرى ، يقر حقائقها السابقة ويأخذ بها ، فقد انفتحت حضارته الفريدة على الحضارة الانسانية السابقة ايضا ، ومنى «انسانه» يطلب العلم ولو في الصين .. ويجعل الحكمة ضالته اينما وجدها التقطها ..

وهكذا حافظ الاسلام لحضارته على شخصيتها الفذة وهو يخصبها باستمرار ، بكل عطاء حضاري سائغ .. وقد كان له الدور المجيد في تاكيد وتوطيد عقيدة التوحيد .. وقد ميزه « الاجتهاد » بقابلية التكيف الارتقائي ، فكان الفقه الاسلامي يمد الحياة الحضارية المتنامية ، باشعاع متجدد للنصوص والاصول الثابتة ، التي كانت دائما وما تزال حية حركية ..

لقد كانت « الربانية » في نظر الاسلام ، هي كبرى حقائق الوجود ، واساس النظرية الدينية العامة .. وكانت الحياة — في فهم الاسلام — « كلا » ببرزخين اولى وآخرة ، وقد جمع ذلك عليه وجذب اليه امم الحضارات المادية والروحية على السواء .. لان الاسلام يرفض التطرفات ، ويعتمد القصد والاعتدال في كل شيء .. فهو يلبي مطالب الفطريات السوية ، للكل الانساني ، بتوفيق رباني عليهم حكيم .. وقد كان حرصه على تلبية هذا « الكل الانساني » هو الذي ميز حضارته بالايجابية وبعبقرية الاستيعاب بشكل منقطع النظير

وهكذا ، كان دين محمد صلى الله عليه وسلم ، دينا حضاريا انسانيا ، تميزت امته بالوسطية في الزمان والمكان والانسان .. في العقيدة والاخلاق ، وكل مجالات الانطلاق . فحق لها ان تكون ، كما خاطبها الله سبحانه : وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .. والشهادة تبعة انسانية مقدسة تحقق الطواعية الاجتماعية في ممارسة الخلافة على الارض، وانها لتسلسل، ابتداء من الضمير ، فولي الامر ، فالرسول عليه السلام فالله جل جلاله . شهادة اثر شهادة .. وهي للامة الاسلامية سيادة للحق ، وريادة فيه ..

وقد سرى المبدأ العام للتوسط في الاسلام ، الى نظامه الاقتصادي ، فاقامه على اساس انساني من التراحم والتداعم ، في التعامل والتبادل ، واحل التجارة السليمة مكانتها المرموقة ، رافضا الانظمة الربوية ، مشجعا كل الاساليب التعاونية .

وان الفقيه الحضاري المحض ، ليلمس بشكل واضح كيف ان التعايش الانساني في كنف هذه الوسطية قد مكن للحضارة الاسلامية من الانتشار والازدهار ، ووسع ابعادها الانسانية بشكل منقطع النظير ، ولم يكن ذلك اعتباطا بل ان توسط الاسلام وامته ، جعل لهما محورية انسانية ، واستقطابا ، فكانت الجدارة التي تستتبع بل تستلزم الصدارة ..

لقد نشأت جدارة التسنم الحضاري في الاسلام، من انبثاق قيمه من الفطرة البشرية ، ومن حسن تطبيقها لها ، وبالتالي عن سعة مداه الحيوي ..

فكان الاسلام ، من جانب ، ولادة جديدة لمعتنقيه ثم كان من جانب آخر مساواة انسانية عامة ، أمام الله جل وعلا ، في اساس التكليف والتشريف ، فكل الناس من ذكر وانثى ، وقد خلقهم الله ليتعارفوا ويتعاونوا ، والتقوى وحدها هي ميزان « الاكرمية » .

والاخلاق في الاسلام ، جدارة اصيلة ، لازمة لممارسيها ، بصرف النظر عن الجهة التي تنتسب عليها فكل يعمل على شاكلته ، وفي مختلف المستويات .. فنظام الاسلام الاخلاقي شامل متكامل ، في شتى مجالات الحياة ، وامانين الفضائل الفردية والجماعية ، والخاصة والعامة والدولية ، وهو يشكل حضارة كلية قائمة بذاتها ، ومبذولة للعالمين ، حيث يقوم التعايش الانساني في ظل الاسلام بين حدين ادناهما العدل ، واقصاهما الفضل ، حتى مع الاعداء في صدور شرع الله وحداه .

ايها الحفل الحبيب النجيب

لقد ارسل الله محمدا عليه الصلاة والسلام ، هاديا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .. والسراج الوهاج ، مبذول معطاء ، لا يميز بين القريب والمدروب ، هو للجميع ، وفي شتى الاوقات والحالات .. وهكذا كان الاسلام .. وقرآن الاسلام .. ونبي الاسلام .. وحضارة الاسلام .. للناس كافة ..

ايها الحفل العزيز :

من بين الخصائص الحضارية الفذة في الاسلام : عقدة جديدة للكون وانبثاقا من الفطرة وتلبية لها ، وانطلاقا في آفاق الدعوة والتبشير ، ومواجهة للحياة في بساطة ويسر ، والتماسا للحكمة واخذا بالاجتهاد ، في رصانة مسدوعية ، وعقل متفتح ، وتمسكا بالاعتدال ، مع شمول وحسن ملازمة وتوفيق وتوسطا في كل شيء ، ووصلا وتوثيقا للروابط الانسانية الشخصية والاجتماعية ، واقامة للحياة على اسس من القيم السامية ، والاخلاق السامية ، بمشاركة يمارس فيها الفرد ذاته في نطاق الجماعة ، وتؤدي الجماعة رسالتها مراعية كل فرد ..

من معين هذه الخصائص العبقرية ، تنبع الاسلام دين محمد الخالد ابدا المسؤولة ، بنظام جامع مانع ، رحب اريحي ، ثابت في موازينه ، مرن في تطبيقاته ، منبثق من أصول ربانية راسخة ، لا تعبث بها ولا تخلخلها اهواء الناس ، وسطوات الحاكمين ، بتقلبات الزمن ، الامر الذي جعل للحضارة الاسلامية التي افادت من هذه الخصائص الفذة ، حياة تعايش حياة الانسان ما عاش ، وتلبي نموه وسموه ، بل وتأخذ بيده الى مدارج متصاعدة ، ليكون حقا خليفة في الارض ، بمستوى لا نجده في اية حضارة من الحضارات البشرية الاخرى ..

هذه الحضارة الاسلامية .. كون كامل ، مستمر الزمان .. ممدود المكان .. سوي الانسان .. والحديث المستوفى عنها ، دسم خصيب ، لا يتسع له الوقت ولا يسمح به المجال ..

وبهذا كله كان اثر الرسالة المحمدية في الخصائص الحضارية الانسانية اثرا هاديا ناميا خالدا ابدا ، وقد تميزت حضارة الاسلام دون سواها من الحضارات ، بانها ، صاعدة .. وصامدة .. ينطلق مدها ما استمسك انسانها بدينه ، وسار على سنة نبيه وعمل بشريعة اسلامه .. حتى اذا تخاذل جمعنا ، وتبعثر صفنا ، وتقاعس سعينا .. فتخلفنا عن مستوى رسالتنا ، وكادت تضيع شخصيتنا ، تسلط علينا اعداؤنا وعملوا على تعميق ضياعنا .. لم يكن من اثر كل ذلك ، رغم تفاقم كربه وتعاظم خطبه ، ان تندثر الحضارة الاسلامية كما اندثر سواها من الحضارات السالفات ، بل انها لتبقى صامدة مكابدة ، مما في جذورها من ربانية اصولها .. الى ان تأخذ بالاسباب ، فيكون الانبعاث الجديد .. والفجر الوليد .. والانطلاق السديد ، نحو غد مشرق مجيد .

اجل ايها الحفل الكريم ، هكذا كان .. وهكذا سيكون .. :

الخلافات « بالخلافة » اودت
واقسمنا ، وسادنا الدخلاء
وادعوها قومية ، ثم نادوا
بدعاوي قد عم منها البلاء
سابة الحكم نابذوا شرعةالله
ـه فحفت ديارنا الباساء
كم تداعوا باسم الشعوبالشعوبا
طحنتها المكائد الهوجاء
وابادوا من الرجال فحولا
لن يموتوا ، فانهم شهداء
واعانوا اعداءنا واستكانوا!
بل وربي هم هم الاعداء
اسلموا لليهود مسجدنا الاقصى
وكانت طريقهم صنعاء

أي ضير ! ! تضيع منا فلسطين
ليبقى حكامنا الزعماء !!

اجل ايها الحفل الكريم ، هكذا كان .. وهكذا سيكون .. سنة الله التى خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا .. وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. ولا يأس ! فها اننا نعيش اليوم بكل وجداننا ارهاصات الغد المنشود فى القدر المرصود ، وما هذا المؤتمر العتيد المفيد الا من خطوات السعى المبارك، فى سبيل الله نحو مستقبل مرموق ، يعود فيه الاسلام كما كان .. سائدا قائدا ... رائدا ، وان غدا لصانعه قريب .. والله قوي عزيز .. وان جنده هم الغالبون ..

اللهم لك الحمد على فضلك حتى ترضى يا رب العالمين

والف شكر لحزب السلامة الاسلامى ، ورئيسه القدير الجدير الوزير الكبير الاخ نجم الدين اربكان ، وللسيد المحترم المفضال وزير الدولة الاستاذ حسن اقصاي ، ولكل من شجع الدعوة الى هذا المؤتمر النبوي الهام ، وعمل له وسعى فى انجاحه ، وأكرمنا بالاسهام فيه .. وانى لا اريد أن ابالغ فاقول باننا سنغير وجه الكون وسير التاريخ بمجرد مؤتمر ..! فان من نواميس الفطرة ، ان النجاح لا يكون بالطفرة .. ولكنها خطوات على الصراط المستقيم ، سيكون لها ما بعدها، رغم الظلم والظلمات .. وشتى العوائق والعثرات .. وانى لاعلنها من صميم اليقين والايمان ، والعزم والجزم على عمل يحقق الله به الامل .. اعلنها عنيدا فى الجهاد والصبر ، صادقا واثقا بالنصر .. أعلنها اعلان عبد اواب هصور .. ولله عاقبة الامور :

سترى أعين العصور انبلاجا
من دياجيرنا لنور هدانا

النواميس فى ركابك يا اسلام
تمضى وتستحث الزمانا

علم الكون فى غد ونشيد
الكون طرا وخطنا وخطانا

ونجاة الوجود فى القدر
المرصود امر يحكم القرآنا

وكلمات اخيرة قصيرة ايها الاخوة الاحباب :

كيف سنمضى فى سيرنا الدائب منذ اليوم ؟ وقد من اين نبدأ ؟ ! واي خط نتبع ؟ ! وعلى اي منهج ننطلق ، حتى نبلغ الهدف ونحقق امر الله ؟ ؟ ! ! مضت القرون على توقف مدنا الحضاري .. ومرت الدنيا بأحداث واحداث .. وتمت اكتشافات واختراعات غيرت اساليب الحياة .. وتداولت السيطرة على الكون وافكار الناس قوى عديدة ، وعقائديات شتى ؟؟!!

يجب علينا اولا ان نعرف حقيقة حالنا .. ومقام الدين كما هو فى واقع حياتنا والوضع الراهن غير المداهن لاجيالنا .. ؟ !

المسلمون ؟ جدارة مسفوحة
وكرامة مجروحة ، وخصام

امم !! يشتت شملهم زعماؤهم
وعدوهم متكاتف غشام

والحكم ، لا ما انزل الله .. الهدى
لكنه الاهواء . والحكام !

والدين فى قشر الحياة عواطف
وهواتف ، ومظاهر ، وكلام !!

رهط من الصلحاء .. يؤثر عزلة
رغدا ، على وهم العبادة ناموا !

ومنابر لموظفين تفتحت
اشداقها ، ولقد يقال كرام !

لغة القرون السالفات .. وما دروا
تتغير الازمان والافهام

و « الجيل » فى تيه التناقض شارد
يعتام منه المذهب الهدام

أصل اصيل فى الحضارة والهدى
لمعات برق فى الظلام تشام

اما السلوك فنشأة غربية
وتمرد .. وتبدد .. وقتام

وذوو الجدارة ، والغيارى عصبة
عزلاء حيرى ، والخطوب جسام

الكون تطحنه رحى مدنية
هوجاء ، جل عطائها اوهام

ومعسكرين لسامري واحد
وكلاهما هلكت به الاقوام

مكـر اليهود وبغيهـم وضلالهم
بعثت به الانصـــاب والازلام

السم فى الدسم الشهى وعالـم
فى « الجاهلية » كالسوام بسام

اوطاننا نهب ، وأمر رؤوسنـا
شتى ، وبقى الظالمين لهـــام

والشعب فى زيف «التحرر» ضائع
باسم التقدم زلت الاقـــدام

ورسالة الاسلام ، ناموس الهدى
للعالمين .. رعاتها اقـزام .. !!

ويجب علينا ثانيا أن نعرف حقيقة الكون اوضح مما اشرنا اليه سالفا والقوى المتسلطة عليه ، وخطها الصادق بين الخيبة والفلاح ، والفرق الكبير الهائل بين السيطرة والنجاح :

يا اله الكون ، ربـان الدنـى اليـوم افـين
لا يراعى الروح ، والانسان دون الروح .. طين !
سامري واحد « روزفلت » يدعى او « لينين »
لم يـزل فى « تيهـه » المنبوذ منذ « الاربعين »
هالك ، يداب كـى يمضون وهم فى الغارقـين
ويلهم فى المكـر يمضون وهم فى الغارقـين
قادهم علمهم الظاهـر للجهـل الدفـين
فهـم يحيـون لكـن فى شقـاء سادريـن
مـا الذي ينفعهم غزو فضـاء بسفـين
وهمو فى أرضهم صرعى بغزو « الهيرويين »
وبهتك الخمـر والعهـر وفتـك المجرمين !!
سلبوا « الانسان » فحواه وسادوا غاشمـين
سيطروا . لكنها سيطـرة البغـى لحسـين

ويجب علينا ثالثا واخيرا — وقد صح عزمنـا بقوة الله على الانعتاق والانطلاق — ان نتعمق فى تدبر قرآننا ، ووعى اسلامنا ، وهدى نبينا .. لنستخرج من كل ذلك الاسلوب الامثل لسعينا ، والمنهج الاكمـل لانبعاثنا .. ولا تظنوا انى ساسترسل وافصل القول هنا ، بل اننى ساكتفى عن ذلك بسبع كلمات معدودات فقط ، هى حديث شريف من جوامع حكم النبى الامى، رسول الهدى العالمى ، يرسم لنا بوضوح تام ، وايجاز يبلغ حد الاعجاز ، الخطة الفريدة ، والمعادلـة الرشيدة للازدهار الحضاري ، والحياة السوية المهدية ، قال او كما قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، رحم الله امرءا عرف زمانه واستقامت طريقته » ولله در شاعر الاسلام الكبير — ولا اقول الشاعر التركـى فحسب — محمد عاكف فقد اقتبس هذا المعنى الخالد، فى بيت شعر لامع بارع :

دو غـرو دن دو قرويـه
قـرآ نـدن آلـب الهـامـى

عصرن ادراكنـه سويلتمير اسلامـى

وانى لازيد عليه كلمة واحدة . . . قرآندن وسنتدن

وبعد ، وما بعدها بعد ، فاسمحوا لى ان اؤكد على امر هام ، لابد من ابرازه وتأكيده وتوطيده فى هذا المؤتمر العالمى الثانى للسيرة النبوية ، فى استانبول العاصمة التاريخية الاسلامية . الا وهو عدم جـواز مقارنة الاسلام بأية ايديولوجية اجنبية ، أو قرنه بأية صفة مذهبية لا ربانية ، فلا اشتراكية . ولا الراسمالية .. ولا الديمقراطية .. !!

وبالتالى فحتم علينا ان نترفع بمقام الرسـول الاعظم صلى الله عليه وسلم عن اي انتماء الـى اي مذهب وضعى او نظام عقائدي طارىء مهما كان ولاي مقصد حسن كان .. فلا هو بامام الاشتراكيين ، ولا هو الديمقراطى الاول .. ولكنه صفى الله الامـين ، وخاتم الانبياء والمرسلين ، ورحمة الله للعالمين .. واما الاسلام ، فانه الاسلام .. وكفى .

قلبى ، وحبك للقلوب شفـاء
بهواك يخفق ، والهوى استهداء

يا من بعثت مسددا ومؤيـدا
و « محمـدا » وزكـت بك الالاء

الجاهليـة ظلمهـا وظلامهـا
بك بدلت ايامهـا السـوداء

وتالقت من بعد حلكتها الـدنـى
بمكارم الاخلاق فهى سنـاء

لم تأت بدعا بل اتيت مصدقـا
ومهيمنا ، فعلت بك العليـاء

الله اكمل دينـه بـك وارتضى
وأتـم نعمته ، وعـم حيـاء

في امة وسط ، وقوم مازهـــــم
خلاقهم ، فهمو همـــو الشهـــداء

وجعلت انت شهيدهم ومجيدهـم
طوبى لهم ، فهمو بـــك السعداء

ابرمت امر الله عدلا محكمـــــا
في الكون فاتزنت بـــه الغبـــراء

قسطاســـه يسع الوجود بفضله
جحدته ، ام شهدت به الاعـــداء

لا ينتمي الا الى الحق الـــــذي
في الارض وازت كفتيه سمـــــاء

انصافـــه للخلـــق فيـــه سجاحة
وسماحة ومـــروءة واخـــاء

لا « الاشتراكيون » انـــت امامهم
بتطرف ، او بالهوادة جـــــاءوا

والراسماليون ينتسبـــــون في
دعواهم ، كلا فـــذاك هـــراء

بـــل انت خاتم انبيـــاء اللـــه في
الدنيا ، وانت رسوله البنـــــاء

المصطفى البـــر الامين بنبلـــه
وبفضله ، والاســـوة المعطـــاء

ولانت سيد خلقـــه بك كرمـــت
كـــل البرايا وازدهى الحنفـــاء

الوحي ، وحي الله ، انت مكانـــه
وبيانه وصراطـــه الوضـــــاء

قرآنـــه يهـــدي لاقوم منهـــج
في العالمين ، وآيه غـــــراء

فالدين عند الله من تنزيلـــــه
« الاسلام » وهو احاطة وغنـــاء

علم تفـــرد في العوالـــم شرعـــه
فـــذ ، وكـــل الفلسفات مـــراء

اوفـــى واربى ، واستقل لذاتـــه
باسم تقاصـــر دونـــه الاسمـــاء

لا تنسبـــوه الى ســـواه تجنيـــا
اهـــي الغباوة ، ام هم الاعداء !!؟

نـــور .. وديجـــور .. فاين عقولكم
حكم من الله العليم .. مضـــاء

القمة الاسلام « دين محمـــــد »
وكفى .. بلاغ «مبرم» .. وقضاء..

أكملت في استامبول بتاريخ 23 جمادى الاخرة 1397
11 — 6 — 1977

● قال لقمان لابنه : احذر واحدة وهي اهل للحذر . قال : وما هي ؟ قال اياك ان ترى الناس انك تخشى الله وقلبك فاجر .

وفي الحديث : من أصلح سريرته ، أصلح الله علانيته ..

تعصى الاله وانت تظهر حبـــه — هذا لعمري في القياس بديـــع
لو كنت تضمر حبـــه لأطعتـــه — ان المحب لمن يحـــب مطيـــع

وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية
في كل زمان ومكان

للأستاذ محمد العبدلاوي

شارك الاستاذ محمد العبدلاوي في مؤتمر الفقه الاسلامي المنعقد بالمملكة العربية السعودية تحت اشراف جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ممثلا لرابطة علماء المغرب .

وقد القى الاستاذ العبدلاوي بحثا في المؤتمر في موضوع : « وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية في كل زمان ومكان » كان مثار نقاش ودراسة واسعة خلال جلسات المؤتمر .

موضوع كان من اهتماماتنا كعلماء منذ ان استرد المغرب سيادته واسترجع استقلاله أواسط الخمسينات ايمانا منا ان فترة الاستعمار التي دامت زهاء اربع واربعين سنة كان المستعمر سواء منه الفرنسي في الجنوب ، او الاسباني في الشمال يهدف من وراء ما يسن من قوانين وتنظيمات الى افراغ الشخصية المغربية من محتواها الحقيقي وتجريدها من قيمها ومقدساتها لتعيش في فراغ روحي وعقائدي ، بل ذهب المستعمر الفرنسي الى ابعد من ذلك — حيث استصدر مرسوما يقسم منطقة نفوذه الى شطرين تنقل فيه المحاكم الشرعية وتعوض باخرى عرفية تحكم بما جرى به العرف والعادة لدى السكان وافق شريعة الاسلام او لم يوافق

وشطر تكون — محاكمه الاسلامية — خاضعة في تسيير القضايا المدنية . . والجنائية . . والمعاملات التجارية والاقتصادية المعروضة عليها الى التقنينات الوضعية الدخيلة التي لا تتفق مع منطق الشريعة وراي الاسلام احيانا .

ولا يخفى على السادة المستمعين خطورة هذا التقسيم وابعاده فهو من جهة يهدف الى فصل جزء كبير من الشعب المغربي عن دينه وعروبته واصالته

بقصد تجنيسه وتنصيره ، ومن جهة اخرى يريد ان يضرب المغرب في وحدته العقائدية والتاريخية والاجتماعية التي تجمع بين العرب والبربر منذ الفتح الاسلامي .

ولذلك كان رد فعل المغاربة — عربا وبربرا — قويا وسريعا — فقد خرجوا في مظاهرة عظيمة قاصدين جامع القرويين وبيوت الله ومرددين اسم الله اللطيف .

« اللهم يا لطيف . . نسالك اللطف فيما جرت به المقادير . . لا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر » . .

وكانت هذه الحادثة بداية انطلاق الحركة الوطنية التي آمنت أن المس بشريعة الاسلام مس بكرامة الامة وسيادتها .

وبانتهاء عهد الحجر والحماية — طالب الشعب المغربي وفي طليعته العلماء بتصفية الرواسب الاستعمارية الضاربة جذورها في المحاكم العرفية وغيرها وباحلال **الفقه الاسلامي** محل كل التشريعات والتنظيمات التي لا تتفق وروح . . الاسلام . . واتخذوا مواقف صريحة وواضحة في المؤتمرات وكل المناسبات حول وجوب الحكم بما انزل الله وتطبيق شريعة القرآن ، ايمانا منهم بأن النجاة من الكفاح السياسي ، هو الرجوع الى حظيرة الاسلام ، وبأن الاسلام نظام كامل ومنهاج متكامل فمن العيش ان يؤمن اهله بالبعض دون البعض ومن الغفلة أن يؤخذ به في الاحوال الشخصية وحدها المتعلقة بشؤون الزواج والطلاق والنفقة والعدة والميراث وما الى ذلك دون الشؤون المدنية والجنائية — اذ المغرب عرف في تاريخه الطويل بقوة ايمانه وسلامة عقيدته وحدبه على شريعته ؛ شريعة الله في ارض الله حتى في اظلم عهود الاستعمار فكان اذا حدث خلاف بين شخص وآخر هتف كل منهما (انا بالله والشرع) اي انا معتصم بالله وراض بحكم شريعة الاسلام .

ومن اجل ذلك تاسست لجنة لتدوين **الفقه الاسلامي** وتبويبه وتنظيمه واسفر عملها عن مدونة الاحوال الشخصية التي يجري العمل بها الان ، ثم تكونت لبعدها لجنة اخرى لمراجعة القوانين المدنية والمسطرة الجنائية على ضوء الشريعة الاسلامية التي نامل لها المزيد من الحركة والتوفيق .

أردت بهذا المدخل الى موضوع حديثي ان اعرف السادة الحاضرين بان الشعب المغربي المسلم يخوض بكامل الثقة والايمان — كسائر الشعوب الاسلامية الاخرى — معركة هي من صميم الدعوة الاسلامية وجوهرها معركة الالتزام بشريعة الاسلام منهاجا وسلوكا وتطبيقا ؛ ومنطلقنا جميعا يجب أن يكون من مركز القوى من هذه الشريعة التي هي وحي من الله وبحكم من الله يجب الالتزام بها والرجوع اليها . . يقول الله تعالى : « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ، ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا » . . فكل تشريع يخالفها وكل قانون يعارضها فهو مرفوض ومردود : « من احدث في امرنا هذا . . ما ليس منه . . فهو رد . . ويقول الله تعالى : « فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ، افحكم الجاهلية يبغون ، ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون » . .

والشريعة التي تقوم على اساس الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، مقصدها الاول : تحقيق العدالة ، ونشر الحق بين طبقات الامة حتى لا يشعر المتقاضون بنوع من الحرج والضيق ازاء الحكم الصادر لهم او عليهم بنصوصها وضمائرهم مرتاحة ونفوسهم مطمئنة .

يقول ابن القيم : في كتابه : « **اعلام الموقعين** » « ان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها ، فكل مسالة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة وان ادخلت فيها بالتاويل ، فالشريعة — عدل الله — بين عباده ورحمته بين خلقه » . .

والرجوع للشريعة وتطبيقها انتصار للفكر الاسلامي الاصيل الذي بقي وسيبقى يتحدى المؤامرات الاستعمارية في العالم الاسلامي ، ويقف في وجه كل **الانتهازيين** الانهزاميين الذين يتقمصون روح المستعمر ويدورون في فلكه ويسبحون بحمده للذب عن القانون الاجنبي ، بدعوى التجديد والتقدمية ، وانعزال الاسلام عن الحياة الواقعية وعدم مسايرته لركب المدنية

والحضارة والتكنولوجيـــة . . وهي دعاوي لا اساس لها من الصحة . . فقد اظهرت الايام فشل هذه القوانين ورجعيتها ، وعدم فعاليتها سواء عندنا وعندهم ؛ ولا ادل على ذلك من شيوع الجرائم وتنوعها وتسلسلها في انحاء العالم . . ففي امريكا مثلا : تتفاقم حوادث الاجرام المؤدية الى السرقة والقتل والاغتصاب بشكل مفزع ومؤسف وبلغت حوادث السرقة وحدها سنة 1393 — 1973 — نحو سبعة ملايين حادث سرقة، وهي في الاشياء الثمينة كالسطو على البنوك ، كما هي في الاشياء التافهة . ولو ان امريكا اخذت بحكم الشريعة في موضوع السرقة ، وقطعت ايدي مجموعة من اللصوص لاسترواح مجتمعها من جريمة السرقة، وعاش في امن وسلام على اموالهم ، مع العلم ان يد السارق لا تقطع في كل الحالات . . فعند وجود سبب شرعي يدفعه اليها يسقط عنه الحد .

وقد اتخذت اللصوصية اليوم شكلا آخر من العنف والقوة . . وهو استعمالها للسلاح القاتل للوصول الى اهدافها ، فلماذا يشفق القانون الوضعي على يد السارق ولا يشفق على حياة المسروق منه ؟ مع ان قطع يد السارق تحفظ الامن في المجتمع وتصون روح المسروق منه وتبعد المجرم عن كل ميل نحو هذه الجرائم المخلة بالامن العـــام .

وتنبع الاهداف المترتبة عن تنفيذ حد السرقة موجودة في اقامة الحد على القاتل المتعمد للقتل ، فان كل من عرف انه اذا قتل قتل امتنع عن القتل وكف عنـــه .

ولذا قالت العرب قديما في الجاهلية « القتل انفى للقتل » ويقول القرآن « ولكم في القصـــاص حيـــاة . . »

وبهذه المناسبة اذكر بما تم في الندوة العلمية الاولى التي تمت هنا بالرياض سنة 1392 — 1972 بين فريق من كبار العلماء في المملكة العربيـــة السعودية وبين آخرين من رجال الفكر والقانون في اوربا حول الشريعة الاسلامية وحقوق الانســـان فيها ، فقد قال رئيس الوفد الاوربي الايرلندي : « ماك برايـد » الاستاذ في جامعة دوبلن (من هنا وفي هذا البلد الاسلامي يجب ان تعلن حقوق الانسان على غيره من البلدان ، وانه يتوجب على علماء المسلمين ان يعلنوا هذه الحقائق المجهولة عند الراي العام العالمي والتي كان الجهل سببا لتشويه سمعة الاســـلام والمسلمين والحكم الاسلامي من طريق اعداء الاسلام والمسلمـــين) .

قال احد اعضاء الوفد : « اني بصفتي مسيحيا اعلن انه هنا في هذا البلد الاسلامي بعيد الله حقيقة ؛ وانه مع السادة العلماء بأن احكام القرآن في حقوق الانسان بعد ان سمعها وراى في الواقع تطبيقها هي بلا شك تتفوق على ميثاق حقوق الانسان » .

والقضية قضية ايمان ومرونة ، ايمـــان بالشريعة ومرونة عند التطبيق ، فعلينا ان نعمق هذا الايمان في الاجيال الصاعدة عن طريق الكتاب والمنهاج والمربي حتى ينشأ المسلم وهو مؤمن ان ما شرعه الله هو من اجل سعادة الانسان وسلامة ماله وعرضه ونفسه ، ومؤمن بان هذا الوحي جاء هاديا للانسانية وموجها لعقلها لما فيه صلاحها ونفعها وعلى العقل — ولو بلغ ما بلغ من الذكاء — ان يخضع له في العقيدة والتشريع ، وان يرضى برسالة السماء التي تنقذه وتصلحه وتوجهه .

وعلينا مرة اخرى ان نؤمن بمرونة الاســـلام وسعة افقه واستعداده لمد المشرع بالحلول لكل القضايا التي تحدث للناس تبعا للتطور الحضاري ؛ فلم يات الاسلام ليهدم كل ما كان عليه الناس من مدنية وعادات وتقاليد ليبقى على اتقاضها منهجيته وفلسفته ، وانما كان ينظر الى الاشياء بمنظار المصلحة العامة المشتركة ، فحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله ، فما كان صالحا اقره . . وما كان فاسدا انكره . اقر الحج بعد ان حرره من مظاهر الوثنية والشرك ، ومنع الربـــا لانها وسيلة لاستغلال الغير والاستغناء على حسابه .

ومن هذا المنطلق — منطلق المرونة والتفتح — كان علماء المغرب كسائر العلماء امام الوقائع الجديدة يستعملون سلطتهم وينطلقون في املاء فتاويهم واصدار احكامهم عند انعدام النص او غموضه ، وقد راعوا فيها الظروف والاحوال والتقاليد التي لا تتنافى والنصـــوص التشريعية ومقاصدها ، فتجمعت لدينا كثير من كتب النوازل ، كنوازل الونشريشي ، والوزاني . . التي هي عبارة عن فتاوي حول نزاعات معروضة على المحاكم (1) تدفع عن الشريعة الاسلامية العتـــم

---

(1) وما يترتب عنها من احكام يعتبر بمثابة نص قانوني فقهي احكامي .

فى قواعدها وتهمة الجمود فى طبيعتها ، وكل ذلك يدخل فى اطار عموم الرسالة ، وان الاسلام صالح لكل زمان ومكان .

ومما يدعو للتفاؤل ويبشر بالخير أن نرى بعثا اسلاميا ووعيا دينيا يسود العالم الاسلامى من المحيط الهادي الى المحيط الاطلسى فى شتى الميادين الحساسة ذات الصبغة الاقتصادية والطابع التشريعى سواء على الصعيد القومى ، أو عن طريق المنظمات الطلابية والهيآت الثقافية .

ففى مصر تكونت حديثا لجنة عليا تتجه الدراسات التى تقوم بها لاصدار القوانين وفقا لاحكام الشريعة ، وقررت احدى لجانها الفرعية الاستعانة بالتشريعات القائمة فى السعودية ونتائج تطبيق الحدود الاسلامية على جرائم الزنا والسرقة .

وفى المؤتمر الحادي عشر للاتحاد العام لطلبة الجامعات المصرية الذي عقد بتاريخ مارس 1976 — أقر اعتبار الشريعة الاسلامية المصدر الوحيد للقوانين والحكم ، والعمل على تعديل كافة القوانين والنظم لتكون متفقة ومتمشية مع احكام ومبادىء الشرع ، وقام الاتحاد من اجل ذلك بمسيرة سلمية نحو بيت الرئيس — انور السادات — وقدم وثيقة المطالبة بتطبيق الشريعة . .

وصدور هذا من منظمة طلابية مثابة تعارض تيارات مذهبية وايديولوجيات . . شرقية وغربية . . يعتبر كسبا مظيما للحركات الاسلامية وتشجيعا لها على مواصلة النضال من اجل احقاق الحق والتمسك بشريعة الاسلام شريعة الحق والعدل والرحمة للانسانية جمعاء .

وفى مؤتمر المحامين الباكستانيين المنعقد بتاريخ ماى 1396 — 1976 — ورد فى بيانهم العام **ما يأتى :**

« ان هذا التجمع لرجال الحقوق والقانون يعتقد اعتقادا تاما مدعوما من شهادات التاريخ فى مختلف ادواره بانه كلما طبق الاسلام عمليا فى قطر من اقطار الارض انتفت الجرائم ، ونالت الانسانية المنكوبة حظا وافرا من الرحمة والامن والاستقرار فى ظل الاسلام » .

وورد فى احد مطالبهم :

1) الغاء جميع القوانين التى تخالف كتاب الله وسنة رسوله فى جمهورية باكستان الاسلامية وتنفذ محلها القوانين الاسلامية ، ولتحقيق هذه المهمة يستعان برجال الحقوق والقانون الذين يجمعون بين الثقافة القانونية العصرية والفقه الاسلامى ، وتتخذ الاجراءات اللازمة لجعل المشروعات التشريعية تابعة للكتاب والسنة — فبهذا الوعى العام — سادتى العلماء — بالرجوع الى الفقه الاسلامى حدث جديد وحركة مباركة لها ما بعدها ، وجاءت فى نفس المدة التى تعقد فيها مؤتمرنا هذا الذي نأمل له كل توفيق ونجاح ، فما علينا الا ان نجتاز مرحلة التصور الى التصديق ونخطى عقبة التخطيط الى التنفيذ .

علينا وقد استمعنا واياكم الى البحوث العميقة والمقالات التحليلية البناءة من اخصائيين فى التشريع والاقتصاد والفكر الاسلامى أن نفكر بعدما اتضحت لنا الرؤية وانكشفت الحقيقة فى الوسائل العلمية والعملية لانجاح ما سيسفر عنه هذا المؤتمر التاريخى الذي يتنظره خصومنا فى الداخل والخارج للحكم له او عليه خصوصا وان موضوعاته المدروسة والمعروضة فى ورقة عمل من صميم . . الدعوة الاسلامية وجوهرها .

لا نكتفى ابدا باصدار توصيات او اتخاذ قرارات ثم نفترق ولكل وجهة هو موليها بل انى احدد واقترح بصفة خاصة أن يكون للمؤتمر الموقر لجنة عليا من كبار العلماء الحاضرين وحتى من بعض الذين لم تسعدهم ظروفهم بالحضور معنا يعهد اليها بتبويب النصوص التشريعية الاسلامية ووضعها فى قالب جديد وصيغة مبسطة يسهل الرجوع اليها والاستفادة منها .

2) بالاتصال مباشرة بملوك ورؤساء وقادة الشعوب الاسلامية ليقنعوهم بضرورة العودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية خصوصا وان دساتيرهم تنص على ان الدين الرسمى للدولة هو الاسلام ، وما دامت الشعوب تؤمن بالاسلام عقيدة وشريعة ومنهاجا فعلى اولياء الامور ان يستجيبوا لرغبات شعوبهم .

3) تنسيق الجهود مع المنظمات الاسلامية المؤمنة بعدالة شريعة السماء وعموم الرسالة من اجل توحيد طرق الكفاح والنضال والسيرة على درب الاســـــلام .

* على ان يوفر للجنة المذكورة مع الامكانيات المادية ، والتشجيعات الادبية ما يساعدها على القيام بمسؤوليتها الجسيمة في احسن الظروف والاحوال ، وما ذلك على عمة مؤتمركم بعزيـــز .

* وحفظ الله بطل المملكة العربية السعودية ــ خالد بن عبد العزيز ــ وابقاه ذخـــرا وملاذا للعروبة والاسلام . ووفق اللـــــه جمعكم وبارك اعمالكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فاس ــ المغرب محمد العبدلاوي

● قال عمر بن الخطاب للقراء وهم اهل العلم : يا معشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس .

وذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد في العبـــادة والقوة على العمل .. وقالوا : صحبناه في سفر فما رأينا بعدك يا رسول الله اعبد منه ، كان لا ينفتل من صلاة ولا يفطر من صيام .

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم فمن كان يمونه ويقوم بـــه ؟ قالوا : كلنا . قال النبي عليه الصلاة والسلام كلكم اعبد منه .

نظرية الإصلاح الاجتماعي
عند تاج الدين السبكي

د/ استاذ فاروق صحارة

* لم يعرف التاريخ الانسانى امة ذات حضارة وصلت قمة المجد وتربعت عليها من غير نزوح او نزول ولم تعرف الارض مجتمعا بتى فى مثالياتـــه يعيشها ويحياها دون قصور او قبول ؛ بل الـــذي حفظه التاريخ ــ ومنه نقتبس الغائب على الشاهد مما لم يصلنا عنه شىء ــ ان امما ترتفع فتبنى دولا قوية وسلطانا واسعا ثم يعتريها الافول ؛ وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك باوجز عبارة فقال : « وتلك الايام نداولها بين الناس » (1) ، وهذا الامر هـــو الذي دعا علماء الاجتماع بدءا من عبد الرحمن بن خلدون ، الى يومنا هذا ، الى اعطاء هذه الظاهرة حقها ؛ فسماها ابن خلدون فى مقدمته (2) : اعمـــار الدول اذ قال : الا ان الدول فى الغالب لا تعدو عمر ثلاثة اجيال . . . (حوالى 120 سنة) .

وسماهـــا المعاصرون (الدورة الحضاريـــة) وقسموا بناء على ذلك المجتمعات الحضارية قديمهـــا وحديثها الى وحدات مستقلة (3) .

* واذا كان قيام الحضارة وبقى المجتمـــع يستلزم ضرورة وجود مجموعة من العناصر والشروط فكذلـــك انحداره وتزوله يكون باسبـــاب ومؤثرات ؛ وبصفة عامة فان هناك بعض الجوهريات والاساسيات فى قيام الحضارة وارتفاعها لا تختلف بين امة واخرى قديما وحديثا ومستقبلا ؛ وبعضها الاخر يختلـــف باختلاف المكان والزمان والامة ؛ ولكن اسباب الانهيار الاجتماعى والقبول الحضاري واحدة لا تتغير بين امة واخرى مهما تباعدت واختلفت ؛ وقد ابرز القـــرآن الكريم هذه الناحية ابرازا هاما ؛ فحين يقص علينا اخبار من سلف وشؤون من مضوا من الامم والمجتمعات ثم يعقب عليها بنتائج عامة تنطبق على القوم المتحدث عنهم وعلى غيرهم من نظر على سبيل المثال قولـــه تعالى فى سورة هود ، وهى فى غالبها تتحدث عن خالى العصـــور ودائر الاقوام ، وتبين ارتكاسة كل قوم ومقاصدهم التي تفننوا فيها على حدة يأتى الحديث الالهى معقبا عن ذلك فيقول : « ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ، ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد ؛ ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس ؛ وذلك يوم مشهود . . . الايـــات » (5) ، انهم تشابهوا جميعا وسلكوا نفس الجادة الى اوهت بهم الى دار البوار دنيا وآخرة ، وهى سبيل كل من يسلكها .

وغير خاف أن انهيار الحضارة وزوال مجتمع ما لا يتم بين لحظة واخرى ، بل يستغرق وقتا ليـــس بالقصير ــ كما هو شأن بنائه ــ فاذا تداركت يـــد الاصلاح ما تصدع منه ، وتوجهت الهمم لترميمه حافظ على توازنه واستمراره ، والا فقد انساب فى ضباب النســـيان . . .

* واهم شيء في استمرارية عظمة المجتمع ان يكون اهله خصوصا الطليعة المثقفة على معرفة تامة بجميع جوانبه سلبيها وايجابيها ؛ ليحافظوا على الصالح ، ويتعاونوا على ازالة الفاسد ، وقد ادرك الانسان المتحضر هذا منذ القديم فتجلت هذه الفكرة عند افلاطون في (مجلس المدينة) وتجلت في الفكر الاسلامي في مجلس الشورى ، وفي الحضارة الغربية الراسمالية بـ (البرلمان) وفي الفكر الماركسي وبنياته بـ (مجلس الشعب) او بالتنظيم للحزب الواحد ... الخ .

* واذا كانت آراء المصلحين الاجتماعيين تختلف في قليل او كثير تبعا لتكوينهم الفكري وموقعهم الحضاري واهدافهم ومثلهم التي يرومون ادراكها ، فانهم يتفقون جميعا على ان المجتمع هو محل تجاربهم ومحور بحثهم وميدان عملهم ، كما ان عظمة المصلح تظهر من خلال نظريته التي يعرضها لرد الغوائل عن المجتمع ، وان كانت بعض النظريات تجد سبيلها للتطبيق ، وبعضها الاخر يبقى مسطورا للوارثين ، فان عدم تطبيقها لا ينقص من قيمتها ، ولا يزيل من مرتبتها التي لمستحقها .

* وقد عرف المجتمع الاسلامي في تاريخه مصلحين كثيرين صرخوا فيه صرخات النعش والنشور ، وناداوه بلهجة المثقف المخلص الغيور ، فوجد بعضهم صدى لارائه وافكاره في عصره بل وفي حياته ، فان بعضا منهم لم يجد ذلك الاثر المرتجى ، ولعله من جاءوا بعده (6) .

ومن هؤلاء المصلحين الكثيرين الذين عرفهم تاريخ المسلمين ، الامام تاج الدين ، عبد الوهاب السبكي الذي ولد في القاهرة سنة 727 هـ او بعدها بسنة او سنتين وتوفي بدمشق سنة 771 هـ رحمه الله تعالى وهو قاضي القضاة ، ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي .

كان تاج الدين السبكي رحمه الله من الائمة الكبار الذين تبحروا في الفنون والعلوم السائدة في عصره وقد تلقى كل علم على اشهر امام له في ذلك العصر حتى اصبح مجتهدا في المذهب الشافعي ثم تخطى ذلك الى مرحلة الاجتهاد المطلق ، يقول عن نفسه في رسالة كتبها لبعض المسؤولين في الدولة : وانا اليوم مجتهد الدنيا على الاطلاق لا يقدر احد يرد على هذه الكلمة » ويعقب السيوطي على ذلك فيقول الامام تاج الدين مصدق فيما يقول عن نفسه .

ترك وراءه تراثا فكريا ضخما منه جمع الجوامع في اصول الفقه (جمعه من مائة مصنف هو اعجوبة في بابه) ، والاشباه والنظائر ، وطبقات الشافعية — كبرى ، ووسطى ، وصغرى — ونظريته الاصلاحية وسماها « معيد النعم ، ومبيد النقم » وغير ذلك من مؤلفات اخرى (7) .

هذا من الجانب العلمي ، اما من الجانب الاخر فان تاج الدين قد تقلب في مناصب وظيفية متعددة نشا في كنف والده قاضي القضاة تقي الدين ، ثم اصبح في شرخ شبابه مدرسا في كبريات المدارس ومنصب التدريس آنئذ منصب رفيع جليل ، ثم رقي في الادارة حتى اصبح موقعا للدست بين يدي ملك الامراء علاء الدين المارديني بالشام (8) ، وهو منصب عال كذلك ، ثم رقي الى ان اصبح قاضي القضاة وناهيك به من منصب رفيع ! !

عاصر دول المماليك من الاتراك والشراكسة في مصر والشام ، وشاهد من تقلبات الدهر وعواصفه الفتن والاضطرابات الشيء الكثير ويكفي ان نلاحظ انه خلال حياته القصيرة التي لم تتجاوز الاربعة والاربعين عاما توالى على منصة الحكم ثلاثة عشر حاكما .. !!

اما المجتمع فقد آل الى درك من الانحلال ادى به الى ان يخر منهارا تحت اول ضربة لبرلاكو وجيوشه وضج الناس من سوء الحال ، وبدءوا على اختلاف طبقاتهم يتلمسون يمنة ويسرة يتلمسون الخلاص فكتب قاضي القضاة السبكي في تلك الظروف العصيبة كتابه العظيم « معيد النعم ، ومبيد النقم » وضمنه منهجا اصلاحيا متكاملا ، بعد خبر المجتمع من جميع جوانبه ، كموظف سام في الدولة وخطيب وامام في المسجد ، ومدرس للشباب والناشئة في معاهدهم وكمرجع لعامة الناس وخاصتهم في القضايا الخاصة والعامة باعتبار منصبه في القضاء ، فهو بهذا احاط بالامور خبرا ، وبالعلل الاجتماعية معرفة ونظرا ، واتيح له ما لم يتح لغيره .

* كان السبب المباشر لعرضه نظريته سؤالا ورد عليه من بعض الناس يسأله فيه عن الطريق التي يسلكها الانسان لرد مجده بعد الزوال ، وتعمته بعد الانحراف عنه فاجابه جوابا مختصرا ، فطلب السائل

منه البسط والشرح فوافق ذلك هوى في نفسه وعرضها بشيء من التفصيل .

اسس نظريته :

1 ـ اصلاح الانسان :

كان الامام السبكي يرى حالة الفتر جاثمة أمام عينيه ، والفساد مستشر والفوضى منتشرة ، والخلل في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية ، فلم يتجه الى شيء من هذه الاعراض بالاصلاح بل اتجه الى مصدر ذلك كله ، اتجه الى (اصلاح الانسان) فبصلاحه يصلح المكان والزمان وركز عليه من الناحية التربوية ، وبنائه بناء سليما مستقيما ، وابرز امرين هامين في اصلاحه :

اولهمـــا :

اثر القيم والمثل في حياة الفرد ، والنتائج الطيبة المثمرة اذا تعلق بها ، ولم ينس أن يذكر بين الحين والحين أن يذكر بما يتطلبه الالتزام بالقيم من صبر وتحمل ... ويصل التعلق بالقيم قمته عندما يراقب الفرد ربه في كل عمل من اعماله وكل حركة من حركاته سواء جر نفعا أم مغرما ، فهو ينظر الى ذلك ولا ينظر الى الربح والفائدة الشخصية .

ويرى ان السبكي من العلماء الراسخين الذين أوتوا حظا وافرا من العلم والعمل ربط هذه القيم التي يمكن ان تنزل عنيا خلقية ربطها بالعقيدة الاسلامية الصحيحة ، وربما لم يخطر بباله ان يخرج في نظريته عن العقيدة الاسلامية والمثل الاسلامية ، ويقول في ذلك :

(مصلحة الخلق فيما شرعه الخالق الذي هو أعلم بمصالحهم ومفاسدهم ، وشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم متكفلة بجميع مصالح الخلق في معاشهم ومعادهم ولا يأتي الفساد الا من الخروج عنها ، ومن لزمها صلحت أيامه واطمأنت ... وكذلك اعتبرت فلم أجد من يظن انه يصلح الدنيا بعقله ، ويدبر البلاد برايه وسياسته ، ويتعدى حدود الله تعالى وزواجره ، الا وكانت عاقبته وخيمة ، وايامه منغصة منكدة ، وعيشه قلقا ، وتفتح عليهم ابواب الشرور ... وهو شقي في الدنيا والاخرة .

ويقول عن الشكر على النعمة (أما القلب فالمراد منه أن تعلم وتعتقد ان الله هو الذي منحك النعمة لا احد سواه شاركه فان كل من تقدره من كبير وامير ووزير وصاحب وخليل ووالد وغيرهم لا يقدر على فعل شيء لنفسه فضلا عن غيره ، وان جرى على يديه خير فالله تعالى هو الذي اجراه على يديه ... ص 4)

ويقول مذكرا الستاة بمن بدي من لهم سلطة عليهم (وتذكر الساقي بشيئين اثنين ، احدهما : انه لا يحل لساق يؤمن بالله واليوم الاخر ان يحضر لمخدومه منكرا يشربه ، وعليه اعمال الفكرة والحيلة في سد هذا الباب ... وثانيهما : حفظ حق مخدومه والخشية عليه من عدو يضع له في المشروب ما يهلكه من سم ونحوه ، وقد بلغنا عن جماعة من المماليك الستاة قتل مخادميهم لاغراض الدنيا فقبحهم الله من طائفة ... ص 31) .

وثانـــي الامريـــن :

هو شعور كل فرد بكرامته ، لانه يستمد ذلك من الله خالق الوجود ، ثم تقديره لامكاناته وقدرته بان يضعها فيما خلقها الله سبحانه وتعالى له في سبل الخير والحق والفضيلة ليساهم مساهمة ايجابية صحيحة في بناء المجتمع ، يقول في ذلك : والخايط ان تستعمل نعم الله تعالى في طاعته وتتوقى من الاستعانة بها على معصيته ... لان الله سائل الانسان عن ذلك « ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » . ويقول ممثلا لذلك : من شكر نعمة العينين ان تستر كل عيب حرام لمسلم وتغشيا عن احكام القبيح ... ويقول : من شكر نعمة الاذنين الا تسمع حراما ، وأن تستر كل عيب تسمعه ... ص 2] .

2 ـ عمـوم المسؤوليـة :

لا يحمل الامام السبكي مسؤولية اتيار المجتمع لفرد معين او لطائفة مخصوصة بل يشارك فيها جميع افراد الامة ، وكذلك عملية الاصلاح يجب أن يشارك فيها المجتمع وان كانت المسؤولية في طرفيها تختلف ضخامتها بين شخص وآخر ، ولهذا بدا بالخليفة ومن دونه مرورا بالقادة والمسؤولين الكبار ثم ارباب الفكر والثقافة ، ثم اصحاب الصناعات

والتجار والحرفيين ؛ وانتهى الى الشحاذ الذي أتبـــه وطالب السلطة بمنع هذه الطبقة وازالتها ؛ ومن خلال ذلك نلاحظ انه قسم المسؤولية ثلاثة أقسام :

1 ــ مسؤولية رجال الدولة والسلطة .

2 ــ مسؤولية الطليعة المثقفة ورجال الفكر .

3 ــ مسؤولية الحرفيين وعامة الناس .

وفى توزيعه هذا للمسؤولية نجده يضع القسط الاكبر منها على رجال الدولة والسلطة ، وفى هـذا يقول مخاطبا أصحاب المسؤوليات والمراتب (اذا ولاك الله تعالى امرا على الخلق ، فعليك البحث عـن الرعية والعدل بينهم فى القضية ، والحكم فيهـم بالسوية ، ومجانبة الهوى والميل ... ص 13) .

ويجعل قوام مسؤولية أصحاب السلطـة تنحصر فى أمرين اثنين البحث عـن مصالح الامة ، واقامة العدل فى ربوعها .

ويقول فى مكان آخر : (فان الله تعالى لم يوله على المسلمين ليكون رئيسا آكلا شاربا مستريحـا بل لينصر الدين ويعلى الكلمة ... ص 17) . وبعد ان يطيل فى الحديث عن الاداريين كالوالى ، والمحتسب ووكيل بيت المال وغيرهم يأخذ نفسا عميقا لينتقل الى طائفة المثقفين وهى فى عرفهم « العلماء » ومـن يلتحق بهم كالمؤذن والمنشد ... ليطيل معهم الحديث ويفصل لهم الامور تفصيلا باعتبارهم غالبا ما يكونون مستقبلا رجال السلطة والدولة ، ويقسمهم الى فرق كثيرة حسب تخصصاتهم فيقول عنهم : « وهم فرق كثيرة منهم المفسر والمحدث والفقيه والاصولى والمتكلـم والنحوي وغيرهم وتتفرق كل شعبة من هؤلاء شعوبا وقبائل ويجمع الكل انه حق عليهم **ارشاد المتعلمين** ، **وافتاء المستفتين** ، **واظهار العلم للسائلين** ، فمن كتم علما ألجمه الله بلجام من نار ، والا يقصدوا بالعلم الرئاء ، والمباهاة والسمعة ولا جعله سبيلا الى دنيا ، فان الدنيا اقل من ذلك ... ص 67) .

ثم يبدأ بتفنيد زعمهم واسباب انحرافاتهم (9) ، وهو الخبير المطلع على أحوالهم اذ عاش معهم وسكن بينهم ورافقهم . ويبين ثلاثة اخطار هامة فى حيـاة العلماء والمثقفين ، اولها : جعل العلم مطية للدنيـا ومطامحها واذلال هذا العلم لمن بيدهم شيء مـن الدنيـا ؛ وثانيهـا : خطر الضلالات الفكرية التـى تعرض للكثير منهم فينفث سموما قاتلة ، ومثل لذلك بالمؤرخين ، واصحاب المذاهب الفلسفية ، والذيـن يتقعرون فى فنونهم بما لا فائدة فيه . وثالثها : مخالفة السلوك للقول فى حياة العالم .

ثم يتناول أصحاب الحرف والصناعات والتجار واصحاب الاموال وينصحهم الا يكونوا مطية لمـن فوقهم يستغلونهم فى المنكرات ، وخلق المفاسـد والمفاتن والبدع وسيىء العادات ، يقول مثلا عن الطوغيـة : (وهم بين البساتين والمساكين الخارجة عن البلـد كالحارس بين الدروب فى وسط البلد ومن اقبح صنع هؤلاء المداجاة على جلب الخمر لمن يرضيهم بحطـام الدنيا ، فلا ينكرون عليه المنكر مع انكارهم زائدا على الحاجة على من لا يرضيهم ... ص 146) .

ويقول عن الصباغ (ومن حقه الا يصبغ بمحرم وقد كثر بينهم الصبغ بالدماء وذلك محرم ...) .

3 ــ القيـام بالواجـب :

والاسـاس الذي ظهر بارزا جدا فى آراء السبكى قيام كل فرد بواجبه . وهذا امر فى غاية الاهمية ، ففى ايامنا هذه نشبد موجة المطالبة بالحقوق دون النظـر الى القيام بالواجبات غالبا ، ولكن السبكى لا يعيـر جانب المطالبة بالحقوق اي اهتمام لانه فى رايي ياتى نتيجة طبيعية للقيام بالواجب ، فاذا قام كل فرد مـن اعلى طبقات الامة الى ادناها بواجبه غدا وصل لكل واحد حقه دون حواجز او موانع ، ومن هنا نجده يتحدث عن كل طائفة بما عليها القيام به وعمله واليك بعض الامثلـة :

يقول : (فمن وظيفة السلطان تجنيد الجنود ، واقامة فرض الجهاد لاعداء كلمة الله ... ص 16)

وعن الخازن يقول : (وحق عليه الا يعطل من أحيل اليه ... ص 26) وعن كتاب الدواوين : (وعلى الكل الامانة ، وتجنب الخيانة ...) .

وعن المدرس (وحق عليه ان يحسن القـاء الدرس وتفهيمه للحاضرين ... ص 105) (على صاحب المال اداء الزكاة ...) والرهبان (وعليه الا يصور صورة حيوان ، لا على حائط ولا على سقـف ... ص 130) والحارس (وحق عليه ان ينصح لاهل الدرب ، ويسهر عينه اذا ناموا ... ص 130) .

ويُخلص التاج السبكي في عرض آرائه الى ان بداية الانحدار الاجتماعي هو الاخلال بالقيام بالواجب الذي يتعلق به حقوق جميع ابناء المجتمع فيقول : (وما من وظيفة الا وللمسلمين حق على صاحبها .. ص 49) ويقول في فاتحة كتابه ص 3 : (اعلم انها لم تزل عنك الا لاخلالك بالقيام بما يجب عليك من حقوقها ...) ؛ وينقل عن والده تقي الدين رحمه الله تعالى رايا في غاية الاهمية وهو قوله : (لكل مسلم عندي ، وعند كل مسلم حق في اداء هذه الصلوات الخمس ؛ ومتى فرط مسلم في صلاة واحدة كان قد اعتدى على كل مسلم ، واخذ له حقا من حقوقه لعدوانه على حق الله تعالى ، قال : ولذلك اسمع دعوى من يدعي على تارك صلاة واجبة ، وان لم يرع على وجه الحسبة لان لكل مسلم فيها حقا ... لان المصلي يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : ان المصلي اذا قال هذا اصاب كل عبد صالح في السماء والارض ، ورايت للفقال ما يقتضي ذلك .)

وان هذا المفهوم الاجتماعي في الاسلام فريد من نوعه ، كما هو فريد في مفهومه وتركيبه ، ونلاحظ ان السبكي يؤكد ان من القيام بالواجب البحث عن اسباب الضعف ليتجنبها ، وموجبات علله ليتخلى عنها .

كيف عرض السبكي آراءه ؟ واسلوبه في ذلك :

السبكي اصولي كبير ، وتاهيك به انه صاحب جمع الجوامع فهو منطقي راسخ وذو فكر فلسفي واسع ، لم يشأ ان يعرض آراءه على طريقة الفلاسفة والمناطقة لان ذلك يجعلها حبيسة لطائفة معينة ، بل اراد أن تكون قريبة من المجتمع الذي يعالجه وفي متناول جميع الناس ، لا سيما والطبقة الحاكمة في عصره من الاعاجم الذين لا يجيدون العربية — شأن اكثر العصور المتاخرة — وكان في اسلوبه واضحا سهلا يستعمل الكلمات الاعجمية خصوصا في اسماء المراتب والمناصب التي تمارغها الناس ، واصبحت تحمل معاني محددة ، ولكن الشيء المهم هو ان ملء هذا الاسلوب الصراحة وقولة الحق دون خوف او وجل حتى ان صراحته دعته الى استعمال بعض التعابير القاسية ، ولكنها قليلة في موضعها كما في قوله : (فمن خطر له انه ان لم يسفك الدماء بغير حق ، ويضرب المسلمين بلا ذنب لم تصلح ايامه ، فمعرفته انه جهول باغ احمق حمار ، دولته قريبة الزوال ومصيبته سريعة الوقوع ... من 41) ، وان السبكي في هذا حجة على الوارثين ...

وقد تناول طبقات الامة في الحكومة والشعب وبين واجبات كل طبقة بامثلة واقعية من الانحرافات وكثيرا ما ينقل مشاهداته الشخصية ، وتجاربه الذاتية التي جناها خلال رحلته في الناس والحكومة كموظف وعالم ، ويحدد الوقائع بالاسماء والاماكن ، ويعقب على ذلك بنقل العبرة والفطنة من السابقين ويمتثل قوله تعالى : « ان في قصصهم لعبرة » فينقل من احداث الماضي وسطور التاريخ ما فيه عظة للمتعظين مما يضفي على نظريته طابع العمق والشمولية في استقصاء الاراء ، ويعطيها بذلك حيوية نابضة لا تضعف ولا تذبل مع الايام ، وهو لا ينسى احدا من طبقات الشعب والامة حتى المؤذن والصيرفي ، والسجان ، والدهان ، وسائس الدواب ، والحامي ... الخ .

قيمة هذه النظرية :

ولا شك أن كثيرا من مظاهر الحياة قد تغيرت بين القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي / والقرن الرابع عشر هجري / العشرين ميلادي / فمات مظاهر واستحدثت اخرى ، الا ان الانسان هو الانسان ، وما زال المجتمع هذا هو امتداد لذاك المجتمع ، واشبه به المجتمع الاسلامي ونظرية السبكي ما هي الا صدى قوي للقرآن الكريم والسنة النبوية ، وتعطي الجانب الاكبر للروح والتربية الخلقية ، فالاساس الاول الذي التفت اليه الا وهو اصلاح الانسان ، وقد وفق في ذلك جدا حيث اننا نشاهد صدق ذلك في ايامنا هذه حيث اتجهت كثير من الدول ومنها الاسلامية في نهضتها الى اصلاح الجانب الاقتصادي او المالي ، او القانوني او السياسي ولكنها لم تتجه الى الانسان تمشيا مع روح الحضارة المادية او مع جانبها المتطرف والذي اصطبغ بالماركسية ففشلت جميع تجاربها اذ تضخمت في جانب الانتاج واخفقت في حسن توزيعه والاستفادة منه نتيجة لكفره للانسان ، الذي سحق في غمرة ذلك ، فكثرت الجرائم وتفشت المفاسد بما لا يخطر على بال ، (ففي تقرير المنظمة الدولية العربية للدفاع الاجتماعي التابعة للجامعة العربية ان معدل الجرائم ضد الاموال في ارتفاع مع عملية التنمية الاقتصادية اذ تزداد فرص الاعتداء عن الاموال عندما يصبح المجتمع اكثر انتاجا وتعقيدا ، وتحضرا وتصنيعا ، ومن ثم نجد ان نسبة عالية من جرائم الاحداث والشباب في غالبية البلاد ذات

طابع اقتصادي ، مثل السرقة ، والاختلاس ، واقتحام المنازل والسرقة بالاكراه (10)) ، وقد لفتت هذه الناحية نظر كثيرين من علماء الاجتماع والتربية في العالم وأبرزوا أن كل عمل وتنمية لا ترتبط بالجانب الانساني هي في حقيقتها شقاء .

والناحية الهامة كذلك في هذا الاساس ربط القيم بالعقيدة ، وان كان بعض المفكرين يرى الفصل بينهما ، فاننا مع السبكي نرى انه لا مكان للقيم بدون عقيدة .

اما عن الاساس الثاني وهو عموم المسؤولية : فنلاحظ ان العجزة والمغفلين هم الذين يحملون المسؤولية للحاكم وحده او شخص معين او طائفة معينة ، والواقع انه ما من فرد الا ويحمل جزءا من المسؤولية ، فهو ان لم يكن مساهما في أحداث غير المشروع فيحمل المسؤولية من الجانب السلبي حيث يسكته عليها ويدعها تنتشر ولا يتدخل لايقافها والحد منها ، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (اذا هابت امتي ان تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم) فاللامبالاة الاجتماعية تتساوى في التجريم مع الفعل الايجابي ، والامتناع عن اعلان الراي بشأن المخالف للشرع يعتبر نوعا من الاشتراك في المخالفة(11) وبهذا كان السبكي عميق النظرة واعي الفكرة مصيبا في وجهته الاصلاحية .

أما عن القيام بالواجب فاعتقد انه بداية الحركية الى الامام في اي مجتمع وبمقدار ايمان ابناء الامة بواجب القيام بالواجب تكون قفزتهم الى الامام سريعة واذا ادبر الناس عن ذلك ولو مع الفوايا الطيبة فلن تفلح الامة في انجاز عمل او اداء مهمة ورسالة في هذه الحياة ، وان القيام بالواجب نحو الاخرين والمجتمع رباط قوي وعامل اساسي فعال في اندماج الافراد في البوتقة الاجتماعية التي يتوقف على الشعور بها قيام الامة كامة وليست مجموعة متنافرة من الافراد ذوي المصالح المتعارضة ، وان القيام بالواجب لهو رداء راحة وسعادة يشعر بها ابناء المجتمع ، ويتفيؤون ظلالها ان كانت ، والا فالتذمر والشكوى والانحراف ...

وكم كان السبكي رحمه الله موفقا في اختياره للعنوان : « معيد النعم ، ومبيد النقم » (12) ، وكم هي جديرة بالقراءة هذه النظرية الاصلاحية والتامل والتدبر من ابناء المجتمع العربي والاسلامي على اختلاف مستوياتهم وثقافتهم وهم يحاولون النهوض من العثار ، والتخلص من آثار الاستعمار وهي نظرية يحتاجها الحاكم المسؤول والسياسي والمثقف ، والصانع والتاجر ، وكل من يعنيه شأن امته ووطنه ، لا يغض منها مرور الزمن ، فهي حية نابضة منها هدى ونور ، لانها تستند الى كتاب الله الخالد ، رحم الله السبكي المصلح الاجتماعي الكبير ووفق العاملين للخير ، وهدانا جميعا سواء السبيل .

الرباط : فاروق حمادة

الهوامش :

1) سورة آل العمران ، الاية 130 .
2) المقدمة ص 170 ط المكتبة التجارية .
3) حللها المفكر الانجليزي المعاصر توينبي تسعة عشر مجتمعا وهي : الغربي ، الارثوذكسي ، الايراني ، العربي الهندوكي ، الشرق الاقصى ، الهيليني ، السوري ، السندي ، الصيني ، الميزوي ، السومري ، الحيثي ، البابلي ، المصري ، الاندي ، المكسيكي ، اليوكاتي ، الياباني ، انظر كتاب مختصر دراسة التاريخ 57/1 .
4) تحدثت عن ذلك في بحث مطول تحت الطبع بعنوان : « مقومات المجتمع ومهدماته » .
5) كما نلاحظ ذلك في افكار ابن تيمية التي خطت مجراها مع الزمن لتنطلق من جديد مع المصلح محمد بن عبد الوهاب الذي تبناها ونشرها وما زال اتباعه ينشرونها .
7) انظر ترجمته في (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن حجر العسقلاني 426/2 ، (وحسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة للسيوطي) 182/1 ؛ وشذرات الذهب لابن العماد 221/6 ؛ ودائرة المعارف الاسلامية مادة سبك ص 11/ 263 .
8) توقيع الدست أحد المناصب الكتابية بمجلس السلطان آنئذ .

9) لله سلف فى ذلك هو ابن الجوزي رحمه الله فقد الف كتابه تلبيس ابليس او نقد العلم والعلماء ولنسا معه وقفة ان شاء الله .

10) اعد هذا التقرير الدكتور محمود عبد القادر رئيس وحدة بحوث الاسرة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة ، انظر : دستور الاخلاق فى القرآن للدكتور المرحوم عبد الله دراز ، ص ل مقدمة المعرب .

11) انظر تقديم السيد محمد بدوي للكتاب المتقدم ، ص (ي و) .

12) طبع الكتاب مرات عديدة منها ثلاث مرات بمصر ، ومرة فى ليدن سنة (1908) بعناية المستشرق موهرمن ، ولم ار سوى الطبعة المصرية من المطبوعة بدار الكتاب العربى عام 1948 ، وعزو الصفحات اليها .

● لما قدم معاوية من الشام ، وكان عمر أمير المؤمنين قد ولاه عليها ، دخل على امه هند فقالت له : يا بني : انه قلما ولدت حرة مثلك ، وقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه احببت ذلك ام كرهته . ثم دخل معاوية على ابيه ابي سفيان فقال له : يا بني ان هؤلاء من المهاجرين سبقونا وتاخرنا عنهم ، فرفعهم سبقهم ، وقصر بنا تاخرنا ، فصرنا اتباعا وصاروا قادة ، وقد قلدوك جسيما من امرهم ، فلا تخالفن امرهم ، فانك تجري الى امر لم تبلغه ، ولو قد بلغته لتنفست فيه ..

قال معاوية : قد عجبت من اتفاقهما فى المعنى على اختلافهما فى اللفظ ..

إستدراك

● نلفت انتباه السادة القراء الكرام الى أنه فى السطـــر الاول ، العمود الاول من الصفحة 13 من العدد الماضي نقرأ الآية الكريمة مـــن سورة النمل فى مقال الاستـــاذ محمد العربـــي الخطابـــي هكـــذا : « وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين » .

والله يعصمنـــا من كـــل زلـــل ●

دراسات مغربية

- ملامح من تطـــور المغـــرب العربـــي
- أبعـــاد الحضـــارة المغربيـــة
- صدى الفارابي في المغـــرب
- نشـــأة المســـرح المغربـــي
- القاضـــي عيـــاض

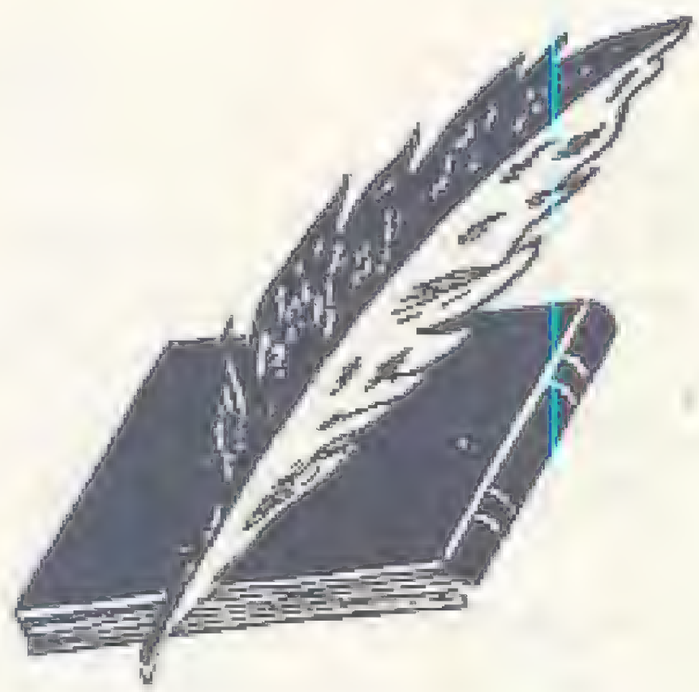

ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة

- 2 - للأستاذ محمد المنوني

وساوق هذه الهجرة الاندلسية وفود جاليات شرقية على المغربين الاوسط والادنى ، وكان هؤلاء هم الاتراك العثمانيين الذين ابتدأ حكمهم بالجزائر من عام 924 هـ / 1518 م ، وفي ليبيا عام 926 هـ / 1520 م . وبتونس عام 981 هـ / 1573 م .

يضاف للجاليتين الاندلسية والعثمانية الاسرى من البرتغاليين والاسبان ومن امم اوربية اخرى ، وكان عددهم كثيرا في مجموع الشمال الافريقي ، واعتنقوا الاسلام في نهاية الامر ، حيث صار الواحد منهم يعرف باسم العلج ، ليؤدي مدلول مملوك ابيض البشرة (33) .

واخيرا : ظهر بالمغرب الاقصى عنصر المماليك الذين استجلبهم المنصور السعدي من السودان (34)

وقد خلف هؤلاء الوافدون ـ اندلسيون واتراك وسواهم ـ مجموعة من التاثيرات التي كانت ـ في غالبها ـ ايجابية ، وبرزت في الوضع السكني والاقتصاد ، والعمار ، ونظم الحكم ، والثقافة ، وسوى ذلك ، وسيكون تحليل هذه التاثيرات هو موضوع الابواب التالية ، بعد أن انتهى مدخل هذه الدراسة .

* * *

ونذكر ـ أولا ـ أن هذه الوفادات المتنوعة ، احدثت تبدلا واضحا في الوضع السكني على امتداد المغرب الكبير ، حيث طرات عليه عناصر بشرية لم تكن معروفة من قبل ، وقد ضاعفت هذه المجموعات الوافدة عدد السكان السابقين ، وانبثق عنها طبقات جديدة تتميز بانظمة حياتها وتقاليدها .

* * *

وبالنسبة الى العنصر الاندلسي ، صار تاثيره واضحا في المغارب الثلاثة ، وبالخصوص في حقل الفلاحة والصناعة والعمار .

فالذين نزلوا منهم بارياف تونس اغترسوا الكروم والزيتون وغرائب الفواكه والثمار ، كما حفروا

---

(33) حسن حسني عبد الوهاب : « ورقات من الحضارة العربية ، بافريقية التونسية » نشر مكتبة المنار بتونس ، القسم الثالث ص 262 ؛ وانظر مجلة « تطوان » العدد التاسع ص 66 .

(34) كان المنصور السعدي اضاف الى الجيش المغربي فرقة سودانية ، وهو ما يثبته مؤرخو العصر العلوي الاول ، انطلاقا من ابي القاسم الزياني الى الناصري في الاستقصا ج 7 ص 56 .

القنوات ، وصنعوا العجلات ، ومهدوا بها الطـــرق للمسافرين ، وشيدوا الجسور .

وابتنوا ــ من جديد ــ اكثر من عشرين بلـــدا اكبرها مدينة تستور (35) التي شيدت منارتها على هندسة بديعة ، حتى ان الناظر اليها من اعلاها يشاهد قمرها ، حيث وضعت على شكل اسطوانـــي فارغ الوسط (36) ، وكانت مرصعة بساعـــة زادت في بهجتهـــا (37) .

وفي تونس العاصمة استوطنوا حومة الاندلس ، وزقاق الاندلس ، وغيرهما ، واسسوا بحومة الاندلس جامعها ، وبنوا المدرسة الاندلسية (38) .

وبالجزائر نزلوا بعدة جهات : منها تلمســـان ووهران ودلس وغيرها ، وكان منهم من نزل سهـــل متيجة بنواحي البليدة ، واحدثوا به غراسة التاريج والبرتقـــال (39) .

---

(35) « المؤنس » ص 183 . « الحلل السندسية في الاخبار التونسية » للوزير السراج ، عند أوائل المجلد الثاني من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، ك 1266 ، و « اتحاف اهل الزمان .. » ، ج 2 ص 31 .

(36) « تعاليق حاضر العالم الاسلامي » للامير شكيب ارسلان : الطبعة الثانية ج 2 ص 49 .

(37) « تاريخ معالم التوحيد » لمحمد بن الخوجة : المطبعة التونسية ص 83 ، وهناك دراسة عن مدينة تستو انجزها المستشرق الفرنسي جورج مارسي باسم « تستور وجامعها الكبير » ، ونشرهـــا « بالمجلة الفرنسية » بالعدد 49 لسنة 1942 م ، ثم عربها ــ عن الفرنسية ــ الاستاذ التونسي مصطفى زيبس ، ونشرت الترجمة مجلة « الثريا » ، ابتداء من المجلد الاول عدد 12 .
وسوى هذه الدراسة الاستشراقية هناك اشارة عربية للمدينة ذاتها ، من جهة رحالة مغربي زارها اوائل المائة الهجرية : 13 ، وكان هو السفير محمد بن عبد الوهاب ابن عثمان المكناسي ، مؤلف رحلة حجازية باسم « احراز المعلى والرقيب . في حج بيت الله الحرام . وزيارة القـــدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب » ، م . م . ز . 5264 ، وفي طريق ايابه من حجته ــ عام 1202 ــ عرج على تونس ، وزار مدينة تستر ، وهو يذكر ارتساماته عن سكانها في هذه الفقرة : « ... ومن الغد سافرنا من هذه البلدة ، فنزلنا بظاهر بلدة يقال لها تستر ... فخـــرج اهلهـــا بعلاماتهم وطبولهم كبارا وصغارا ، وبالغوا في الترحيب ... وجل اهل هذه البلدة من الاندلس ، في غاية الحضرية والادب وحسن الاخلاق ، ولا زالوا يسالون عن بلادهم بالاندلس ، وقد كنت على بصيرة بها لما رحلت اليها عام ثلاثة وتسعين ومائة والف ، فكنت اخبرهم عن بلادهم وارضهـــم وينشرحون لذلك ، وكل واحد يقول : انا من البلد الفلانية ، ويطلب مني وصفها فاصفهـــا لـــه ، فينشرحون بما يحصل لهم من التاصل في الحضرية ، ولا سيما من كان منهم بلاده من القواعد العظام : مثل قرطبة واشبيلية وغرناطة وجيان وما اشبه ذلك ، واجتمع علينا جمع من طلبتهـــم فتذاكرنا في مسائل علمية اصلح الله حالهم ..»

(38) « اتحاف اهل الزمان » ج 2 ص 30 ، ويقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في محاضرتـــه : « مصير الاندلسيين » : « ... فاما تونس فنزلها منهم اهل الصنائع والفنون : فاهـــل الصنائـــع الدقيقة سكنوا المدينة ، وهم اهل الثروة منهم ، وبنوا لانفسهم حومة تعرف بزقاق الاندلس قرب جامع القصر ، واما اهل الصنائع الاخرى وبعض الفلاحين من اهل الحواضر فسكنوا ربض باب السويقة ، وهم اول من بنى هناك خارج السور ، فبنوا الحومة المعروفة بحومة الاندلس ، ولـــم يزل من بقاياهم هناك عائلات منهم عائلة الاندلوسي .
ثم يقول بعد هذا : « اما بلد بنزرت فقد سكنها الاندلسيون ، وبنوا بها حومة تعرف ــ الآن ــ بحومة الاندلس ، واسسوا قربها قرية منزل جميل ، ومنزل عبد الرحمن ، والغالية ، وغار الملح ... ».
وقد وردت مقتبسات من المحاضرة العاشورية في « تعاليق حاضر العالم الاسلامـــي » ، ج 2 ص 59 ــ 63 .

(39) « تاريخ الجزائر العام » ج 2 ص 306 ــ 307

والذين سكنوا الجزائر العاصمة ، اسسوا — بحارتهم — معهدا كان يشتمل على مدرسة علمية ، وكتاب قرآني ، ومسجد للصلاة (40) .

وقد أسس الاندلسيون بالمغرب الاقصى مدينة تطوان ، وجددوا مدينة الرباط ، وبمدينة مراكش اعتمروا جانبها الغربي الذي صار يعرف بروض الزيتون ، وبنوا بالمشيدات الثلاثة الدور والقصور والمرافق ، واغترسوا خلف اسوارها جنات معروشات وغير معروشات ، في مساحات شاسعة (41) ، وتميزوا بطريقة خاصة في تشييد المباني السكنية في تصاميمها وزخرفتها وشكل بواباتها ، وهو النموذج الذي استمر مفضلا في القصور القديمة بالرباط وسلا وتطوان ، وفي فاس : كانت مباني السلطان ابي عبد الله ابن الاحمر الوافد على هذه المدينة بعد سقوط غرناطة ؛ ويقول عنه المقري (42) « وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الاندلس ، رايتها ودخلتها » .

كذلك امتاز الاندلسيون بصناعات وفدوا بها على المغرب الكبير ، او احيوا بها صناعات قديمة ، مثل المنسوجات الحريرية ، والصياغة ، وصناعة الجواريب ، وعمل الحصر ، ومن ذلك صناعة القلانس الحمر : الطربوش التونسي بتونس ، والشاشية في فاس (43) .

وفي الرباط وتطوان : نشير الى « صندوق العروس » ، وكان يصنع من عود الغرعر الصلب في هيكل غاية في الكبر ، لتجمع به العروس لباسها ورياشها (44) .

هذا الى تجديدات اندلسية طورت تصنيع عدد من المعدات الدفاعية .

ويقول ابن الخوجة (45) عن التاثير الاندلسي في تونس بالخصوص : « وكان امتزاج الاندلسيين باهل تونس كلقاح خصيب للامة التونسية ، لان اسلافنا اخذوا عنهم احوالا كثيرة في باب الصنائع اليدوية ، ومنها تجليد الكتب وزخرفتها بابدع اسلوب، وتعلموا عنهم — ايضا — كيفية عرض البضائع للبيع بالحوانيت : من جمعها وضم المتشابه منها بعضه لبعض .

وكان لنسوة الاندلس فضل على بنات تونس ؛ لانهن علمن ابنة البلاد تدبير المنزل من تأنيث وطبخ وحلاويات ، وكانوا — في تونس — لا يحسنون قبل ذلك من اصناف الحلويات غير الفالوذج ... » .

وهكذا تتبين نماذج من التاثيرات التي وفد بها الاندلسيون على تونس وسائر المغرب الكبير ، فاستفاد منهم المغاربة اساليب جديدة في تطوير الفلاحة والصناعة والعمار ، وقد ذكر ابن القاضي (46) عن

---

(40) صفحات في تاريخ مدينة الجزائر « لنور الدين عبد القادر ؛ مطبعة البعث بقسنطينة ؛ ص 165

(41) ورد ذكر اعتمار الاندلسيين بمدينة مراكش عند القشتالي في « مناهل الصفا » ؛ مطبعة ومكتبة عصرية بالرباط ص 42 ، مع « بغية الناظر والسامع » للزياني : المخطوط الوارد عند التعليق رقم 29 .

وقد تكرر ذكر الاندلسيين — سكان مراكش — بعد هذه الفترة التي نعرضها ، فابو سالم العياشي يشير لاحدهم ، آخر رحلته المنشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية : ج 2 ص 372 .

وقد عاد من رحلته بتاريخ 17 شوال عام 1074 هـ .

ثم ورد ذكرهم عند محمد المكي بن موسى الناصري بمناسبة وصفه لحفلة صلاة العيد التي ترأسها السلطان العلوي : المولى سليمان ، وهو يقول في هذا : « ثم جاء اهل الاندلس القاطنين (كذا) بالحمرا ، وبين ايديهم لواء اخضر ، وامتازوا به عن غيرهم ؛ وجعلوا يخرجون البارود ... » ؛ « الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية » ، ضمن كناشة بالخزانة العامة بالرباط ، ج 88

(42) « نفح الطيب » : المطبعة الازهرية المصرية ، ج 2 ص 617

(43) « دائرة المعارف الاسلامية » : الترجمة العربية ، مج 6 ص 41 و 64 ؛ محمد السالح في مقدمة « سوق المهر ، الى قافية ابن شعر » : المطبعة الاقتصادية بالرباط ، ص كح .

« ورقات عن الحضارة العربية » القسم الثالث ، ص 266 .

(44) مقدمة « سوق المهر » ، ص كح .

(45) « تاريخ معالم التوحيد » ، ص 83 .

(46) مخطوط المنتقى المقصور : عند المقدمة .

المنصور الذهبي انه ظهر في عصره حرف مهمة لم تكن معروفة بالمغرب ، ومن المتبادر أن تكون الحرف الاندلسية الوافدة مما يندرج في فقرة المؤرخ السعدي .

* * *

وقد برز التاثير العثماني على مستوى نظم الحكم ، وهو ما اتسمت به انظمة المغربين الادنى والاوسط في الادارة والدفاع ومشتقاتها ، ولحسن الحظ فان هذه التجديدات التركية بالجهات المشار اليها ، قد فصلت اجراءاتها المصادر المعنية بالامر(47)

بينما كانت مثيلات هذه الترتيبات بالمغرب الاقصى لا تزال بحاجة الى توضيح ، فلهذا سنتوسع — قليلا — في عرضها .

ونشير الى ان المغرب اقتبس — قليلا — من الانظمة التركية الادارية .

وكان اولها ظهورا احداث رتبة المفتي ، مجاراة لتقليد تركي قديم من عهد محمد الفاتح ، ويبتديء ذكر هذه الخطة بالمغرب من ايام محمد الشيخ السعدي ، حيث قلد منصب الفتوى بفاس لمحمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي التلمساني نزيل فاس (48) .

وفي عصر عبد الله الغالب — خلف محمد الشيخ — اسند نفس الخطة بمدينة مراكش الى محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التلمساني نزيل المغرب (49) ، وقد سلف ذكره مع سابقه .

ومن الانظمة الادارية التي لم تكن معروفة بالمغرب من قبل ، وضع العلامة او الطابع باعلى المراسيم ، وهي عادة قديمة في الدولة السعدية ، وعن عصر المنصور يفرق القشتالي (50) بين موضوعات الكتب ذات العلامة ، والاخرى ذات الطابع وهو يقول في هذا من مخدومه :

« ... فتارة بيده الكريمة ان كانت الكتب أجوبة او ظهائر ، وتارة بالطابع ان كانت مظالم او براوات الاشغال والعطاء » .

ثم كان من التجديدات الادارية التي عرفها المغرب ايام المنصور السعدي ، احداث مؤسسة استشارية باسم « الديوان » ؛ وهذا — بدوره — تنظيم تركي ؛ عرفه المغربان في مجمع يضم — اصالة — شخصيات عسكرية ينضاف لها مستشارون مدنيون(51) ويقول الافراني (52) عن الديوان المغربي :

« كان المنصور .. مشاورا في قوام الامور ، وقد اتخذ يوم الاربعاء (53) للمشاورة وسماه يوم الديوان ، يجتمع فيه وجوه الدولة واعيانها ، ويتطارحون فيه وجوه الراي فيما ينوب من جلائل الامور ، وعظائم النوازل » .

وقد استمرت هذه المؤسسة الى ما بعد ايام المنصور ، حيث جاء عن اجراءات بيعة الشيخ الدلائي

---

(47) من نماذج هذه المصادر عن تونس : « اتحاف اهل الزمان » ج 2 ص 26 — 27 .
« خلاصة تاريخ تونس » تاليف حسن حسني عبد الوهاب ، الدار التونسية للنشر ، ص 160 .
وعن الجزائر : « تاريخ الجزائر العام » ، ج 2 ص 277 — 288 .
« صفحات في تاريخ مدينة الجزائر » ص 72 — 93 ، ومن مستتبعات هذه الظاهرة انبعاث المذهب الحنفي بالمغربين : الادنى والاوسط،وهناك معلومات عن هذه الظاهرة بالنسبة لتونس ؛ في تاريخ معالم التوحيد ص 39 — 40 مع ص 90 — 91 .

(48) « دوحة الناشر » ، ص 90 — 91 .

(39) « المصدر » ، ص 86 .

(50) « مناهل الصفا » ص 206 .

(51) يقول ابن ابي دينار عن ترتيبات العثمانيين بتونس : « وجعلوا قوانين يتميزون بها ، وحلوا في اول امرهم — في الاحكام — حذو ديوان الجزائر »،« المؤنس » ، ص 179 ، وجاء عند ابن ابي الضياف عن القائد التركي : سنان باشا : « ورتب اعيانا من اهل البلاد يحضرون في ديوان العسكر تالفا لقلوبهم » ، اتحاف اهل الزمان ج 2 ص 27 .

(52) « نزهة الحادي » ، ص 142 .

بفاس ، انها حضرها الجم الغفير من اهل الديوان(54) وكان محمد بن الاشهب من اعضائه في هذا الوقت بالـــذات (55) .

* * *

وبعد هذه الاقتباسات التركية في حقل الادارة، تاتي تجديدات الدفاع المغربي ، ومن الجدير بالملاحظة ان المغرب سار في هذا الصدد على الاستفادة مـــن خبرات المهاجرين الاندلسيين ، ومعرفـــة الاسرى الاعلاج ، واقتبس كثيرا من الانظمـــة العسكريـــة العثمانية ، كما حافظ على المفيد من اساليب الدفاع الوطنـــي القديـــم .

* * *

وقد كانت المفاجاة التي تفوق بها البرتقاليون هي الاسلحة النارية الحديثة ، ولذلـــك صار لهـــا الاسبقية في استعدادات المغاربة لمعارك التحرير .

ويرتقي اقدم نص معروف في هذا الاتجاه الى اواخر ايام الوطاسيين : على عهد ابي العباس احمـــد الوطاسي ، المتوفى عام 961 هـ / 1553 م .

وقد انشأ معملا لصنع الاسلحة النارية بساحة القصر الملكي من فاس الجديد ، وصار يستخـــدم لانتاج المدافع والبندقيات والبارود (56) .

وبعد هذا ــ اوائل ايام السعديـــين ــ كان في جيش عبد الله الغالب فرقة مدفعية قوامها جيوش جرارة من الاندلسيين المهاجرين قبـــل الجـــلاء الاخيـــر (57) .

ثم تكاثر هذا السلاح من بعد ، حتى ان حملـــة عسكرية صارت مجهزة بمائة وخمسين من الانقاض(58) عام 983 هـ / 1576 م ، وقد لا تكون هذه المدافع كلها من صنع محلي ، وانما فيها مستوردات مـــن الخـــارج .

واستكثر عبد الملك المعتصم من انتاج هـــذه المدافع ، وكان عارفا بصنعها ، واشرف ــ بنفسه ــ على اعداد نحو ثمانية منها (59) .

وبنى المنصور الذهبي معملا جديدا لانتـــاج الاسلحة النارية باسم « دار العدة » ، وكان مركـــزه بعقربة من القصبة الملكية بمدينة مراكش ، ويقـــول الفشتالي (60) عن وفـــرة منتجـــات هذا المعمـــل ومستورداتـــه :

« واما ما يفرغ ــ مع الايام ــ من مدافع النار ومكاحلها بدار العدة الماثلة قرب ابوابهم ... الى ما يجلب ــ مع الاحيان ــ على يد المعاهدين من تجـــار الحربيين : من السيوف الهندية ، والقسي الرومية، والمكاحل النارية، فشيء غصت به الخزائن السلاحية، والديار العادية » .

* * *

والى جانب هذا المعمل الجديد ، اهتم المنصور ــ مرة اخرى ــ بابتناء الابراج لاستخدام المدافع ، وشيدت على وضع بدافية ــ واضحا ــ تاثير الجاليات الوافدة من الاندلسيين والاعلاج ، وقد صارت هذه المشيدات يحمل الواحد منها اسم « بستيون » ، وهو تعبير اسباني عن الحصن .

---

(53) جاء عند كل من ابن القاضي والفشتالي : ان الديوان المنصوري كان ينعقد ايام السبت والاثنين، والاربعاء : « مخطوطة المنتقى المقصور » اوائل الباب السابع ، و «مناهل الصفا » ، ص 205 .
(54) مخطوطة «البدور الضاوية» لابي الربيع سليمان الحوات ، عند الفصل الاول من الباب السادس .
(55) المصدر نفسه ، عند الفصل الخامس من الباب السابـــع .
(55) ارجوزة « عروسة المسائـــل » ص 36 ــ 37
(57) « مناهـــل الصفـــا » ، ص 42
(58) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاســـم ، ص 51
(59) محمد المنوني : « صناعة الاسلحة النارية بالمغرب » ، مجلة دعوة الحق ــ السنة 13 ، العدد 8، ص 104 .
(60) « مناهـــل الصفـــا » ، ص 210

وقد عرف المغرب من هذه الابراج اربعة عشر موزعة بين اربع مدائن اثنان منها بمدينة الغرائش ، وواحد بتازا ، واثنان خارج فاس العتيق على مقربة من بابي الفتوح والتريعة ، وقد كان هذا الاخير يعرف ببرج النار ، تدليلا على مهمته المدفعية ، اما باقي الابراج — وعددها تسعة فقد احاطت باسوار فاس الجديد (61) .

* * *

وفي حقل تنظيم الجيش على طراز جديد ، نشير الى ان عبد الملك المعتصم هو الذي تبنى هذه المبادرة ، وكان — قبل ولايته — زار الجزائر وتونس والاستانة ، واعجب بترتيبات العثمانيين ، ولهذا عمد لما صارت الدولة له ، الى تنظيم الجيش المغربي على الطراز العثماني ، واسرف في هذا التقليد ، وحمل الناس عليه حملا عنيفا أثار معارضة شديدة .

غير ان اخاه ابا العباس المنصور ، استطاع التوفيق بين التقليد العثماني والحفاظ على المشاعر الوطنية ، فاختص الرؤساء العرب بالمشورة وقيادة فرق الفرسان ، واسند الى الاعلاج قيادة الفرق الاخرى للجيش البري (62) ، بينما جعل قيادة الاسطول الى اميرال مغربي (63) .

وباستثناء الاسطول فان سائر انظمة الجيش المنصوري صارت مقتبسة من العثمانيين : في ترتيب الجيش ، والقاب الرتب ، وشكل اللباس ، وتنظيم المواكب .

كما ان لباس الملوك السعديين صار على الطراز العثماني ، ابتداء من عبد الملك المعتصم الذي جاء في ترجمته (64) انه كان يتزيا بزي الاتراك .

ومن التقاليد العسكرية التي عرفها المغرب في عهد المنصور اطلاقا المدافع عند المناسبات ، وفي وفي هذا يقول الفشتالي (65) عن وقع هذا المدافع في مدينتي فاس :

« واذا استهلت رعودها في العيدين عند العود من المصلى ، أو لورود بشارة عظمى ، فلا تسأل عن تزلزل الارض ورجفانها ، ويعتد على البلدين ركام البارود كأنما هو ليل مطبق .. » .

* * *

وقد أحيا المغرب السعدي حركة الجهاد في البحر ابتداء من أيام المعتصم الذي يقول عنه مؤرخ مغربي (66) : « وامر بانشاء السفن في العرائش وسلا ، وصار أهل الاندلس يسافرون في البحر مع أهل المغرب ، وضيقوا بالنصارى أشد تضييق ، وكثرت الغنائم » .

وبعد هذا تدخل المنصور الذهبي واعد الاسطول بمرسى رباط الفتح ، ونحوه بمحطة اميرال البحر ، فاسندها لمغربي ، دال منه فيما بعد بقائد تركي يقول عنه الفشتالي (67) : « ... فهو اليوم قبطان الاسطول الامامي الجهادي ، ورئيس الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية ، والقطائع البحرية » .

* * *

وننتقل — الآن — الى الجو الثقافي لنحاول الكشف عن آفاق التجديد التي عرفها هذا القطاع على امتداد المغرب الكبير .

ويلاحظ — في البداية — ان كلا من الحكام العثمانيين والسعديين لم يبذلوا محاولات لتطوير التعليم .

---

(61) المصدر نفسه ، ص 263 — 265 ، مع المنتقى المنصوري عند الباب العشرين ، وهو الذي يحدد عدد ابراج فاس الجديد بتسعة .

(62) « مناهل الصفا » ص 200 — 201

(63) المصدر نفسه ص 204

(64) « نزهة الحادي » ص 70 ، وتلقيت — قديما — من مؤرخ مغربي كبير ان الزي التركي استمر لباس سلاطين المغرب ، ولم يتغير الى اللباس المغربي الا من عهد السلطان العلوي ابي الربيع .

(65) «مناهل الصفا » ، ص 264

(66) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص 53 .

(67) « مناهل الصفا » ص 205 .

وسوق هذه الظاهرة تبذل تلقائي في عدد من الكتب الدراسية ؛ لتحل محلها موضوعات حديثة التأليف طغى عليها أسلوب الاختصار طغيانه على عدد من المؤلفات الدراسية الاخرى .

ومن جهة اخرى فان الحركة العلمية خمدت في تونس من بداية التدخل الاسباني الى اوائل المائة الهجرية الحادية عشرة (68) ؛ بينما نزح عنها بعض الاعلام ، مضافا لهم عدد وافر من اعلام الجزائر نزحوا من المغرب الاوسط في مناسبات مختلفة ، وقصدت غالبية هؤلاء واولئك مدينة فاس ، كما ان علماء السواحل المغربية المحتلة لجؤوا بدورهم الى نفس المدينة .

وبهذه الهجرات ـ من هنا وهناك ـ انبثق نوع جديد من التلاقح الفكري على مستوى المغرب العربي ، وصارت مدينة فاس ملتقى لهذا التلاقح ؛ بينما استمرت عناصر علمية اصيلة نزلت بها مدن شتى الجزائر .

وفي اطار هذا كله عرف المغربان ـ في ميدان التعليم والتأليف ـ بارقة تجديد تلقائي ، ولو انه محدود ، وخاضع لاسلوب الاختصار الذي صار طابع الثقافة الاسلامية في هذا العصر .

* * *

وهكذا استجد بالمغرب الاقصى دراسة بعض العلوم العقلية ، بعد ما وفد الى فاس محمد بن خروف الانصاري التونسي ، وكان بارعا في المنطق والكلام واصول الفقه والمعاني والبيان (69) ، والغالب ان الذي تجدد بالمغرب هو دراسة هذه المواد على طريقة المتأخرين .

كذلك انبعث في نفس الجهة دراسة الهندسة بفاس ومراكش ، وهنا نحيل الى بحث منشور في هذا الصدد (70) ، وانما نشير الى اتيعاث تعليم الطب بالمغربين ـ معا ـ اعتمادا على القية ابن سينا ، وقد علق عليها ـ بتلمسان ـ محمد بن يوسف السنوسي شرحا مات دون اكماله (71) ؛ واقراها بفاس كل من عبد الرحمن سقين الفاسي (72) ، وعبد الوهاب الزقاق (73) ، وعبد الواحد بن

---

(68) جاء في التاريخ الباشي عن الحاضرة التونسية في هذه الفترة : « وقد كان العلم ـ لاول دولة الترك ـ قد ارتفع منها بالمرة » ، نقله ـ باختصار ـ في اتحاف اهل الزمان ج 2 ص 11 .

(69) يقول عنه ابو حامد محمد العربي الفاسي : « الشيخ الامام ، وحيد عصره بالمغرب في الاصلين ، والبيان ، والمنطق ، ابو عبد الله محمد بن ابي الفضل خروف التونسي ، وكان قد قرأ في تونس ومصر وغيرهما ... واقام بفاس تقرأ عليه تلك العلوم ، فهو مجدد سند تعليمها بالمغرب ، وعنه اخذت على الحقيقة » « مرآة المحاسن » ص 9

(70) انظر : محمد المنوني أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي » مجلة (دعوة الحق) : السنة التاسعة ، العدد الثاني ، ص 101 ـ 104

(71) أحمد بابا التنبكتي عند ترجمة السنوسي من « نيل الابتهاج » ، المنشور بهامش الديباج المذهب لابن فرحون ، مطبعة المعاهد بالقاهرة عام 1351 هـ ص 325 ـ 329

(72) جاء عنه انه كان يشارك في الطب ويحسن القية ابن سينا ، حسب مخطوطتي : فهرسي المنجور الكبرى والصغرى ، ونقل احمد بابا التنبكتي عن نسخة ثالثة من فهرس المنجور : « يقرىء القية ابن سينا » « نيل الابتهاج » ص 177

(73) شرح ارجوزة طبية لناظمها القائد عبد الكريم بن مؤمن بن يحيى العلج ، خ ، ع ، ج 162 ، وهو يذكر في مدخلها انه قرأ جل ارجوزة ابن سينا على أستاذه عبد الوهاب الزقاق
ومن الجدير بالاشارة ان المؤلف يذكر اختصاصه بالسلطان السعدي عبد الله الغالب ، وقد ورد ذكره ـ عرضا ـ في « مناهل الصفا » بوصفه حاجب نفس السلطان ، ص 212 ، وعده في نزهة الحادي ص 51 من وزرائه مع وسمه بالجنوي ، ومثله في « الاستقصا » ج 5 ص 57

عاشر (74) ؛ وبقمارة : عبد الوارث بن عبد الله اليلصوتي (75) .

ومن أواخر هذه الفترة بدأت مدارس الزوايا الصوفية في الظهور ؛ في مناهج تعتمد المواد الدينية والعربية ، مع تكوين أخلاقي رفيع ، وكان أول ما عرف منها بالمغرب الاقصى مدرسة تساوت الملحقة بزاوية الشيخ محمد بن مبارك الزعري (76) عند عمالة خنيفرة ؛ ثم تتابع ظهور هذه المدارس بالاطلس المغربي على امتداد اقسامه ؛ وفي الصحراء وفاس .

* * *

وقد بدأت حركة التأليف تنتظم ـ اكثر ـ بالمغرب ؛ وفي الميدان الفقهي عرفت مدينة فاس نهضة جديدة تهدف الى لون من فلسفة الفقه المالكي: باستنباط أصول مسائل الخلاف ، واستنتاج قواعد المذهب ؛ ومقارنة مسائله ، مع مراعاة تطورات المجتمع المغربي ، انطلاقا من المائة الهجرية التاسعة

وقد ساهم في خدمة هذا الاتجاه مجموعة من اكابر الفقهاء المشترعين : أبو الحسن الزقاق ناظم ارجوزة « المنهج المنتخب الى قواعد المذهب » (77)

ثم أبو العباس أحمد الونشريسي التلمساني نزيل فاس ، مؤلف كتب « المعيار » ؛ و « ايضاح المسالك الى قواعد الامام مالك » ؛ مع « عدة الفروق» في تلخيص ما في المذهب من المجموع والفروق (78)

وألف محمد بن أحمد بن غازي « كليات المسائل الجارية عليها الاحكام » (79) .

---

(74) محمد ميارة : في ترجمة استاذه ابن عاشر ، من مخطوط « نظم اللآلي والدرر ؛ في اختصار مقدمة ابن حجر » ؛ خ. ع ك 931 : عند الفصل الاول .

(75) « دوحة الناشر » ص 6 ، ووقع في تسبه من « الدوحة » المطبوعة : اليصلوتي بتقديم الصاد على اللام ؛ وهو تحريف عن اليالصوتي بتقد اللام ، نسبة الى يصلو بفتح اوله وسكون ثانيه وضم الصاد ، ويقال انه ابن محمد بن أبان ابن الخليفة عثمان بن عفان (رض) ، كما يذكر انه دخل المغرب عام 90 هـ ، حيث نزل بقبيلة بني زدوال من قبيل الاخماس ؛ قال ابو الربيع سليمان الحوات : واتخذها داره حتى لقي الله ، وبقي بها أعقابه ؛ وهم ـ الى اليوم ـ منتشرون ؛ وقبره فيها مزارة كبرى على مرحلتين من شفشاون ... وعوام تلك الناحية يقولون له بارزو » .
قال في « دوحة الناشر » عن نسب الشيخ عبد الوارث الذي نعلق عليه :
« ويقال ان يالصو هذا جده : هو يلصو بن عبد الله بن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه »، وقد عقب ابو الربيع الحوات على هذه الفقرة وقال : « وهو خطأ صراح » ، اذ ليس في بني أبان ابن عثمان من اسمه عبد الله .
انظر عن يالصو هذا مخطوطتي :
« سنا المهتدي » لعلي مصباح الزدوبلي : عند خاتمة الكتاب .
مع « الروضة المقصودة » لابي الربيع سليمان الحوات : عند الباب السابع ، لدى ترجمة محمد بن سعادة الخمسي .

(76) هناك اشارة لهذه المدرسة وتسمية زمرة من طلابها الذين بلغ عددهم الف طالب ، حيث ورد ذلك بتقييد لمؤلف مجهول الاسم في الترجمة المباركية ، حسب نسخة مخطوطة منه في المكتبة الملكية رقم 726

(77) نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية ضمن شرحه للمنجور .

(78) اول هذه المؤلفات وثالثها منشوران بالمطبعة الحجرية الفاسية ، والثاني مخطوط في نسخ متعددة، منها واحدة عتيقة متلاشية ، غير انها مذيلة بثلاثة تقاريظ ، آخرها لمحمد بن عبد الرحيم بن يجيش التازي ، وهي بالمكتبة الملكية رقم 8522 ، وهناك نسخة بخزانة وزان رابعة ، مجموع رقم 680، ومن المقرظين عليها : عبد الرحمن بن محمد الجدامي الشهير بالبردعي ، واحمد الغرناطي الشهير بالاندلسي ، وابن يجيش آنف الذكر ، واحمد بن محمد الحباك ، وعبد الواحد الونشريسي ابن المؤلف ، واخيرا احمد العبسي .

(79) نشر الموجود منها بالمطبعة الحجرية الفاسية .

وعمد عبد الواحد الونشريسي الى « نظم كتاب ايضاح المسالك » لوالده نظما مستوعبا مع اضافة زيادات موضوعية ، وله ـ سوى هذا ـ نظم كثير من نظائر المذهب وكثير من مسائله (80) .

ووضع ابو العباس المنجور « شرحا على ارجوزة المنهج المنتخب » للزقاق ، كما « شرح نظم استاذه عبد الواحد الونشريسي لكتاب « ايضاح المسالك»(81)

واخيرا : ابو الحسن علي بن عبد الواحد الانصاري السجلماسي نزيل الجزائر ، وهو ناظم « ارجوزة اليواقيت الثمينة ، في المقائد والاشباه والنظائر في فقه عالم المدينة » (82) .

وقد انبثق عن هذا المجهود الفكري ظهور تشريعات فقهية تساير التطور المغربي في ميادين الاحوال الشخصية والمعاملات ، وهي المسائل التي صارت تعرف بالعمل الفاسي ، حيث ألم بنبذة منها ابو الحسن الزقاق والاخر منظومته « الزقاق » في المسطرة القضائية ، ثم توسعت مسائل هذه العمليات ، لتظهر مجموعتها في فترة لاحقة ، منظومة في ارجوزة العمل الفاسي ، لابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (83) .

وقد ازدهرت في الحقبة التي نعرضها كتابة التراجم انطلاقا من :

« النجم الثاقب فيما للاولياء من المناقب » لمحمد بن صعد التلمساني (84) .

و « دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر » ، لمحمد بن عسكر الشفشاوني (85) .

و « البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان» لمحمد بن مريم التلمساني (86) .

---

(80) « فهرس المنجور » عند ترجمة استاذه الونشريسي ، ونظمه المشار له لا يزال مخطوطا ، ومنه نسخة بالمكتبة الملكية رقم 6155 ، وهي مذيلة بتقريظ عليها ، نظمه ـ في بحر الرجز ـ تلميذ المؤلف ومعلم اولاده : عبد الرحمن الكولالي والد ابي سالم ابراهيم الكولالي الفقيه التواتي المعروف .

(81) علم من التعليق رقم 77 أن شرح المنجور للمنهج المنتخب منشور ، اما المؤلف الثاني فلا يعرف عنه سوى ذكره عند ترجمة الونشريشي من فهرس الشارح حيث يذكر أن الشرح لا يزال لم يخرج من مبيضته .

(82) هكذا ورد اسم المنظومة في ترجمة موجزها عند المحبي في « خلاصة الاثر » : المطبعة الوهبية بالقاهرة ، ج 3 ص 173 ـ 174 ، غير ان الارجوزة حددت عنوانها ، في الابيات الختامية : « باليواقيت الثمينة ، فيما انتمى لعالم المدينة » ، وقد فرغ من نظمها بمدينة الرباط ، بتاريخ الجمعة من صفر عام 1039 هـ .
لا تزال هذه المنظومة مخطوطة في نسخ قليلة : خاصة او عامة ، ومنها واحدة ـ بخط جزائري ـ اول مجموع ، خ : ع ، ك 1167 ، ويوجد شرحها بالخزانة نفسها لمحمد بن ابي القاسم السجلماسي ـ بخط مغربي ـ ، آخر مجموع يحمل رقم ك 1184 .
وهناك مخطوطة من متن « اليواقيت الثمينة ... » ، مذيلة بخمسة تقاريظ لخمسة من اعلام المغرب ، وهي موصوفة عند : محمد المنوني : « مكتبة الزاوية الحمزية » ، مجلة « تطوان » ع، 8 ص 172 .

(83) تكرر نشرها هي واللامية الزقاقية بالمطبعة الحجرية والسلكية : منفردتين ومشروحتين .
ونستدرك هنا فنشير الى ان ظاهرة جمع القواعد في هذه الفترة ، استخدمها ابو العباس احمد زروق في تاليف رسالته التي تحمل اسم «القواعد » ، غير ان هذه تناولت التصوف واصوله ، في 217 قاعدة منشورة بالمطبعة العلمية بمصر عام 1318 هـ .

(84) لا يزال مخطوطا في نسخ قليلة ، منها واحدة في مجلد بالمكتبة الملكية رقم 2491 .

(85) نشرت ـ مرتين ـ بالمطبعة الحجرية الفاسية .

(86) منشور في المطبعة الثعالبية بالجزائر .

و « جذوة الاقتباس » فيمن حل من الاعلام بمدينة فاس » ؛ مع « درة الحجال في اسماء الرجال » : الاثنان لابن العباس ابن القاضي الفاسي .

و « ازهار الرياض » و « نفح الطيب » مع « روضة الازهار العاطرة الانفاس ، في ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين : مراكش وفاس » : الثلاثة لابي العباس المقري التلمساني نزيل فاس (87) .

هذا فضلا عن فهارس الاشياخ والتراجم الخصبة .

وقد كان اشهر طبيب مؤلف في هذه الفترة هو ابو القاسم الوزير الغساني الفاسي ، ويقول عنه الدكتور الفرنسي ريشو : « انه عقلية مستثناة بالنسبة الى عصره والجو الذي عاش فيه ، ويبقى الحكم على عمله بموازنته مع الكتب العديدة في مادة الطب لمؤلفين آخرين من العرب » (88) .

وقد كان من مظاهر النشاط الثقافي في الحقبة ذاتها ، بعث حركة التعريب بكل من المغرب وتونس ، محاولة للاستفادة من معطيات الابحاث باوربا ، واسهاما في بوادر النهضة الحديثة ، وصارت هذه الظاهرة — بالمغرب الاقصى — من اهتمامات كل من المنصور السعدي وابنه زيدان .

ففي ايام المنصور قام أبو القاسم الوزير الغساني الفاسي بترجمة مؤلف الى العربية ، واعطى الترجمة اسم « مغني اللبيب عن اعداء الحبيب » ، ولم يوضح المصدر المعني بالامر موضوع الكتاب المعرب ولا يبعد أن يكون في الطب او الصيدلة .

وقد انجزت — في نفس العصر — ترجمة اخرى تناولت مؤلفا طبيا بمباشرة ابي العباس أحمد بن احمد بن الحسن المسفيوي المراكشي (89) .

وجاء عن زيدان : ان أسيرا ايرلنديا يحمل اسم انطوان ، كان يترجم — برسمه — الكتب اللاتينية الى القشتالية ، وعن هذه اللغة ينقلها بعض الاعلاج الى العربية (90) .

ولا يبعد أن تكون هذه نفس الطريقة التي تمت — بواسطتها — الترجمتان الواقعتان على عهد المنصور ، حيث اشير لهما وتبكا .

وقد كان في بلاط زيدان مترجم من مهاجري الاندلس : شهاب الدين احمد بن قاسم بن احمد الحجري الملقب بأفوقاي ، وبعد وفاة مخدومه قام بالمهمة نفسها لدى ولديه : (عبد الملك الثاني ثم الوليد)

والظاهر ان من مترجمات الشهاب الحجري بالمغرب ، تعريب رسالة الزيج الذي وضعه — في تعديل الكواكب — ابراهيم زاكوط اليهودي الاندلسي السلمنكي ، وكان هذا كتب رسالته بالعبرانية ، ثم نقلها — بمدينة مراكش — الى القشتالية تلميذ المؤلف : المعلم يوسف الاندلسي ، وعن هذه اللغة ترجمها الحجري الى العربية .

وبعدما اقام هذا الاخير بالمغرب اكثر من 38 عاما انتقل الى حاضرة تونس ، حيث انجز — بها — ترجمة اخرى بعنوان : « كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع » ، وكان الاصل المعرب — عن القشتالية — الفه — في المدفعية الحديثة — مهاجر اندلسي الى تونس : ابراهيم غانم بن احمد غانم

---

(87) هذه المؤلفات الخمسة كلها منشورة ، واكثرها تكرر طبعه .

(88) كتاب (العلم عند العرب) تأليف المستشرق الايطالي الدوميلي : الترجمة العربية المنشورة في مطابع دار القلم بالقاهرة ، ص 418 .

(89) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » مجلة « اللسان العربي » : العدد الاول ، ص 53 — 55
وهناك نشرة ثانية مزيدة للدراسة نفسها : في صحيفة « معهد الدراسات الاسلامية في مدريد » المجلدان 11 ، 12 سنة 1963 — 1964 م ، ص 329 — 358
ونشرة ثالثة مزيدة اكثر في مجلة «دعوة الحق » : السنة العاشرة ، العدد الثالث ، 74 — 91 .

(90) Gaston Deverdun (Marrakech des origines à 1912) Editions techniques Nord - Africaines - 1959 - I Texte - Page 414

الاندلسي ، المعروف ـ بالاسبانية ـ بلقب الرباش (91) .

وهكذا : سيكون « كتاب العز والمناقع » رابع المعربات في الفترة التي نعرضها ، ولحسن الحظ فان هذه الترجمة مع تعريب الرسالة الزاكوطية ، استمرا مغمورين في عداد المخطوطات ، بينما نجهل ـ الآن ـ مصير الترجمتين الواقعتين في عهد المنصور الذهبي .

* * *

ونتابع الآن عرض معطيات الجو الثقافي الجديد، ونشير الى ان وضع الاحتلال بالمغرب الكبير ، اتاح الظهور لمحاولات تهدف الى اصلاح الحالة الاجتماعية، عن طريق أوضاع نثرية أو شعرية ، فكان هناك من يتناول الدعوة الى الجهاد لتحرير البلاد ، بينما يربط آخرون واقع المغرب بتفاقم البدع ، أو بالانحلال العقائدي أو الخلقي .

* * *

وفي صدد الذين تناولوا الدعوة للجهاد يقول الناصري (92) بمناسبة حديثه عن فترة الغزو الاجنبي بالمغرب الاقصى ، ويبرز انبعاث ادب المقاومة الوطنية :

« ... ولقد الف الناس في ذلك العصر التآليف في الحض على الجهاد والترغيب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ في ذلك فاكثروا ، ونظم الشعراء والادباء فيه ونثروا .

فمن الف في ذلك الباب فأفاد ، الشيخ ، المعظم ، البارع الصوفي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجيش التازي ، قال في « المدوحة » : « وقفت له على تأليف الفه في الحض على الجهاد في سبيل الله ، فكان مما ينبغي أن يتناول باليدين ، ويكتب ـ دون المداد ـ باللجين ، اودعه نظما ونثرا .

ومن نظم في ذلك فاجاد : الشيخ ، الصالح ، المتصوف ، المجاهد : ابو عبد الله محمد بن يحيى البهلولي ، قال في « المدوحة » : « كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وتفتح له فيه ، وله في ذلك اشعار وقصائد : زجليات وغيرها » .

والتأليف الذي اشار له الناصري لا يزال مخطوطا في نسختين : (خاصة) بتخلبيا بتر ، والثانية ضمن مجموع رقم ق. 336 في الخزانة العامة بالرباط ، وهو يحمل اسم « تنبيه الهمم العالية ، على الصدقة والانتصار للملة الزاكية ، وقمع الشرذمة الطاغية » .

أما اشعار البهلولي فلا يزال مجموعها غير معروف ، وأثبت في « دوحة الناشر » مطالع ثلاث قصائد منها : اثنتان زجليتان ، والثالثة معربة .

* * *

والى جانب الدعوة للجهاد اهتم ابو العباس احمد زروق الفاسي بنقد بدع التصوف وبالخصوص في كتابه :

« عدة المريد الصادق من اسباب المقت ، في الطريق القصد وذكر حوادث الوقت » وهو مخطوط متداول .

مع « النصح الانفع والجنة ، للمعتصم من

---

(91) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » ، ص 55 ـ 63 من نشرة مجلة « اللسان العربي » المشار لها وشيكا ، وقد ورد بهذا المصدر الاشارة الى النسخة الوحيدة التي كانت معروفة من الزيج الزاكوطي ، وهي بالمكتبة الملكية رقم 1433 ؛ ثم ظهر بالمكتبة نفسها نسخة ثانية من هذا الزيج برسائله وجداوله ، في سفر مستقل صار يحمل رقم 8184 ، وجاء في آخر الرسالة في تعابير ضعيفة هكذا : « تمت الرسالة للجداول ، ترجمة من عبراني الى لغة اللتين في لسان رمنص ، وهي اللغة العجمية المتصرفة في بلاد اسبانية ، وهي بلاد الاندلس . على يد المعلم يوشب (يوسف) تلميذ المؤلف للجداول ، وترجمها ـ من اللسان الرمنيص ـ عبد الله واسير ذنبه ، الراجي عفو ربه : قاسم بن احمد ابن الفقيه قاسم بن الشيخ ، الحجري الاندلوسي كان الله له بمنه ، آمين » .

(92) « الاستقصا » ، ج 4 ص 112 .

البدع بالسنة » ؛ اشار له السوداني (93) .

وكان لاتجاه الامام زروق تجاوب ـ اكثر ـ بالمغرب الاوسط ؛ فوضع ابو حفص عمر بن محمد الكماد الانصاري القسنطيني الشهير بالوزان كتابا في الرد على التابيين بالقيروان (94) ، مع العلم بان المؤلف من الآخذين عن الشيخ طاهر الزواوي تلميذ الشيخ زروق (95) .

كما ان عبد الرحمن الاخضري نظم الارجوزة « القدسية » ؛ في التصوف السني والتحذير من البدع ؛ ووالد ناظمها : الصغير بن محمد الاخضري تلميذ مباشر لزروق (96) .

وبالمغرب الاقصى وضع ابو القاسم بن سلطان القسنطيني الخطيب بفاسية تطوان تاليفا في مجلدين رد به على الطائفة الادنلسية ؛ قال عنه ابن القاضي (96 مكرر) « أجاد فيه كل الاجادة ، وناقل فيه عن السنة السمحاء ؛ اطلعني عليه سنة 995 ».

وسياتي هذا الكتاب خامس المؤلفات التي تناولت بدعا خاصة ، وتذكر بعدها موضوع ابي محمد عبد الله البيطي (97) ؛ غير ان هذا اهتم بالبدع بصفة عامة في ارجوزته المطولة التي تحمل اسم : « الالفية السنية ؛ في تنبيه العامة والخاصة على ما غيروا في الملة الاسلامية » ؛ وهو ينتقد فيها المجتمع المغربي على سائر المستويات ؛ ولا تزال مخطوطة .

وبالاضافة الى هذه الالفية خلف المؤلف نفسه منظومات صغيرة ورسائل في التحذير من بدع جبال غمارة ؛ وقد كان موقعها في مجاورة منطقة البرتغالي ؛ ولا شك ان هذا الجوار للمحتل صار له تأثير في وفرة الدعاة بهذه الجهات ؛ من اقران ابي محمد عبد الله البيطي وتلاميذه الذين نهجوا طريقته ـ نظما ونثرا ـ في نقد الابتداع ؛ وكان منهم :

ابو البقاء عبد الوارث اليلصوتي (98) ؛ وابو حفص عمر بن عبد الوهاب الحسني العلمي (99) .

---

(93) « نيل الابتهاج » ص 85 ؛ والغالب ان التنصح الانفع عنوان ثان لكتاب عدة المريد . وهكذا جاء عنوان العدة في مخطوطين اثنين : خ . ع . ف : رقم 710 آخر مجموع ، مع رقم 1045 اول مجموع ؛ وقد اجرى ذكره البعض فاكد انه تاليف ماخر في البدع لنفس المؤلف في مسالة فصل ؛ حسب محمد المدني ابن جلون في تقييد له مخطوط يتناول نوافل الصلوات التي خلا منها المختصر الخليلي .

(94) « فوريس المنجور » عند ترجمة استاذه اليسيتني ، مع « درة الحجال » رقم 1184

(95) انظر ترجمة الزواوي في « نيل الابتهاج » ص 130 ؛ وعند ابن مريم في البستان ص 116

(96) انظر المهدي البوعبدلي : « الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين : الحفصية والتركية وآثارها » مجلة « الاصالة » ، السنة الرابعة ، العدد 19 ، ص 144 ـ 145 ؛ وقد اشار الى ان الارجوزة نشرت ناقصة ضمن « مجموعة الرسائل المنيرية » عام 1346 هـ ، غير انها ليست واردة بالمجموعة المشار لها .

وقد نوه بالارجوزة الاخضرية ابو العباس الطالب احمد بن طوير الجنة الوداني ؛ واقتبس منها 25 بيتا في شروط الذكر وما اليه ، حسب رسالته : « فيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان » مخطوطة المكتبة الملكية رقم 406 .

وعلى هذه الارجوزة شرح للرحالة الجزائري : الحسين بن محمد الورتيلاني ؛ منه مخطوطة فريدة خ . ع . ك 1165 . اول مجموعة ص 1 ـ 128 . (96 مكرر) ـ ذرة الحجال رقم 1344 .

(97) ترجمته في « دوحة الناشر » ص 6 ـ 13 ، وولده محمد بن عبد الله البيطي « ارجوزة » مطولة في ترجمة والده واسماء عيون اصحابه ؛ ولا تزال مخطوطة .

(98) ترجمته في (دوحة الناشر) ص 5 ـ 6 ؛ وقد اثبت له ابو العباس احمد بن عرضون ـ آتي الذكر ـ قصيدة زجلية مطولة ضد جملة من مبتدعات قبيله ؛ حسب « مختصر مقنع المحتاج في آداب الازواج » ، ط . ف . ص 26 ـ 31 .

وللشيخ عبد الوارث هذا رسالة لا تزال مخطوطة باسم « المسلك القريب الموصل الى حضرة الحبيب » ، وهو يحمل في مواضع منها على على الانحراف الصوفي ، في لهجة قوية يبدو انيسا موجهة ضد ابتداع الطائفة اليوسفية سابقة الذكر عند التعليق رقم (10) .

(99) ترجمته في « ممتع الاسماع » : الملزمة 10 ص 7 ـ 8 ، حيث يقول عنه : « وكان متين الدين ، صلبا في الحق ، قوالا به ، لا يخاف ـ في الله ـ لومة لائم » .

وأبو الربيع سليمان الحاج الملولي الزجلي (100)،وأبو القاسم بن علي بن خجو الحساني (101)، وأبو العباس احمد بن الحسن بن مرضون الزجلي (102) .

* * *

وعلى امتداد المغرب الكبير ظهر ــ خلال الفترة ذاتها ــ استعمال التبغ : بالتدخين أو التشـــوق .

وكانت مناسبة لظهور اوضاع في الدعوة لرفض هذا الوافد ، تحظره الفقهاء المعنيون بالامر ، ومن بينهم ابو العباس المقري التلمساني ، وابو زيد عبد الرحمن ابن محمد الفاسي (103) ، وأبرز هذا الاخيـــر ــ في فتواه ــ عواقب استهلاك التبغ على العملة الوطنيـــة حسب الفقرة التالية .

---

(100) له قصيدة في جملة من محدثات قبيله ، اشار لها ابن مرضون في مقنع المحتاج المخطوط ، وفي مختصره المنشور بالمطبعة الحجريـــة الفاسية ، ص 31 .

(101) يصفه ابن عسكر عند ترجمته بناصر السنة ومميت البدعة ، حسب « دوحة الناشر » ص 43، ويقول عنه ابن مرضون في « مقنع المحتاج » : « ورسائله في هذا المعنى ــ من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ــ لا تحصى كثرة » هذا بالاضافة الى ما سجله في شرحه لترجيز مسائل ابن جماعة في البيوع ، حيث نبه على محدثات قبيله ، ونشع على مبتدعاتهم .

(102) هو مؤلف كتاب « مقنع المحتاج في ادب الازواج » الذي يقع في مجلد كبير ، ولا يزال مخطوطا في نسخ مجدودة ، ثم استخرج منه مؤلفه مختصرا نشر بالمطبعة الحجرية الفاسيـــة في 120 ص ، وقد تبينا من الاحالات على المؤلفيـــن ضمن التعليقات القريبة نماذج من مناهضـــة ابن مرضون للبدع المنتشرة بين قبيله .

(103) نقل محمد مبارة نص الفتويين ــ معا ــ من خط صاحبيهما ، واثبتهما في شرح نظم تكميـــل المنهج : ط. ف : الملزمة السادسة ص 8 ،مع كامل الملزمتين : السابعة والثامنة .
ومن الجدير بالاشارة ان جواب ابي زيد بن محمد الفاسي ، نشر ــ بالمطبعة الحجرية الفاسية ــ في صفحتين من ورقة واحدة ، غير انه جاء منشورا لابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، وهو سهو واضح من الناشر ، حيث تبينا ان الجواب منقول عن خط صاحبه مباشرة ، وناقله تلميـــذ للمجيب ، وليس تلميذا لابي زيد بن عبد القادر ، وانما هذا من الآخذين عن مبـــارة ، حســـب ترجمته في طالعه شرح العميري للعمليات الفاســـيـــة .
وبعد هذا نوضح ان جواب ابي زيد الفاسي جاء للرد على سؤال في الموضوع ، بعث به ــ من تطوان الى فاس ــ ابن اخي المجيب : ابو حامد محمد العربي الفاسي ، وصاغه في اسلوب معلول استوعب اربع صفحات من الحجم الكبير ، وهذا السؤال هو الذي يسميه الافراني بـ « سهم الاصابـــة في حكم طابه » ، حسب ترجمة محرره من « صفوة من انتشر » ، ص 71 .
ونعقب ــ الآن ــ بكلام في الاتجاه ذاته ، ورد في جواب لابي سالم ابراهيم الكلالي ونصه بطوله : « ... واما ما يفعله سفلة التجار من سفرهم الى ارض الحرب ، والدخول تحت حكمهم ، ونقل ذخائر المسلمين من النقود الجيدة وغيرها من انواع ما يستعينون به ويتقـــوون على المسلميـــن بسببه ، فلا يحتاج الى جلب نص على منع ذلك وتحريمه لشهرة ذلك في كل ديوان ، بل مما شاع وذاع عندهم خسيسة قذرة تستد من مجرد سماعها الآذان ، وتطيش من فضيحتهـــا العقـــول والاذهان ، وهي اعمال السفر لبلادهم ، والدخول تحت قهرهم وحكمهم ، بالنقود الجيدة : الذهب الخالص ، والفضة الخالصة ، وانواع السلاح وما يؤول اليه ،ويدفع ذلك في اعشـــاب الارض يسمونه بالتبار والدخان ، فهي رزية ومـــا اعظمها ، وبلية وما اخسها ، ومحنة عظيمة ولا خالد ابن الوليـــد .
ومن اغرب ما حدثني به بعض الثقات من اصحابنا التجار ، بعد ان سالته عن الذهب الجيد الـــذي كان يتبايع به المسلمون ، واين ذهب ، وهل هو باق عند الناس في ذخائرهم ، واين صار ؟ فقال لي : ان التاجر لا يختزن الدينار ولا الدرهم لعدم انتفاعه بفضل ذلك ، وانما يختزن ما يكون له فيه ربح . فقلت له فاين ذهب ذهب المغرب كله ، قال لي : عند النصارى دمرهم الله في سلعة الدخان المشئوم ، فاستغربت ذلك من قوله،فقال لي : احدثك بالواقع لي ، وذلك اني سافرت الى

« .. ولو نظر الى ما عرض فيها من اضاعة المال كما هو صورة الواقع لكان صحيحا وجليا ، فقد تطرق من ذلك ضرر للاسلام وذويه ، ونفع لاهل الكفر ، بحيث اختصوا بالجيد من سكة الاسلام ، بل واستبدلوا بالكثير من اموال المسلمين ، وفي ذلك ضرر عام يفضي الى توهين الاسلام وقل حده ، باستفراغ جل ما بايديهم من عين الذهب والفضة ، وتقوية الكفرة بملء يدهم بما لا ينقص شيئا من منافعهم واقواتهم وذخائرهم ، ولا من عدتهم وعددهم ، وقد منع الشرع من جلب المنافع اليهم من طعام وشمع ، واحرى السلاح ، واي سلاح اقوى من الذهب والفضة .

فصار مدارها ومآل امرها الى اتجاد الكفرة ، واقعاد المسلمين عن الدفاع ، واي مفسدة فوق هذا.

على انه عاد من ذلك ضرر وحرج في السكة يعرفه اهل المعاملات ، **وكفى بذلك كله مانعا** » .

ولا عطاء تحريم التبغ صبغته الرسمية ، حكم به قاضي فاس ، وسجل الحكم عليه بذلك ، واستنادا لهذا امر المنصور السعدي باحراق المتداول منها لدى الباعة ، فاحرقت بديوان فاس الجديد (104) .

ونشير — الآن — الى عالم جزائري كتب في موضوع تحريم الدخان في فترة لاحقة ؛ وهو عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني ، وقد الف جزءا سماه : «مجلد السنان في تحور اخوان الدخان»(105) ثم لخص منه ابو سالم العياشي (106) ، وكان مما ورد في تلخيصه في سياق ذكر المؤلف .

« ... ثم نقل كلاما في تحريمه لصاحبه الاستاذ ابي عبد الله محمد السوسي المغربي المتوفى بالجزائر سنة ثلاث وعشرين بعد الالف .. ونقل ما استحضره من كلام جمال الدين مفتي القيروان ؛ ثم نقل اجوبة في تحريمه منظومة لبعض الفاسيين » .

* * *

وفي اطار حركة الاصلاح الاجتماعي الذي تابع عرضه ، اتجه مفكرون — من المغربين — الى تجديد الدعوة لتوعية الجماهير — رجالا ونساء — بالتعريف بالعقيدة الاسلامية ، ولا شك ان هذا جاء في موازاة

مدينة سبتة ، اعادها الله دار اسلام ، فاقمت بها قريبا من عشرين يوما انتظر سلعة الهند ، لعلي اجد ما اشتري ، فلم اجد شيئا ، فبينما نحن في انتظار ما يظهر من اغراضي ، فاذا بسفن قدمت من عدوة النصارى ، ففرحت ، فلما ارست لم تجد فيها عدا الدخان ، فما كان من صبيحة الغد ، حتى كانت كلها موزونة على ذمة مشتر، فيها خمس عشرة مائة قنطار ، لم يدفع في ثمنها الا الذهب الجيد ، وبقيت بعد ذلك من خمسة عشر يوما مقيما انتظر ما تشتري ، فقضيت بعض اغراضي ولم استكملها بدالة ومهانة ، ورجعت لثغر تطوان فوجدت دخانها كلها قد نفد ، وصار الى من سخط الله عليه ، فنفقت نقود المسلمين كلها في دخان لا اصل له ولا حقيقة ، ولا منفعة حسية ولا معنوية ، ولا متكلم ولا نكير ، فانا لله وانا اليه راجعون » نقله التسولي في « نوازله » اثناء باب الجهاد وملحقاته ، مخطوطة المكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم 798 ، ج 1 ص 194 — 195

(104) من جواب مخطوط في نفس الموضوع ، لشيخ الجماعة بفاس : ابي العباس احمد بن الخياط الزكاري الحسني الفاسي ؛ مع « النوازل الوزانية الصغرى » ، ط. ف. ج 1 ص 276 ، وديوان فاس الجديد الوارد في الفقرة التي نعلق عليها، جاء ذكره — ايضا — في نوازل الشريف العلمي ، ط. ف. 1332 هـ ، الملزمة 33 ص 4 ؛ وهو يورده بتعبير مفسر هكذا : « ... ديوان النصارى كان هؤلاء هم الذين كانوا يتاجرون باستيراد التبغ وبيعه في فاس وغيرها من جهات المغرب ».

(105) ترجمته في « شجرة النور الزكية » رقم 1203 .

(106) « الرحلة العياشية » ط. ف. ج 2 ص 396 — 400 .
وتوجد نسخة كاملة من « مجلد السنان » بالمكتبة الملكية اول مجموع رقم 6929 ؛ بخط محمد ابن عبد الرحمن الحسني الشاذلي ، كتبه بمدينة طرابلس الغرب سنة رجوعه من الحج الفرض ؛ وفرغ منه يوم الاحد 27 رمضان عام 1178 هـ، نقله من نسخة بها تصحيف وتحريف في بعض مواضعها ؛ وايضا بخلل المنتسخ بياض في صفحة كاملة منه .

حركة التبشير المسيحي الذي يواكب الغزو البرتغالي والاسباني (107) .

وتبنى هذه الدعوة العقائدية بالجزائر : محمد ابن يوسف السنوسي في واضاعه الكلامية التي اضاف لها البراهين السمعية والعقلية ، حتى يتسلح الموحدون بما يدحضون به شبه الانكار على عقائدهم.

وبالمغرب الاقصى انتدب للاتجاه ذاته عبد الله الهبطي ، وألف بدوره عقائد مبسطة في مستوى الجماهير من الرجال والنساء والصبيان ، ويقول عنه في « دوحة الناشر » (108) : « وكان كثيرا ما يحض على فهم مدلول الشهادتين ، بل اتخذ ذلك هجيرا وديدنا لما راى من استيلاء الجهل على الخلق ، وألف في علم الهيللة اجزاء كثيرة ، اكبرها جرما واكثرها فائدة : كتاب « الاشادة بمعرفة مدلول كلمة الشهادة»

واحتذى حذو الهبطي تلميذه ابو القاسم بن خجو الحساني ، وكان يدعو الى معرفة قواعد الايمان بالكتابة وباللسان ، ويلقن التوحيد حتى باللهجة الغمارية لمن لا يعرف اللسان العربي (109) .

ويبدو أن خطر التبشير المشار له ، كان الحافز لادماج عقيدة التوحيد ضمن الوظيفة الجزولية (110)؛ حيث لا تزال تلتزمها بعض فروع هذه الطائفة المنبثة بسائر جهات المغرب العربي .

* * *

والآن : نتساءل هل خلف المهاجرون الاندلسيون او الاسرى من الاعلاج تاثيرا في ثقافة هذه الفترة ؟

وفيما يخص الاندلسيين تبينا ـ سلفا ـ أن غالبيتهم وفدوا على الشمال الافريقي بعدما قضوا مدة طويلة تحت المسخ والتبديل المسيحي ، لدينهم ولغتهم وثقافتهم ، مما لا يترك اثرا للتعاليم الاسلامية؛ ولا يستثني من هؤلاء سوى بضعة افراد استطاعوا الحصول على درجة من التثقيف العربي في جو من السرية والحذر (111) ، وقد حافظت النصوص على اربعة اسماء من هذه الفئة نعرضها حسب تسلسلها التاريخي تحقيقا او تقريبا .

ويحتل اولها اسم الشيخ شعبان ، عالم الاندلسيين الوافدين على تونس ، واستاذ مدرستهم التي شادوها بعاصمة الخضراء (112) .

اما الثاني : فهو الشهاب احمد الحجري ، سابق الذكر في عداد المترجمين الى العربية ، وقد الف ـ اصالة ـ كتابين :

« رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب » ، والغالب أن موضوعها وصف رحلته عن الاندلس في هجرته الى المغرب ، ولا يعرف منها ـ حتى الآن ـ سوى فقرات تناقلتها بعض المصادر المغربية .

والمؤلف الثاني الذي وضعه الحجري : هو « ناصر الدين على القوم الكافرين » كتبه ـ بمصر ـ باقتراح من عالمها ابي الحسن علي الاجهوري في اثني عشر بابا ، وضمنه مناظراته ـ بأوربا ـ مع المسيحيين واليهود (113) ، وقد قامت المستشرقة الايطالية: كيليا شارنللي بنشر القسم الخاص بالمغرب الاقصى من هذا الكتاب ، مع ترجمته الى الايطالية ، وذلك عن مخطوطته الكاملة المحفوظة بدار الكتب المصرية.

---

(107) انظر « تاريخ كشف افريقيا واستعمارها » ،تاليف الدكتور شوقي الجمل ، المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة ، ص 121 ـ 124 .

(108) ص 12

(109) ابن عرضون في « مقنع المحتاج » : المخطوط المتكرر الذكر .

(110) المعني بالامر هو المعروف « بحزب سبحان الدائم لا يزول» ، ويوجد نصه في «النور الشامل»، تاليف ابي العباس احمد بن المهدي الغزال ،مطبعة الصدق الخيرية بالقاهرة ، ص 51 ـ 53 .

(111) من نماذج هذا الوضع قصة تلقين العربية لمحمد بن عبد الرفيع الاندلسي من طرف والده ، حسب خاتمة «كتاب الانوار السنية» : المخطوط المتكرر الذكر .

(112) اتحاف اهل الزمان ، ج 2 ص 30 .

(113) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » : الدراسة المنشورة بالعدد الاول من مجلة « اللسان العربي » ، ص 55 ؛ 57 .

« وسياتي ـ بعد الحجري ـ محمد بن عبد الرفيع ابن محمد الشريف الاندلسي المرسي الاصل ، التونسي المنجر ، المتوفى ـ بمكة المكرمة ـ عام 1052 هـ / 42 ـ 1643 م ، وهو مؤلف « الانوار السنية في آباء خير البرية » ، رتبها على ثمانية فصول ، وذيلها بخاتمة تشتمل على معلومات نادرة تتناول مأساة الاندلسيين باسبانيا ، وحياة الجالية الاندلسية بتونس ، فضلا عن معلومات اخرى من ترجمة المؤلف نفسه ، وعن حاضرة تونس .

ولحسن الحظ فان الكتاب لا يزال معروفا في نسختين مخطوطتين : الاولى مغربية بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 1238 ، في 363 ص ، ويبدو انها بخط المؤلف الذي تولى مقابلتها بنفسه ، وخطه اندلسي أصيل واضح مليح ملون .

وقع الفراغ من تاليف الكتاب ـ بحضرة تونس ـ عشية الجمعة سادس شعبان عام 1044 هـ / 1635م ، ومن انتساخه اواخر شعبان المؤرخ به في الاصل .

اما النسخة الثانية : فهي تونسية بالمكتبة العاشورية ، ويبدو من وصفها انها منقولة عن المخطوطة المغربية ، بواسطة اخرى مكتبة بتونس العاصمة بتاريخ اواخر جمادى الآخرة عام 1049 هـ ، ولا يعرف ـ الآن ـ مصير هذا الاصل ، وقد كتبت منه النسخة العاشورية بخط تونسي حديث ، بتاريخ الثلاثاء 15 صفر عام 1356 هـ / 1937 م .

اقتبس من خاتمة الانوار السنية محمد بوجندار في « مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح » (114) ؛ وبواسطة هذا المصدر اورد نفي المقتبس الامير شكيب ارسلان ، في كتابيه الاثنين : « تعاليق حاضر العالم الاسلامي » (115) ثم «الحلل السندسية»(116)

واخيرا نشر الاستاذ التونسي عبد المجيد التركي ـ عن المخطوطة العاشورية ـ مقدمة الكتاب وخاتمته ، ضمن موضوع : « وثائق عن الهجرة الاندلسية الاخيرة الى تونس (117) .

ونستقل الآن الى المهاجر الاندلسي : يوسف الحكيم ، وكانت له خبرة ببعض العلوم ، ومنها الطب والتنجيم والكلام والفلسفة ، واقام بفاس ، حيث كان يتردد الى ابي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي ، وشيد له بالتقدم في مادتي الكلام والفلسفة (118) .

وقد يكون هذا هو مؤلف « النور الباهر في نصرة الدين الطاهر » ، حيث يسمي نفسه : يوسف ابن عبد الله الاسلامي ، وهو يذكر انه انتقل الى الاسلام من اليهودية ـ التي كان من احبارها ـ بعد عام 1020 هـ / 1612 م .

وقد ساق في كتابه ـ عن التوراة ـ نصوصا ناطقة بصحة دين الاسلام ، ولما لم يكن متين العربية فقد ناول الكتاب لقاضي الجماعة بسوس : عبد الرحمن التمنارتي ، فهذب عربيته ، واتمه يوم الثلاثاء 24 جمادى الثانية عام 1053 هـ (119) / 1643 م ، والكتاب لا يزال مخطوطا في 23 ص ، حيث صار في حوزة القاضي المرحوم مولاي سعيد بن الحسن بن السعيد العلوي .

وهنا نعيد الى الذاكرة اسم المعلم يوسف الاندلسي ، الوارد ذكره ـ سلفا ـ بمناسبة قيامه بترجمة رسالة الزيج الفلكي لابراهيم زاكوط ، حيث نقلها من العبرانية الى القشتالية .

ويهمنا ان نشير الى ان هذا يتقدم عصر يوسف الحكيم الذي عاش الى اوائل المائة الهجرية 11 (120) 17 م ، بينما كان مترجم الزيج الزاكوطي تلميذ المؤلف زاكوط المتوفى في العشرات الاولى

---

(114) مطبعة الجريدة الرسمية : الرباط . ص 201 ـ 216 .
(115) الطبعة الثالثة ، ج 2 ص 24 ـ 35 .
(116) المطبعة الرحمانية بمصر ، ج 1 ص 380 ـ 381 .
(117) « حوليات الجامعة التونسية » ، العدد الرابع ، سنة 1967 ، ص 23 ـ 63 .
(118) « أزهار البستان » ، تاليف ابي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، مخطوط المكتبة الملكية رقم 583 ، آخر الباب الثالث .
(119) « خلال جزولة » لمحمد المختار السوسي . المطبعة الميدية بتطوان ، ج 4 ص 177 ـ 178 .
(120) تعرف فترة حياته من خلال اتصاله بابي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي ، وهذا كانت وفاته عام 1036 هـ .

من القرن العاشر هـ ق. 16 م (121) ، فلذلك لا يتوقع أن يكون هذا الاخير هو الذي يحمل اسم يوسف الحكيم .

والى هنا ينتهي عرض اربعة مؤلفات دونها ـ بالعربية ـ ثلاثة من الاندلسيين في المهجر المغربي، ومن الواضح ان تاثيرها في الحقل الثقافي سيكون ضعيفا .

وعلى عكس هذه المؤلفات نتوقف بموضوعين سبقت الاشارة لهما ، وخلفا اصداء ملحوظة .

الاول « زيج » ابراهيم زاكوط اليهودي في تعديل الكواكب ، وكان مؤلفه ـ بالعبرانية ـ اقام بتونس عدة سنوات ، وصار لترجمة زيجه تاثير في عدد من المؤلفات الفلكية بالمغرب الاقصى (122) .

الثاني : « كتاب المدفعية الحديثة » ، للغه ـ بالاسبانية ـ ابراهيم غانم الاندلسي ساكن تونس ، وهو الذي ترجمه الشهاب الحجري باسم « كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع » ، فافادت منه المدفعية التونسية كثيرا (123) .

والى هنا يصل بنا المطاف الى واقع الاعلاج الذين انتشروا بالمغرب الكبير في الفترة التي تقدمها، وكان اكثر تاثيرهم من جهة الاستفادة من ثقافتهم التقنية .

ومن نماذج هذا ان فرقة اسبانية استسلمت ـ بتونس للقائد سنان باشا ، واشعروه انه يوجد من بينهم مائتان وخمسة من رجاليم اهل صناعات غريبة، وقد امنهم القائد التركي ، واستخدمهم في تفريغ المدافع وسبك النحاس ، ويعلق ابن ابي دينار (124) على هذا ويقول : « ومن ذلك الزمان كثرت صناعة المدافع بتلك الديار » .

وبالمغرب السعدي استخدم الاعلاج في تقنيات معامل السكر ، وتشييد الحصون الدفاعية ، وتنظيم فرق الجيش المتصوري ، وعلمنا ـ سلفا ـ ان بعض الاعلاج ـ في بلاط زيدان السعدي ـ كان يعمل في تعريب الكتب من القشتالية الى العربية .

* * *

وستكون هذه النقطة خاتمة النماذج التي يعرضها هذا البحث ، وفيها خطوط بارزة لآفاق تطوير حضارة المغرب الكبير تاثرا بواقع الغزو الاجنبي ، وما واكبه من الهجرات الاندلسية ، والوجود العثماني ، ووفادات اخرى متنوعة .

وقد رأينا في تلك النماذج اقتباسا جديدا من الاقتصاد والمعمار ، وتناول انظمة الحكم ووسائل الدفاع ، الى تجديد في القطاع الثقافي ، وبالخصوص في انبعاث دراسة العقليات والهندسة والطب ، ومحاولات في حركة التعريب ، الى مجهودات لتطوير التشريع الفقهي ، واذكاء الروح الاسلامية وتهذيبها من البدع والمحدثات .

وقد كان مجموع هذه النماذج صالحا ليكون نواة لبدء انبعاث المغرب الكبير ، والسير به نحو انبثاق عصر النهضة المغربية العربية ، كما بدا في الغرب الاوربي عصر النهضة الحديثة ؛ غير ان الشمال الافريقي وقف عند البداية ، ليتيح التساؤل:

— لماذا هذا التوقف ؟

— وعلى من تلقى التبعة ؟

— وما طرق العلاج ؟

اسئلة مطروحة تنتظر الاجابة عنها .

الرباط : محمد المنوني

---

(121) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » ، مجلة « دعوة الحق » ؛ حيث توجد بنشرة هذه المجلة اضافة عن حياة زاكوط : العدد الثالث ، السنة العاشرة ، ص 86 .

(124) « المؤنسي » ، ص 175 .

أبعاد الحضارة المغربية

في افريقيا والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي

لمرتاض عبد العزيز بن عبد الله

لقد زعم البعض ان العرب اكتشفوا امريكا منذ نحو من الف سنة وساق الاب انستاس الكرملي للدلالة على ذلك بعض الحجج منها وجود كلمات عربية في لهجات هنود امريكا وبقايا زنوج افارقة والشبه الملحوظ بين حضارة الاسلام ومظاهر الحياة في بعض المجتمعات هناك وقد اكد الشريف الادريسي ان الفتيان المغرورين وصلوا الى جزر منها أصور وقيل ان حكايات شبانهم التي اصبحت مضرب الامثال في الاندلس هي التي حدت كريسطوف كولومبس الى القيام برحلته على ان الاستاذ رنان Renan قد اشار في دراساته حول ابن رشد الى رسالة بقلم كولومبس نفسه اعترف فيها بأن مخلفات ابن رشد هي التي أوحت له بوجود قارة يابسة ومنذ عهد قريب اكد الدكتور جيفريس الاستاذ في جامعة (ويتواترسترانند) الذي انكب على دراسة هذه القضية منذ عدة سنوات ان العرب هم الذين كشفوا عن امريكا قبل كريسطوف كولومبوس بنحو من ثلاثة أو اربعة قرون كما يتبين ذلك من هياكل وقع العثور عليها ويقول الاستاذ بانه عندما وصل كريسطوف الى امريكا وجد جماعة من الزنوج الذين فروا من اسيادهم العرب وهو يرى ان المزروعات الافريقية دخلت الى امريكا على يد العرب وان العرب هم الذين نقلوا كذلك المزروعات الامريكية الى اوربا وهذا يفسر لنا — في نظره — سبب اشتهار الذرة في أوربا بالقمح الامريكي

ومهما يكن فهنالك ظاهرة قارة في تاريخ المغرب وهي ان المغاربة والاندلسيين جالوا في جوانب المحيط الاطلسي وقاموا بدور هام في بعض جزره حيث كانت لهم جاليات مهمة على أن المغرب تحمل القسط الاوفر — طوال بضعة قرون — في الدفاع عن حوزة السواحل العربية المطلة على المحيط من اشبونة الى اكادير وكانت له اوراش واساطيل عبر انه قلما كان يستخدم المياه الاطلسية في ربط صلة الوصل بين العدوتين لان مضيق جبل طارق كان اقرب واسهل .

وقد اشعت الحضارة العربية من السواحل الاندلسية خاصة فكانت المرية اعظم ورش بحري في عهد الامويين ثم انبثقت اوراش اخرى اشار اليها الشريف الادريسي في نزهته كالجزيرة وقصر ابي دانس وطرطوشة ثم مالقا وقد حاول الدنماركيون اكتساح الاندلس عام 966 م ولكن ملك اشبيلية صدهم باسطوله الذي كان يمخر عباب المحيط وقد ابى ملوك الطوائف الا ان ينشئوا اساطيل على غرار الاسطول الاموي تجول قطعها في كل من البحر المتوسط وبحر الظلمات وكذلك بنو نصر في غرناطة .

غير ان العلائق التي توثقت فيما بعد بين المغرب وبعض دول المحيط كالدنمارك والسويد وانجلترا وهولندا حدته الى الاهتمام بمراسيه الاطلسية وقد

كانت هولندا أولى الامم الاطلسية التي تبلورت روابطها مع المغرب في مبادلات عبر المانش لا سيما بعد معاهدة 1610 م التي اعطتها الاسبقية وكانت اهم مراسي المغرب اذ ذاك هي اسفي واكادير ومأسة ثم اصبحت سلا انشط ميناء بالمغرب وظلت محتفظة بهذه الميزة طوال قرن كامل وعند بزوغ فجر الدولة العلوية حرر المولى اسماعيل بعض موانىء الشمال كطنجة والعرائش واصيلا من ربقة الاجانب فساهمت هذه المراكز في تعزيز رسالة المغرب في المحيط الاطلسي تلك الرسالة التي اكتملت بعد بضعة عقود من السنين بتأسيس الصويرة على يد المولى محمد ابن عبد الله وما لبث هذا الميناء الجديد ان احتكر مجموع النشاط التجاري المغربي ففي عام 1745 اصدر المغرب عبر المحيط الاطلسي عن طريق الصويرة 85000 طن من القمح والقطاني ، وفي سنة 1751 تضخمت حركة الميناء فبلغت قيمة رواجانه ما يقرب من ستة ملايين فرنك وهو مبلغ له خطورته في ذلك العصر وقد زار المراسي الاطلسية في تلك السنة 223 باخرة اوربية وظلت مراسي الصويرة مكتملة النشاط الى عام 1911 حيث زارها 462 باخرة وكان الميزان التجاري المغربي مزدهرا آنذاك لان الصادرات بلغت في هذه الاونة ثلاثة أضعاف الواردات .

تلك قواعد نوردها للدحض ما يزعمه البعض من ان المغرب عاش منطويا على نفسه ؛ نعم اغلق احيانا لاتقاء الدسائس الاوربية بانزواء والقبوع بل بلغت مضايقة بعض الاقطار اللاتينية مبلغا حداه الى قصر علاقته على بعض الامم البروتستانتية المتحاذية لسواحل بحر الظلمات كانجلترا والسويد والدنمارك التي امضى معها معاهدات تجارة وودادوهذا يدلنا على أن النعرة الدينية لم تكن هي الباعث على انعزال المغرب عن اوربا ومع ذلك فلا يبعد أن يكون ملوك المغرب قد ظلت عالقة بأذهانهم ذكريات تحريض البابوية والدول الكاثوليكية التابعة لها على اكتساح المغرب باسم الصليب ومهما يكن فان هذا القبوع يرجع في نهاية الامر الى رغبة المغرب في التحصن ضد الحركات التوسعية التي بدات بوادرها تظهر في بعض سواحل المتوسط الافريقية .

وقد امضى السلطان سيدي محمد بن عبد الله قبل وفاته ببضع سنوات (1786) معاهدة تجارة وملاحة مع الولايات المتحدة لمدة خمسين سنة وقع تجديدها عام 1836 .

فالمغرب لم ينعزل اذن عن العالم العصري ولم يهمل كذلك تطور السياسة الاوربية الامريكية بل تتبع بكامل الاهتمام واكبد العطف حركة تحرير شعوب ما وراء الاطلسي وقد كان المغرب في طليعة الدول التي اعترفت باستقلال جمهورية الولايات المتحدة الفتية.

ومنذ القرن السادس عشر امكن للحضارة المغربية التي كانت الى ذلك التاريخ منحصرة في البحر المتوسط ان تدخل الى امريكا الجنوبية بواسطة الغزاة البرتغاليين الذين اكتسحوا اذ ذاك العالم الجديد فقد تلقت البرازيل مثلا طوال ثلاثة قرون متوالية تأثير المدنية الاندلسية فانسحت جميع مظاهر الحياة الاجتماعية الامريكية بطابع مغربي يشع ويضعف حسب الاصقاع فتقنعت المراة البرازيلية على طريقة زميلتها المغربية وكيفت اسلوب حياتها . كما فعلت المراة الصقلية المسيحية قبلها حكاه الرحالة ابن جبير تكييفا يحذو حذو النعل بالنعل ما عهد في الاندلسيات والمغربيات ؛ نعم اصبح الشيء الكثير في البرازيل صورة لما كان عليه مجتمعنا في العصور الوسطى من اناقة النساء الارستقراطيات في الخواضر واتخاذهن الطنافس الوثيرة للجلوس بدل المقاعد الخشبية الى غير ذلك من طرائق الحياة الفردية ومناهج الفلاحة والفراسة في البادية فبالرغم عن اختلاف الطقس استخدم الفلاح الامريكي اجهزة واساليب الفلاحة المغربية وانتشر استخدام الطواحين الهوائية في مجموع انحاء امريكا الجنوبية مع جميع ما ينطوي عليه نظام الري عندنا (السواقي والابار الخ) وقد نقل المعمرون البرتغاليون الى امريكا جميع ما انجزه المغاربة في القسم الجنوبي من الاندلس من مصانع السكر والقطن الى مزارع الحوامض ودودة القز (كانت 3060 قرية اندلسية تتفاطى تربية دودة القز) علاوة على ما كان بالمغرب وخاصة ناحية فاس . على ان اللغة الاسبانية الامريكية تنم عن الآثار التي تركتها حضارتنا في الميدان الثقافي والاقتصادي والاجتماعي بامريكا فالاصطلاح الامريكي في المياه والسقي والري معظمه عربي وكثير من الازهار والنباتات العطرية ما زالت تحمل في اسبانيا وامريكا اسماء عربية اضف الى ذلك ما يمس (مودة) الشاء من اسماء الحلي والمصوغات .

والشبه وثيق بين المغرب وامريكا الجنوبية في ميدان الهندسة المعمارية حيث لا تختلف في البلدين اساليب البناء في الكنائس والاديرة والمنازل

والحمامات وقد تأثر الاصطلاح الامريكي في هـذا المجال ايضا بالمفردات العربية .

ويضيق المجال عن تعداد المناحي التي تجلت فيها آثار الحضارة المغربية والاندلسية بامريكا فحتى اساليب الطبخ واسماء العائلات لا تختلف في امريكا عنها في المغرب ووحدة اصول العائلات العربية تفسر لنا نجاح الهجرة العربية الى امريكا لا سيما العناصر السورية واللبنانية التي ساهمت مع المغاربة منذ العصر الاموي في تكييف الحضارة الاندلسية مما جعلنا نلمس من جهة اخرى وجوه الشبه العديدة بين كثير من المؤسسات السورية والمغربية .

ويتمتع المغربي في امريكا الجنوبية بسمعة طيبة فهو مثال النشاط والمثابرة والذكاء وقد اشتهر المغاربة كملاحين مهرة وليس ذلك ببدع ، فاذا كانت البحرية البرتغالية قد استطاعت ان تمخر عباب بحر الظلمات وان تصل الى امريكا فما ذلك الا بفضل اساليب الملاحة العربية فابن ماجد الملقب (باسد البحر الهائج) صاحب المصنفات العديدة في قيادة السفن هو الذي كان ربان الرحال فاسكو دو كاما (1524 ـ 1469) الذي كشف عام 1498 طريق الهند وقد مهر مغاربة في هذا الفن منهم عبد العزيز بن أحمد .

تلك بعض المظاهر التاريخية لرسالة المغرب في المحيط الاطلسي وهي رسالة اصبحت في الظروف الدولية الراهنة اشد واقعية من أي وقت مضى .

واذا حاولنا ادراج هذه المعطيات في اطارها السياسي ضمن التطور التاريخي المسلسل لاحظنا ان العنصر البربري هو في راي الكثير من النسابين مزيج من الساميين والحاميين (1) الا ان من الصعب التعرف الى ماهية البربر سلالة ولغة قبل دخول الفينيقيين الى الشمال الافريقي في اوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد ـ وكانت حضارتهم قد تركزت قبل في لبنان وسواحل الخليج العربي بالبحرين والقطيف ـ فاسسوا بالمغرب الاقصى حاضرة ليكس Lix قرب مدينة العرائش حوالي 1100 ق. م. كما اقاموا مدينة «اوتيك» Utique ثم قرطاجنة (عام 814 ق. م.) ولكن سقوط الحاضرة القرطجنية (عام 146 ق. م.) فسح المجال للرومان والبزنطيين ـ الذين زحزحهم الفاتح العربي بعد القرن الهجري الاول ـ حيث انشا عقبة بن نافع مدينة القيروان (50 هـ ـ 670 م) ثم انطلق (عام 62 هـ) في جولة عسكرية خاطفة نحو اقصى الصحراء المغربية حيث تلاه موسى بن نصير (عام 88 هـ) بجيوشه التي هبت بامرة طارق بن زياد لفتح الاندلس عندما كان صالح بن منصور الحميري يقيم باسم الخليفة الوليد بن عبد الملك مملكة تكور في الريف وظل المغرب بعيدا عن تيارات الشرق ومراقبة بني امية الذين استبد بعض ولاتهم فامتهنوا البربر واجبروهم على اداء خمس اموالهم لبيت المال (2) وادى السخط العام الى ثورة البربر باقليم طنجة (عام 122 هـ) بدافع من الخوارج الصفرية والاباضية الذين جاءوا من العراق يحملون مشعل الدعوة الى مبادئهم في الديموقراطية والمساواة تحت ظل الاسلام ، فتاسست دويلات خارجية في المغرب الكبير وخاصة في سجلماسة (عام 140 هـ) وتامسنا (2) بينما فر فلول العرب الواردين من ثغور مصر والشام الى الاندلس ، وكانت الاضطرابات على اشدها في الشرق بين العباسيين والامويين والعلويين ففر المولى ادريس بعد وقعة « الفخ » قرب المدينة المنورة الى مصر ومنها الى المغرب الاقصى (172 هـ) حيث اسس اول مملكة عربية اسلامية (3) خشي هارون الرشيد باسها فدس من اغتال هذا الامير العلوي الذي اقتبله البربر بحماس تلقائي لم يعهد مثله لفاتح اجنبي وبويع لابنه الناشىء ادريس الازهر (عام 188 هـ) فاتسع نفوذه وتقل عاصمته من « وليلي » الى فاس (عام 192 هـ) . ثم تجزات المملكة الشاسعة بوفاته (213 هـ) وانتهز الخوارج الصفرية هذا التفكك فثاروا ضد الادارسة الذين نقلوا دولتهم الجديدة الى الجبل وجعلوا عاصمتها البصرة التي واصلت نفوذها خلال قرنين وفي غضون ذلك انقرض الاغالبة ، وقام القائد الفاطمي

---

(1) « البيان المغرب » لابن عذاري ـ طبعة بيروت 1950 جـ 1 ص 52 .
(2) امارة البرغواطيين تقع في تامسنا بين سلا واسفي وكان مؤسسها هو ظريف من قواد الثورة الصفرية الذي ابتدع نحلة جديدة لمعارضة الاسلام .
(3) يفهم من مصادر عربية ونقود ادريسية ان المولى ادريس الاول كان قد اسس جانبا من مدينة فاس قبل هذا التاريخ (« تاريخ المغرب » للكاتب ج 1 ص 90) .

جوهر الصقلي مؤسس القاهرة (عام 347 هـ) باقتحام خاطف لفاس التابعة للناصر الاموي بينما ظل امراء البربر يتأرجحون بين الانصياع للادارسة من ناحية وللعامريين غاصبي مملكة الامويين بالاندلس من ناحية اخرى قرابة قرن ونصف قرن في خضم من الفوضى والغموض جعلت المغرب احوج ما يكون الى زعيم من طراز يوسف بن تاشفين الذي ما لبث ان استكمل توحيد المغرب الاقصى منطلقا من عاصمته الجديدة مراكش التي اسست (عام 454 هـ) لاستئصال البرغواطيين وتقويض مملكة تكور التي كانت مقر الانطلاقة الثانية لتغريب المغرب الاقصى بعد افواج القراء والخوارج العرب وما لبث ان اعقبتها انطلاقة ثالثة بزعامة الادارسة الذين ركزوا اول دولة اسلامية على نطاق المغرب من الصحراء الى الاطلس الى الريف . وكانت الصليبية قد بدات تتحرك من الاندلس للايقاع بالاسلام فانبرى القائد المرابطي (479 هـ / 1086 م) اي قبل الحرب الصليبية الاولى بعشر سنوات (1096 م) لتحرير امارات ملوك الطوائف من ضغط الاسبان فأحرز في معركة الزلاقة (عام 1086) (4) ضد الفونس السادس ملك قشتالة (عام 1065 ــ 1109) نصرا تردد صداه في الشرق والغرب وذاع صيت القائد الظافر الذي لقب منذ ذلك اليوم « بامير المسلمين » مع استمرار دعوته لدار الخلافة العباسية تركيزا للوحدة الكبرى وتكونت امبراطورية واسعة ضمت الصحراء والمغارب الاربعة (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) والاندلس تحت الحكم المرابطي ثلاثة ارباع قرن (الى 537 هـ) ظهر خلالها ملوك طوائف جدد بالاندلس وزحف صليبي عارم في افريقية (اي تونس) وكان المهدي بن تومرت قد بدا جولته في الشرق منذ اوائل القرن السادس فانبرى يجدد معالم الدين ويركز العقيدة السلفية ويجمع من جديد تحت ظل الاسلام المملكة المرابطية الشاسعة التي بدات تنهار . وقد استطاع خليفته عبد المؤمن الموحدي في سنة الاخماس (555 هـ) تخليص افريقيا من الغزو النرمندي وتحصين جبل الفتح (جبل طارق) بالاندلس بفضل اسطوله العتيد الذي اصبح اول اسطول في البحر الابيض المتوسط (5) والضرب على ايدي العرب الهلاليين والسليميين الذين نشروا الرعب والدمار بافريقية فازدهرت بذلك حضارة جديدة اسهمت الاندلس في طبعها بميسم خاص بزعامة يعقوب الملقب بالمنصور منذ ظفره على الصليبية المتكتلة في وقعة الارك (591 هـ ــ 1195 م) اي بعد وقعة حطين بنحو عقدين من السنين وشعر البابا اينوسان الثالث Inno Cent III (عام 1198 ــ 1217 م) بالخطر الداهم فتكاتفت البابوية بموجب تصميماتها المعتادة مع ملك قشتالة الفونس الثامن (1158 ــ 1214 م) واستغث طليطلة رودريك جيمنيز للكر من جديد على الاسلام المتوثب في وقعة العقاب (609 هـ ــ 1212م) التي كانت هزيمة شنعاء ضعضعت مقومات الامبراطورية الموحدية في الغرب في نفس الوقت الذي بدا المسيحيون يندحرون في مصر خلال الحرب الصليبية الخامسة (1219 م) حيث طردوا نهائيا من الاماكن المقدسة بعد معركة غزة (عام 1244م) واتجه المرينيون فيما بعد يلمون الشمل معيدين للبلاد وحدتها في حدودها الافريقية بينما هب الفونس العاشر لتضييق الخناق على المملكة النصرية (اي دولة بني الاحمر) التي لم تفد من اجازات المرينيين المتوالية للاندلس سوى خضد مؤقت لشوكة المسيحية والواقع ان الامبراطورية المرينية كانت متهارة من اساسها رغم ذيوع صيت ابي الحسن اعظم ملوكها الذي مني بآخر هزيمة في وقعة طريف Rio de Salado (741 هـ ــ 1340 م) قطعت الامل في انقاذ الاندلس حيث واجهت مملكة غرناطة مصيرها وحدها وكابد ابو عنان المريني الامرين في حفظ كيان المغرب الذي تقلصت حدوده الجغرافية وتوالت فيه الازمات باستفحال التطاحن بين ادعياء العرش من المرينيين والوطاسيين والسعديين فشاعت الاوبئة وخربت الامصار واندرست كثير من معالم الحضارة واطل الصليب على ثغور المغرب ضمن انتفاضة استعمارية جديدة كانت رد فعل عنيف للحكم الاسلامي في الاندلس طوال ثمانية قرون وبذلك دخل المغرب في عهد جديد قطع خلاله خطوات عملاقة في تعريب اجهزة الدولة والقطاعات العلمية والثقافية والمؤسسات الاجتماعية واحتضان التراث العربي الاندلسي بمختلف شبكاته ومقوماته وذلك بالرغم عن رد الفعل الاجنبي حيث احتل البرتغاليون سبتة (818 هـ) وطنجة (869 هـ) والقصر الصغير

---

(4) وقعت معركة حطين الذي انتصر فيها صلاح الدين الايوبي على الصليبيين بعد قرن كامل (عام 1187م) فكانها كانت ذكرى مئوية لانتصار الزلاقة .

(5) اندري جوليان ــ تاريخ افريقيا الشمالية عام 1931 ص 42 .

(863 هـ) واصيلا (876 هـ) ، وفي نفس الوقت ايس البرتغاليون مراكز الهند الاقتصادية بعد ان كانت قد ظهرت في اوربا بوادر للنهضة واستولى المسيحيون على الفردوس المفقود الا ان بوارق الامل بدات تتجلى في الافق بفضل زحف العثمانيين من الشرق الى اوربا واصبح المغرب نظرا لموقعه الجغرافي موزعا بين مطامع الاسبان شمالا والاستعمار الجديد في المحيط الاطلنطكي غربا فامتدت سواحله المتوسطية مسرحا لعراك عنيف بين الهلال والصليب انتهى بسقوط اسطمبول (التي كانت تسمى انذاك الاستانة) في قبضة العثمانيين (858 هـ ـ 1453م) بينما اضاف احدو ثغورا جديدة لمكاسبه الثرايسة بالمغرب فاستولى على انفا (874 هـ) والبريجة (907 هـ) واكادير (910 هـ) والمعمورة (920 ص) علاوة على مالقة (892 هـ ـ 1487 م) ثم غرناطة (897 هـ ـ 1492 م) بالاندلس وبدا العملاق العثماني يضم الجناح الشرقي من البحر المتوسط (922 ـ 923 هـ / 1515 ـ 1517 م) كان بداية عصر التحجر والانحطاط في العالم العربي والاسلامي وفي هذا الخضم انبرى الشعب معززا بالعلماء والصوفية يذكيه اشعاع روحي فحرر بقيادة السعديين اكادير وآسفي وازمور (948 هـ) ووقف في وجه التوسع العثماني الذي زاد الطين بلة بتاجج المناورات والدسائس بين اسطمبول ومراكش كما واصل قسد البرتغاليين صراعا تبلور في معركة وادي المخازن (986 هـ ـ 1578 م) التي تعتبر فصلا رائعا من فصول الكفاح بين الصليبية والاسلام تفككت فيه اوصال البرتغال التي فقدت استقلالها طوال ستين سنة باندماجها في الاطار الاسباني وقد تعزز بذلك وضع المغرب في المجال الدولي فحظيت اوربا ود المنصور السعدي لان هزيمة دولة استعمارية متأصلة كالبرتغال ما كانت لتمر دون ان تثير اعجاب العالم ومع ذلك فان المنصور ادرك بحصافته ما ظل يهدد المملكة من خطر قلت من وطأته النزاعات الاوربية بين النمسا وانجلترا وفرنسا وهولندا (6) وحاولت انجلترا عبثا استغلال مادره على المغرب غزو السودان وافتكاك البرتغال لاسراء من الثبلاء فاقترحت عليه الاشتراك في احتلال الهند ولكن المنصور ظل يخوض في الداخل معركة الترميم التي ما كاد يكملها حتى عاجلته المنية فانهار الكيان الذي اخذ يتهلهل بقيام امارات مستقلة في التسمان والجنوب اهمها دويلات الدلائيين في الاطلس الاوسط « وبودميعة » بسوس والعياشي ثم تلميذه الخضر غيلان بالشمال غير ان الشعب المغربي لم يكن ليستسيغ هذا التفزيق في وحدته فانبرى العلويون بزعامة المولى الرشيد ثم اخيه المولى اسماعيل لتجديد الالتئام وتحرير الثغور يطرد الاسبان من المهدية (1092 هـ ـ 1281 م) والعرائش (1101 هـ) والانجليز من طنجة (1095هـ) واقامة معالم للعمران وتوطيد الامن وصون الاستقلال والوحدة بجيش عتيد وقلاع حصينة غير ان جنود السودان الذين كانوا قواما للجيش القوي منذ عهد السعديين ما لبثوا ان تدخلوا في شؤون الدولة كالدبلم والاتراك والانكشارية في الشرق فصاروا يقيمون العروش ويقوضونها طوال ثلاثين سنة التيت مع ذلك بفترة ازدهار في عهد الملك العالم محمد بن عبد الله (1171 هـ ـ 1204 هـ) (1757 ـ 1790م) الذي ركز مقومات الحضارة وواصل تحرير الثغور وكون اسطولا قوامه خمسون سفينة معظمها حراقات حربية تحتوي على ستين قائدا واربعين الف بحار ووطد العلاقة مع الدول الاسلامية والدول الاوربية على السواء وامضى معاهدات مع الولايات المتحدة التي كان اول من اعترف بها ومع امم بروتستانتية كالدول الاسكندناقية تحقيقا للتوازن مع الدول اللاتينية الاستعمارية ومدافعة للبابوية الناقمة وكانت اوربا آنذاك في غمرة من الاضطرابات زادها تأججا انبثاق الاستعمار الناشىء والتسابق نحو غزو الشرق الاقصى وتعزيز الصناعة الاوربية بموادة الاولية بيمنا كانت الامبراطورية العثمانية تسير في طريق الافول تحت ضربات الاحلاف الاوربية ـ وخاصة منها الحلف المقدس عام 1815 ـ التي ادت الى تجريد السلطان سليمان ابن محمد بن عبد الله (1206 هـ ـ 1238 هـ) (1790 ـ 1820 م) من اسطوله بدعوى مساندته للقراصنة وحاول نابليون آنذاك الضغط على

---

(6) كان شارل الخامس ملك اسبانيا امبراطورا للنمسا والمانيا حارب ملك فرنسا فرانسوا الاول طوال ثلاثين سنة وكد لك الاتراك وخلفه ولده فيليب الثاني الذي ضم الى اسبانيا بلاد هولندا ثم البرتغال عام 1580 م بعد معركة وادي المخازن فعاش المغرب الى 1098هـ مشرين سنة من الهدوء النسبي .

المغرب للانضمام الى كتلة المحتار القداري وهي الحركة التي هدف بها الامبراطور الفرنسي عام 1806 م الى اقفال جميع الموانىء في وجه انجلترا لتضييق الخناق عليها اقتصاديا . وشعر العرش المغربي بالدور الذي بدات فرنسا تقوم به لاحتلال الشمال الافريقي فساند خصوم هذا التيار الاستعماري في شخص عبد القادر ابن محي الدين في كفاحه ضد الجيوش الفرنسية نحوا من خمس عشرة سنة (1246 هـ ـ 1830 م الى 1260 هـ ـ 1844 م) الى ان انهزم المغرب في وقعة « ايسلي » (1844) وقد واكب هذا الزحف الصليبي الجديد من شرق المغرب زحف آخر من شماله بزعامة الاسبان الذين احتلوا مدينة تطوان (1276 هـ ـ 1860 م) نحوا من سنتين انبرى اثرها المغرب يعزز جبهته فاقام صناعة حربية وجيشا نظاميا وابعد السلك الدبلوماسي وعملاءه الى العاصمة الجديدة طنجة (7) ودافع المشاورات السياسية الجديدة التي اتخذت شكل بعثات علمية واقتراح اصلاحات داخلية فاندرجت قضية المغرب في خضم دولي وواصل الحسن الاول هذا الصراع بين الاسلام والمسيحية غير ان بعوته (1311 هـ / 1894 م) انفتحت ثغرة في كيان المغرب ابتداء من 1318 هـ / 1900 تحت تاثير شرذمة من المغامرة والمقامرين الدوليين على غرار ما وقع في مصر في عهد كل من اسماعيل وتوفيق وتزايد استياء الشعب وتازم الوضع وانفسح المجال امام الثوار والادعياء وامست فرنسا المحتلة للجزائر تقتطع من تراب المغرب الشرقي والصحراء بعد ان تقاسمت مع انجلترا واسبانيا (عام 1322 هـ / 1904 م) النفوذ في الجناحين الشرقي والغربي لافريقيا الشمالية فاعترف الانجليز لفرنسا بنوع من الحماية على المغرب مقابل اندراج مصر في منطقة النفوذ البريطاني وناب اسبانيا حظها من هذا الاقتطاع شمالي المغرب وبدات القروض المالية تعزز الشرب السياسي فصرح المغرب صرخة مدوية في وجه الاستعمار الصليبي الجديد تردد صداها في مؤتمر الجزيرة الخضراء (1324 هـ / 1906 م) الذي نادى باستقلال السلطان وصون كيان مملكته مقررا مع ذلك الباب المفتوح اي المساواة في الاقتصاد بين الدول « وتدويل » حركة الاصلاح وشعر الشعب المغربي بالدسيسة فانطلقت مقاومته خافتة محدودة اول الامر بعد ان تجرات فرنسا على احتلال وجدة (1325 هـ / 1907 م) وعلى قنبلة الدار البيضاء اثر اغتيال رعايا فرنسيين واتخذ الصراع شكل انتفاضة قومية انتهت باعتلاء المولى عبد الحفيظ وعزل اخيه المولى عبد العزيز وتقررت حماية كل من فرنسا واسبانيا للمغرب بموافقة الالمان الذين نابهم حظهم في الغنيمة الافريقية وكان للعالم الاسلامي بالشرق الادنى يتجه بخطى حثيثة نحو حياة برلمانية بتاثير من « تركيا الفتاة » و « جمعية الاتحاد والترقي» وكان لذلك صداه بالمغرب حيث قامت محاولات دستورية كمحاولة السلطان مولاي حفيظ اصدار دستور في نفس السنة التي صدر فيها الدستور العثماني عام 1908 وظل المغرب يموج في هيجانه من الاطلس الى الصحراء الى السواحل ضمن الثورة العربية الكبرى ضد الاستعمار الذي شتت دار الخلافة ومزق وحدة العرب فتاججت حرب الريف بزعامة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي (8) وكانت انطلاقته من جامعة القرويين منبثق التحرير حيث استكمل الزعيم الريفي تكوينه الاسلامي فهزم الاسبان في معركتي انوال (1340 هـ / 1921 م) واجدير (1922 م) ولكن الصليبية ـ في الوقت الذي قدر لحركة التحرير التركي في الاناضول أن تنتصر في معركتي « ايس ـ أوني » و (بسقاريا) ظلت يقظة

---

(7) اخطر المغرب الى امضاء معاهدات مع الدول الاوربية وخاصة مع انجلترا عام 1856 م وفرنسا عام 1863 م لعرض الحماية الاوربية على الرعايا المغاربة ثم تعزز ذلك بمعاهدة مدريد عام 1298 هـ / 1880 م التي خولت للسفارات الاجنبية حق منح حمايتها لموظفي القنصليات والمتاجر الاجنبية وعملائهم مما فتح الباب للتدخل الاجنبي في شؤون المغرب الخاصة لا سيما وان الاجانب اصبحوا يتمتعون بحق الملكية للارض والعقار في التراب المغربي .

(8) استسلم ابن عبد الكريم عام 1926 فنفته فرنسا صحبة اسرته الى جزيرة لاريشيون حيث قضى احدى وعشرين سنة تقرر بعدها نقله عام 1947 الى فرنسا فدبر « مكتب المغرب العربي » لدى نزول الزعيم بقناة السويس خطة لاختطافه فاستقر مع عائلته بالقاهرة في ضيافة مصر الى ان توفي عام 1382 هـ (1963 م) .

في البحر الابيض المتوسط تتربص الدوائر بالاسلام فواصلت الحماية الفرنسية في المغرب زهاء نصف قرن سياسة التمسيح والتغريب والتفقير والتجهيل بالرغم عما اقامته لفائدة جالياتها (التي كادت تبلغ نصف مليون) من مظاهر الرغد والنعيم وكان هذا المكر المحبوك مثار مقاومة سياسية منظمة تزعمتها « كتلة العمل » أو « الحزب الوطني » التي شكلت الخلايا للتوعية السياسية وكونت صحافة قومية باللغتين ووصلت حركة المغرب التحريرية بشبيهاتها في الشام ومصر حيث اسست بالقاهرة (عام 1944م) « جبهة شمال افريقيا » واصدرت باتفاق مع العرش المغربي ميثاق الاستقلال وانبرى الملك الراحل محمد الخامس وولي عهده آنذاك الحسن الثاني يعلنانها في طنجة عام 1947 حربا شعواء ضد الاستعمار فما لبثت صرخاتهما أن ترددت في أروقة الجامعة العربية وهيئة الامم المتحدة فنفى الملك المجاهد مع اسرته الكريمة الى مدغشقر فلم يلن القمع قناته وظل يتزعم الحركة التحريرية الى أن عاد من منفاه ظافرا يحمل وثيقة الاستقلال الذي أعلن رسميا في ثاني مارس 1956 فاندرج المغرب في عهد جديد يرمم ويخطط لوصل حاضره بماضيه .

وعرت عشرون سنة على الاستقلال تغير خلالها وجه المغرب بما انتشر في ربوعه من مظاهر الرقي ومجالي التقدم في شتى القطاعات وخاصة منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وكاد المغرب الان في طفرته الفارهة يتوازى قريحة وتطورا مع كثير من دول أوربا فضلا عن الدول النامية وكان له في هذه الفترة المشحونة من تاريخه المعاصر ضلع قوي في بعث النهضة العربية والوحدة الاسلامية وتكتيل الشعوب الافريقية واحتضان حركات التحرير ومحو رواسب الاستعمار في مجاليه القديمة والجديدة فهب ملكه الشاب الحسن الثاني في قوة عزيمة ومتانة شكيمة لتحرير الاجزاء المغتصبة من الوطن وتخليص الجزر والجيوب المغربية من قبضة المستعمر دعما لسيادة افريقيا وكرامتها ووحدتها وتعزيزا لوضع العروبة في عدا الجزء من العالم حتى تقوم بدورها كاملا غير منقوص في البحر المتوسط والمحيط الاطلسي ضمن المجموعة الامنية لصالح الانسانية والحرية والامن والسلام .

● قال عمر بن الخطاب : ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه ..

صدى الفارابي في المغرب

للدكتور عبد الهادي التازي

اهتمت المؤسسات الاكاديمية في مختلف جهات العالم بذكرى مرور الف ومائة سنة على ميلاد العلامة الفارابي ، وهكذا سمعنا عن ندوات تنظمها جامعة طهران واخرى تنظمها الاكاديمية العلمية في الاتحاد السوفياتي وثالثة دعت اليها جامعة بغداد ثم جامعة دمشق واخيرا الهيئات الادبية في المغرب الاقصى . . .

وهذا البحث الفيته في مدينة المانا من قزاخستان بآسيا الوسطى : مسقط راس الفارابي :

د. عبد الهادي التازي

ان الذين يعرفون عن عبد الرحمن الناصر (277 — 350 = 890 — 961) انه ارسل الى بغداد بالعباس بن ناصح الثقفي خصيصا من اجل ان يقتني له كل غريب نادر من المخطوطات القيمة ؛ وان الذين يسمعون عن ظهور بعض الكتب المشرقية في المغرب قبل ان تشيع بين مثقفي تلك الديار ؛ سوف لا يستغربون عندما يسمعون عن ثوفر المكتبة المغربية منذ التاريخ المبكر على شذرات من كتاب المجسطي : AL MAGUESTO لبطليموس الذي كان في صدر من اهتم بشرحه ابو نصر الفارابي والذي يعتبر من امهات الكتب التي الفت في علم الفلك . وقد كتبت الشذرات التي تحمل في خزانة جامع القرويين من فاس رقم 654/40 ، بالسواك على رق الغزال ، وتضمنت عدة اشكال هندسية رسمت بدقة واتقان لا تختلف عن الاشكال التي احتواها شرح الفارابي الذي نشرته اخيرا اكاديمية العلوم في موسكو . ومعنى وجود مخطوطة من هذا النوع بخزانة الجامعة المغربية العتيقة ان رجال الفكر بالمغرب كانوا يعنون جيدا باعتمامات الفارابي ويولونها المزيد من البحث والتمحيص .

ونحن عندما نقول (المغرب) لا نقصد الى المغرب في رقعته الحالية ولكن الى المغرب الذي كان يمتد شمالا الى اوربا وجنوبا الى تخوم افريقيا وشرقا الى ما وراء برقة .

وما تزال المكتبة الوطنية في مدريد تحتفظ الى اليوم بمخطوطة تحت رقم 241 ؛ كانت هي تأليفه في الموسيقى بما تضمنه من رسوم للآلات ووصف لاداء

المخطوطة رقم 40 / 644 بعنوان : ورقات في علم الفلك ، وهي قطعة اشتملت على ست عشرة صفحة في رق الغزال ، مبتورة الاوائل والاواخر رسم فيها مؤلفها عدة أشكال هندسية بدقة وإتقان تشرح بعض مواضع الكواكب ، يقول الاستاذ السيد العابد الفاسي محافظ خزانة القرويين في فهرسته (مجلة بعض المخطوطات التابعة لجامعة الدول العربية ، مايه 1959) انه يظن انها من المجسطي الذي هو من اشراف ما صنف في علم الهيئة بل هو أم الكتب المؤلفة في هذا الموضوع في بعض صفحاته الحديث عن زحل وحساب التقدم في الكواكب ...

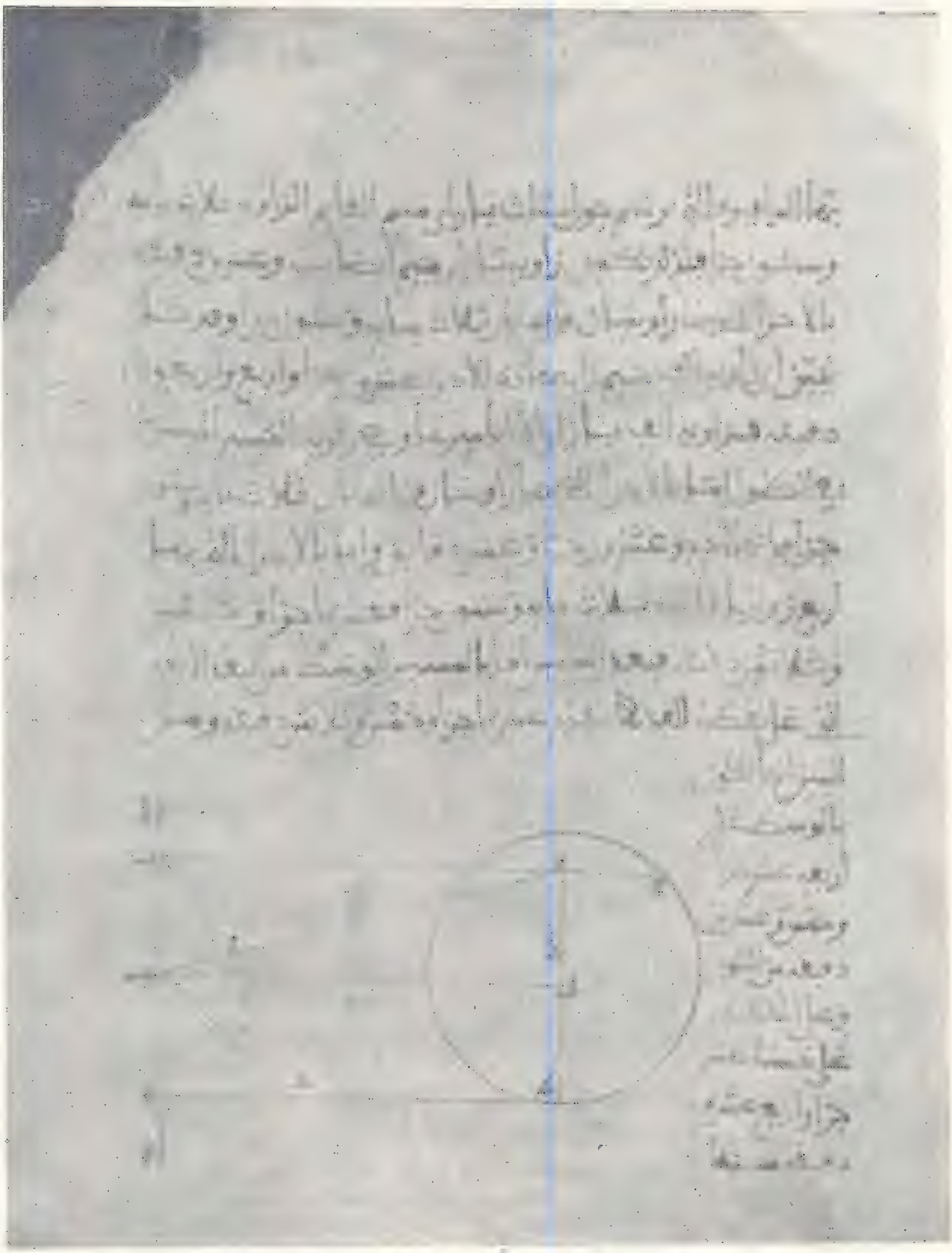

لوحة رابعة من شرح الفارابـــي للمجسطـــي ...

النقمات مما يعتبر فى صدر التراث الحضاري الذي احتضنته المغرب وتماه ، بما اضافه اليه من اصول وفروع اضفت على الموسيقى الاندلسية — الذي يستأثر بها المغرب اليوم — اضفت عليها حلة الاصالة والاثالة !

ومع هذا وذاك فانني لا اغفل هنا الحديث عن مخطوطة ثالثة قيل انها تتعلق بالفارابي ، وهي عبارة عن سفر ضخم يعتبر الاوائل كتب بخط مشرقي يحمل فى خزانة جامعة القرويين رقم 1286 ، ويتعلق الامر بما ذكر انه شرح اسماعيل الحسيني المرسي سنة 896 = 1491 ، لكتاب (فصوص الحكم) المعروف للفارابي . . .

لقد ظن ان للمخطوط المشار اليه علاقة بفصوص الفارابي ، وقد جاء الظن من انها — على ما نرى فى اللوحات المعروضة — تحمل بين الفينة والاخرى كلمة (فص) . . .

والواقع ان فصوص الفارابي التي اصبحت في متناول القراء (1) لا تتضمن اشارة لفصوص الفصوص المتناولة فى مخطوطة خزانة جامعة القرويين . . . وهنا توضع علامة الاستفهام لمن هذه (الفصوص) التي تحتضنها المكتبة المغربية ؟ وهو السؤال الذي اتمنى ان نجد له جوابا من المهتمين بالفصوص ، وسيكون لهذا الجواب قطعا قيمة علمية كبرى تدل على ما تستأثر به المكتبة المغربية من كنوز وذخائر غائبة من المكتبة المشرقية . . .

وعلى ذكر شرح اسماعيل الذي يعتبر احد شروح نصوص الفارابي ، والذي توجد نسخة منه فى ليدن تحت رقم 1002 كما توجد فى العراق وايران وتركيا وافغانستان والهند وبيروت والقاهرة واكسفورد وايرلاندا وبرلين وفيينا ، على ذكره ارجو ان ارفع لبسا وقع فيه بعض المؤرخين عندما نعتوه **بالفارابي مع انه الفارابي (بالفاء والزاي)** ، وهكذا فعوض ان يقرا الفارابي قرىء الفارابي ، ونحن على علم من اساطير النقط ومشاعفتها عبر التاريخ . . .

ومع هذا فاني ارى من المناسب ان اشير بهذا الصدد الى ان بعض من اهتموا من علماء المشرق بتحقيق اسم هذا الفارابي افترضوا مرة انه الفارابي وثالثة الفارابي ، ولكن احدا لهم يتذكر فارابي التي كان لها — وبخاصة فى القرن التاسع الهجري — دور كبير فى ازدهار الحضارة الاسلامية واللغة العربية .

لقد كانت مدينة فارابي قاعدة اقليم واحدى عواصم العالم الاسلامي ، كانت الى وقت قريب تكتسب جامعة احتضنت فى مطلع هذا القرن سبعة آلاف طالب وتوفرت على مطبعة اصدرت بهذا التاريخ مائتين وخمسين مؤلفا وعلى مكتبة كان يرتادها عشرون الف طالب مما يعكس مركزها فى القرن التاسع الهجري .

واخيرا فان شرح الفارابي لايساغوجي ISAGOGUE الذي الفه فورفوريوس PORPHYRE ما يزال يداعب مسمعي وانا اتلقى دروس المنطق اواخر النصف الاول من هذا القرن ، على مشايخ جامعة القرويين ، وبشروح وحواشي وتعليقات من تاليف علماء من المغرب امثال ابي بكر محمد بن يحيى بن باجة ، والشيخ بناني . . .

تلكم بعض الاستطلاعات الغائرة عن آثار الفارابي فى المغرب ، والتي على مثل اليقين من وجود آثار له اخرى ستظهر عندما تستكمل الخزانات والمكتبات المغربية جرد ما تحتوي عليه من نفائس مما يزال الى الان فى طريق الانجاز والتحقيق وخاصة منها المكتبة الملكية . . .

اقول على مثل اليقين لان صلة المغرب بمؤلفات الفارابي وافكار الفارابي بلغت حدا من التمكن جعلتنا نحن المغاربة نعتبر بان فضل معرفة اوربا للفارابي يرجع لعلمائنا وفلاسفتنا من الذين كانوا ينتقلون من الاندلس الى المغرب ويعيشون فى فاس او مراكش او طنجة كما كانوا يعيشون فى قرطبة او اشبيلية او غرناطة !

***

واذا اصبح من عادات الدول اليوم ان تتظرف بعقد التآخي بين المدن او تاسيس التوامة بين البقاع لعلاقة مشابهة ، فان تاريخ المغرب القديم سجل نوعا من المواخاة والتوامة بلغ القمة فى الدلالة والعمق

---

1) كتاب بغداد ، د. حسين علي محفوظ و د. جعفر الياسين : مؤلفات الفارابي : بغداد 1395 — 1975 — الشيخ محمد حسن الياسين : فصوص الحكم — بغداد 1936 = 1976 .

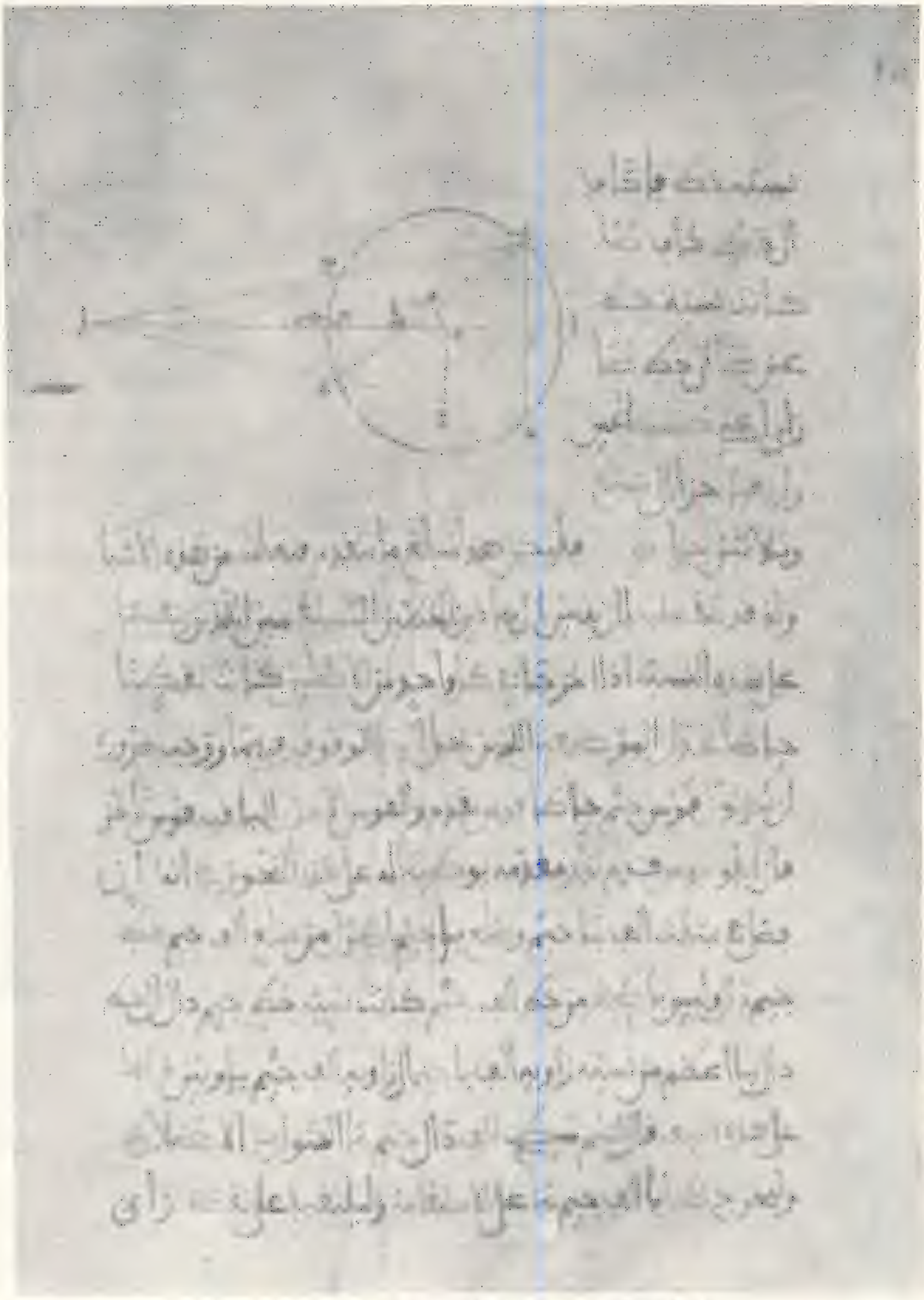

لوحة ثالثة من شـــرح الفارابـــي للمسجطـــي ...

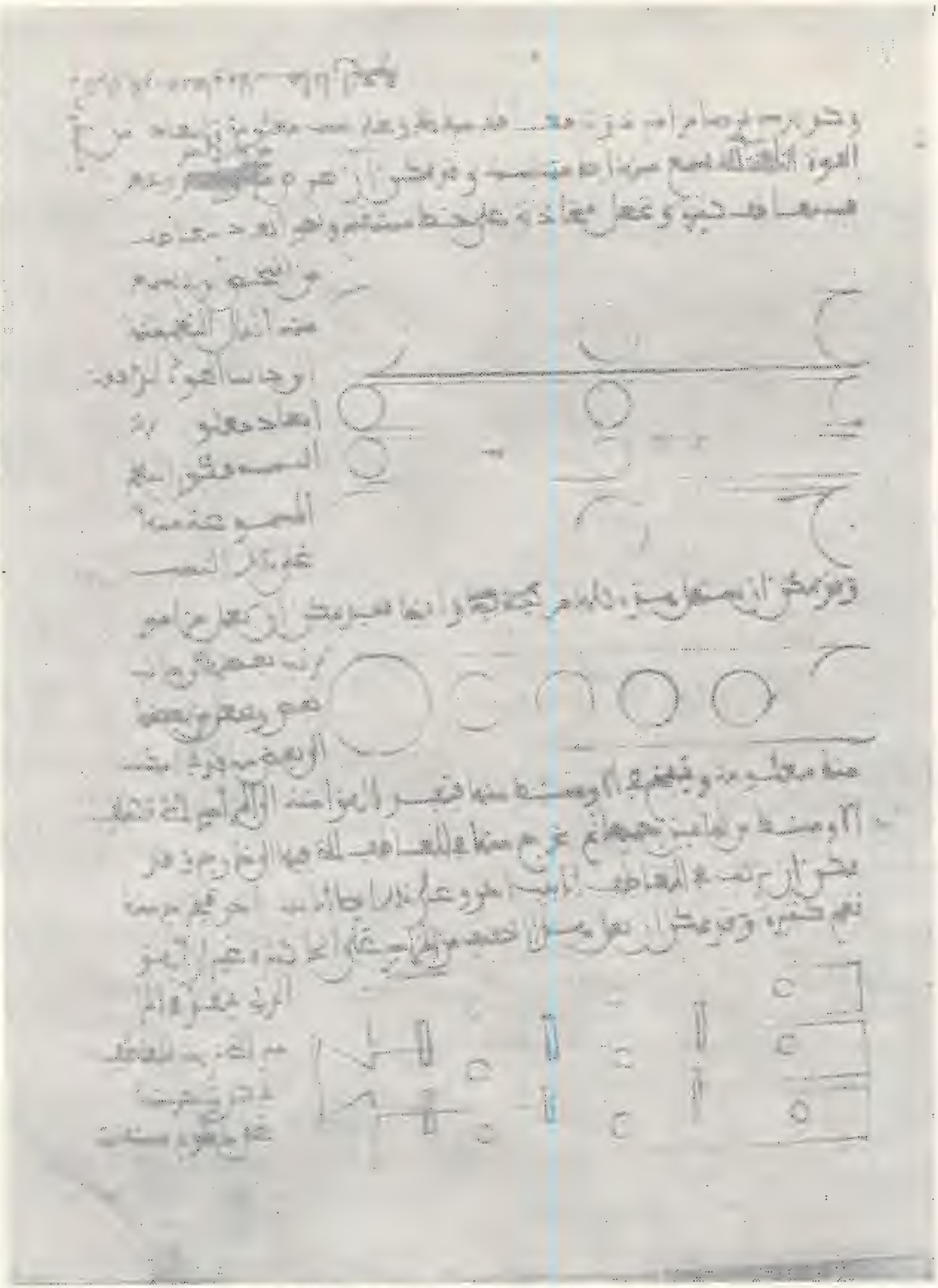

صفحـــة من ثنايا مخطوطـــة الموسيقـــي للفارابـــي

وقد سمعنا عن الفيلسوف المغربي ابي بكر بن باجة السالف الذكر والمعروف في اوربا باسم Avenpace سمعنا عنه وهو يهتم بالقضايا السياسية والالاهية ؛ سمعنا عنه وقد برز في علم المنطق والفنون الموسيقية حتى لجعله ابو العباس المقري توأما لابي نصر الفارابي فسماه (فارابي المغرب) ، فكانت اول توأمة تتم في الحقل العلمي بين شخصية في اقصى المشرق وشخصية اخرى في اقصى المغرب . . .

لقد عنى ابن باجة فعلا قبل ابن طفيل وقبل ابن رشد ، عنى بالفارابي وتقفى خطاه في سائر المبادين التي عالجها مما يبرر استنتاج صاحب النفح المقري .

وان الظاهرة البارزة في اهتمام (فارابي المغرب) ، على صغر سنه ، بزميله على علو كعبه ؛ انه اي ابن باجة لم يقف عند حد الترديد والتحليل والتدبر ولكنه تجاوزه الى درجة الابتكار والتمحيص والتعليق . . . وهكذا فرض اسمه فرضا على كل الذين اشتغلوا شرقا وغربا بابي نصر الفارابي . . .

في كل المهرجانات والندوات التي اقيمت للفارابي تحية لذكراه ؛ وفي كل البحوث التي كتبت عنه سواء باللغة العربية او بغيرها نجد اسم ابي نصر دفين دمشق يقترن باسم ابن باجة دفين فاس !

ولو ان الضياع لم يات على معظم مؤلفات ابن باجة لسجلنا مزيدا من التوضيح والتكميل لاراء الفارابي ما في ذلك شك ، ولخرجنا من مجموع الاراء بحصيلة فكرية رائعة .

ومن دون ان نخوض في باب المقارنات والمفارقات بين ما كتبه الاول وعقب به الثاني مما تعرض له كثير ممن علق على نتائج الفارابيين ، نشير — على سبيل الامتاع والمؤانسة — الى افادة طريفة من الافادات المفيدة التي رأى ابن باجة اضافتها لما حرره سلفه في كتابه (المدينة الفاضلة) في باب (طلب النفوس) .

لقد لاحظ الذين قرأوا عن (مدينة الفارابي) انه اهمل الحديث عن مدى حاجة المدينة الفاضلة الى القضاة والاطباء ، على خلاف ما يراه ابن باجة : ان من خواص هذه المدينة ان تخلو من القضاة والاطباء على نحو ما يراه افلاطون ! ذلك ان الحب الذي يؤلف بين قلوب ابناء المدينة يحول دون المنازعات والمشاجرات التي تلجيء الى اقامة المحاكم » ومن الجهة الاخرى فان اصحاب هذه المدينة لا يمكن ان يتناولوا — بطبعهم — ما يضر من الاغذية التي تضطرهم الى الاطباء . . !

***

هكذا فانه لا وجود لاطر القضاة ولا اطر الاطباء عند ابن باجة ! ! وعندما يحكم الفارابي على العناصر الطفيلية اي التي تسير في اتجاه معاكس للمدينة الفاضلة ، يحكم عليها بالطرد او السجن ؛ ترى ابن باجة لا ييأس من عودة تلك العناصر الى الجادة وهو لا يطرد ولا يسجن . . . ولكنه مرن في رايه ؛ سلوكي في تربيته التي تعتمد على ان العطف على تلك العناصر او « الترابت » كما يسمونها قد يفضي بها آخر الامر الى الاهتداء الى الراي الصادق عن طريق مشاهدة القدوة الحسنة .

وهكذا يرفض ابن باجة علاج الخطيئة بالخطيئة مؤكدا ان الاخلاق والفضيلة تنافيان في حد ذاتهما مع اعمال العنف ! تلك افكار عالجها باسهاب السعادة « الفضلاء » الذين استهوتهم هذه (المدينة) التي تذكرنا تماما في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام الذي آخى بين المهاجرين والانصار وكان يأخذ بيد الجاهلين حتى يفقهوا ، وبيد المظلومين حتى ينصفوا ؛ وبيد الضالين حتى يهتدوا . . .

ومن واجبنا ان نتساءل عن مقدم الوزير ابن باجة الى المغرب في مطلع الدولة الموحدية ، ومن واجبنا ان نبحث جيدا عن السر الحقيقي الذي كان يكمن وراء اغتياله ، وهو في عنفوان نضجه واكتماله ؛ ومن واجبنا كذلك ان نبحث عن الدوافع التي جعلت من الموحدين دولة تفكر في انشاء عالم اسلامي واحد يمتد من المغرب الى الشرق ويقوم في اساسه على مبادىء الانصاف والعدل الذي لا يشكو معه ضعيف ولا يوجد فيه ايثار للانانية . ومن واجبنا ان نتساءل هل ما اذا كان لافكار فارابي المغرب اثر على اتجاه الموحدين في تشجيع انطلاق الفكر وتقديس الحوار الهادف . . .

ان تاريخ الموحدين ملىء بالامثلة التي تدل على ان الفلسفة ازدهرت على عهدهم وان رؤوس المفكرين ارتفعت في كل زاوية حتى لكان ابن رشد وابن زهر وابن طفيل في ركاب الخليفة يثيرون في ركبه المتنقل عبر الاندلس والمغرب ادق المشاكل واسمى النظريات . . .

ومن هنا اعود الى ما اشرت اليه سالفا من ان الفضل في التعريف بآثار الفارابي في اوربا ذاتها انما

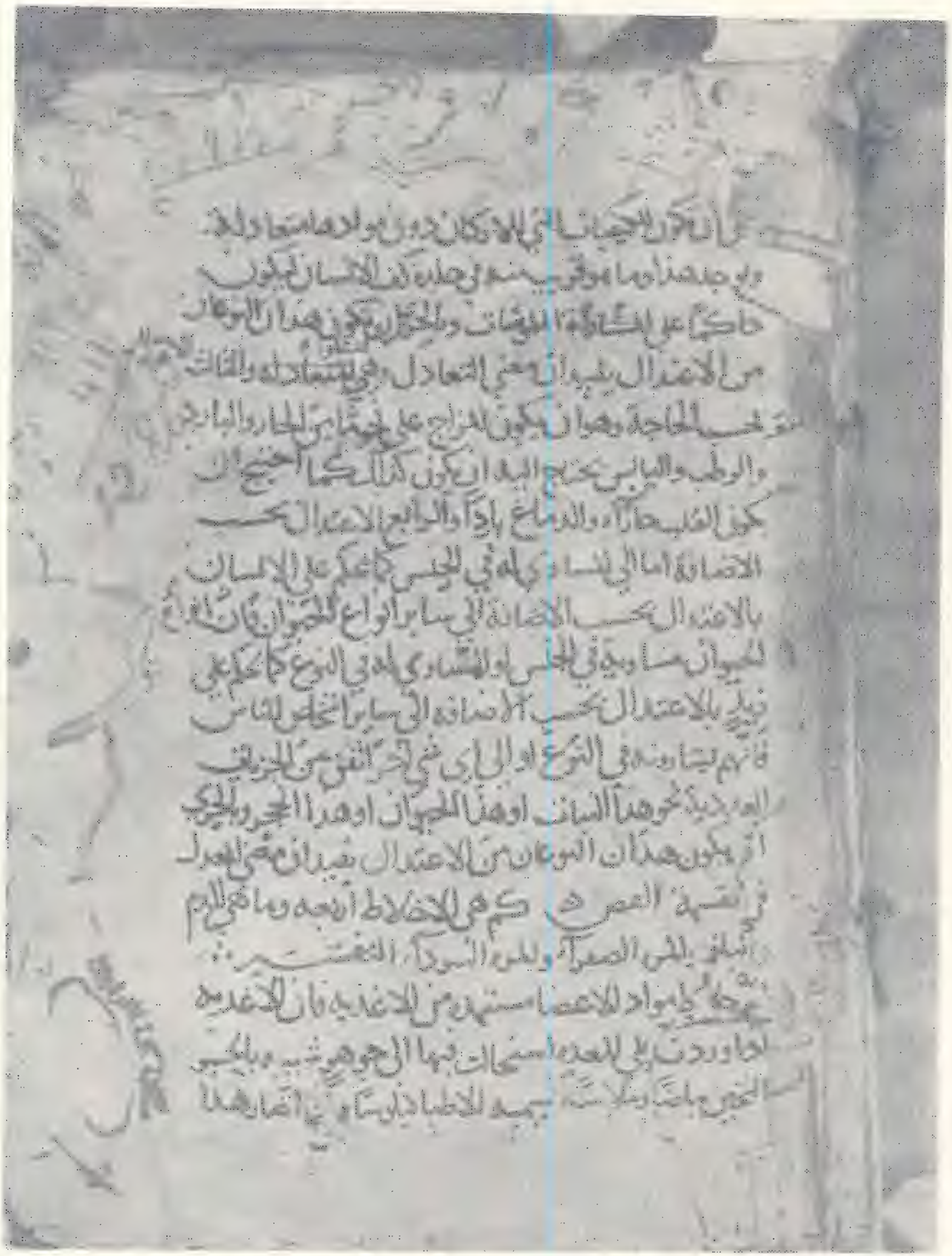

مخطوطة جامعة القرويين رقم 1286 التي ظن انها كتاب شرح الفصوص

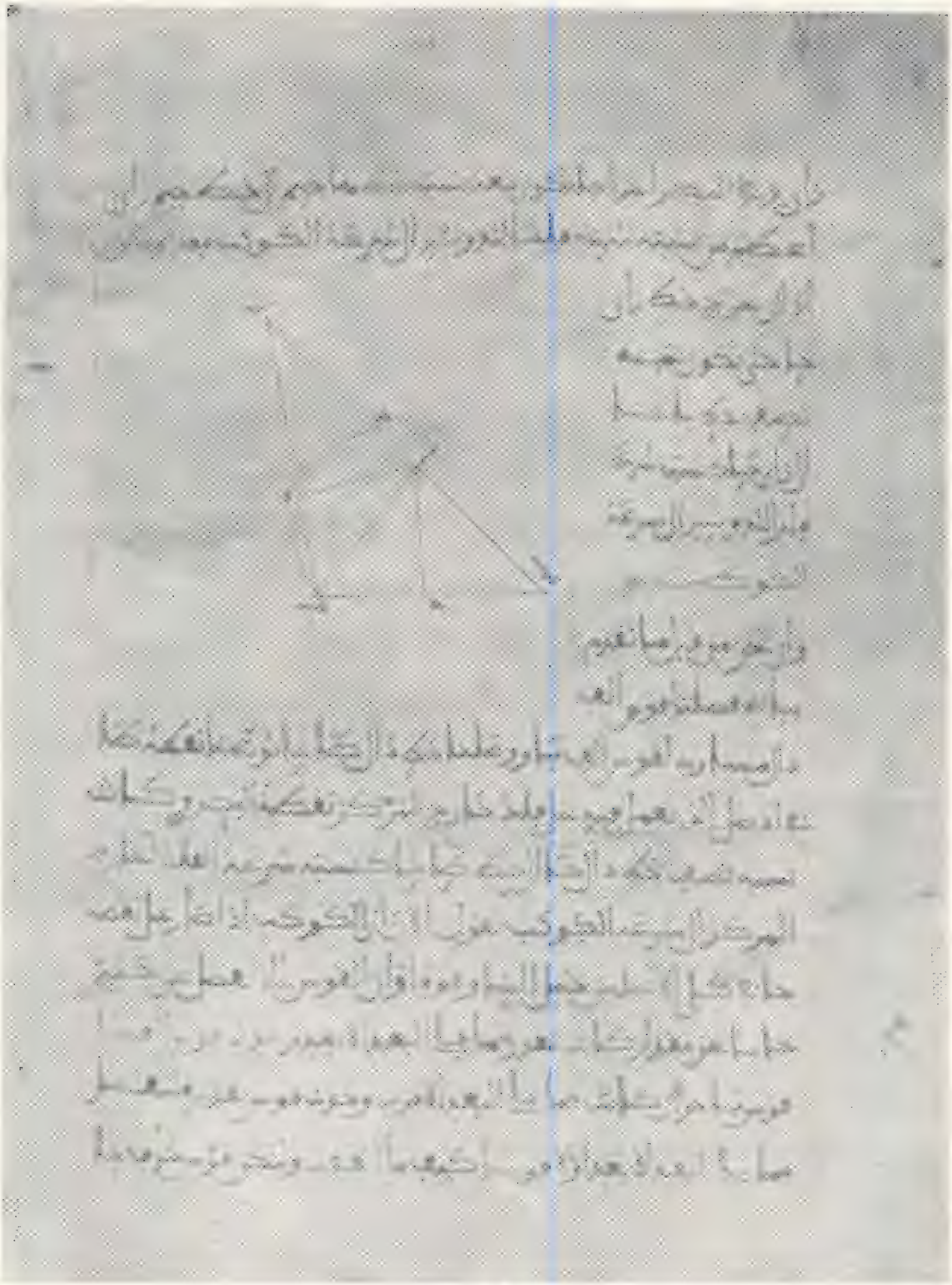

لوحـــة اخـــرى من شـــرح الفارابـــي للمسجطـــي

يرجع لهؤلاء الاساتذة المغاربة من امثال ابن رشد الذي احدث انتشار تحليلاته للفارابي ثورة في اوربا عرفت المثقفين لمحاكمة تورات TURIN في اوائل القرن السادس عشر .

ان المجالس العلمية في الاندلس كانت غير مقتصرة على المسلمين ؛ الم نقرأ في (الاحاطة) عن الاستاذ ابن مسيل الذي كان سنة 553 = 1158 يلقن العلم في بياسة لجمع كبير في مجلس واحد يضم المسلمين والنصارى واليهود ؟ الم نقرأ في (نهج الطيب) عن الاستاذ القرموطي المرسي الذي كان يدرس المنطق والهندسة والطب والموسيقى بالسنة الطلبة الذين يحضرون مجلسه من المعربين واللاتينيين ؟

انه اذا كان هناك حق لدولة فارس في احتضان ابن فاراب ؛ واذا كان هناك حق لبغداد ايضا في الفارابي لانه عاش فترة أوجه على أرض الرافدين؛ واذا كان للترك فضل انتماء المنطقة ليوم في وقت من الاوقات ؛ وكان للسوفييت اليوم علاقة بقازاخستان ... فان للمغرب ان يعتز بأنه كان صلة الوصل بين قارة آسيا وقارة اوربا في تقديم ذلك العالم الجليل ...

واذا كان الفنانون المشارقة قد تفننوا في اختيار رسوم الفارابي فجعلوه يتزع مرة لنماذج بسكان نهر جيحون، وجعلوه تارة ينزع لملامح رجال دجلة ، وجعلوه اخرى يلبس شاشية بلاد الشام أو قلنسوة الاناضول ، فان من حق الرسامين المغاربة ان يلبسوه برنوسا ويجعلوا على رأسه عمامة لان الفارابي عرف طريقه الى العالم الغربي بواسطة الذين كانوا مستظلين بحملة العمائم والبرانس ! ! وان ترويج المغرب لآثار الفارابي لم تنتصر على ذلك العصر الوسيط فحسب ولكن المغرب وقد وعى فارابي المشرق عن طريق فارابي المغرب استطاع أن يقدم للمكتبة العربية تحفة رائعة اسمها (مقدمة ابن خلدون) التي استمدت اسسها من تلك الاراء الاجتماعية بالرغم من تباعد السنين بين تلك الاراء وعصر ابن خلدون مما يؤكد ان المغرب ظل على صلة وائدة بنتاج الفارابي ..

ان الفارابي لم يعد ابن آسيا ولكنه اصبح علما من حقنا نحن في افريقيا أن ندعي المساهمة في التعريف به والتدليل على آثاره وافكاره ، ولم يكن من قبيل الصدفة أن نجد اسمه منقوشا على شارع من أبرز شوارع المدينة الازلية طنجة ؛ وان يصافحنا اسمه ونحن نعبر ازقة مدينة فاس العاصمة الاولى للاسلام بالمغرب ؛ وان يحتل اسمه كذلك مرا من ممرات مدينة الصويرة التي انشأها الملك محمد الثالث على ساحل الاطلسي وان يتوج اسمه اليوم اكبر مستشفى في مدينة وجدة قاعدة زيري ابن عطية ؛ وان تتيمن باسمه المعاهد والثانويات سواء في العاصمة الاقتصادية او مدينة ابي الجعد جنوبا او خد كورت شمالا ! بل نجد ان الجامعة المغربية تخصص مدرجا من اضخم مدرجاتها لاسم الفارابي الى جانب المدرجات الاخرى التي تحمل اسماء رجال الفكر والعلم ...

لقد عودنا التاريخ على انه صادق منصف مهما كان عتو الظروف ، ومهما حاول الزمن أن ينال من قدر العلماء ، وان في تنافس الدول اليوم على انتسابها هي للفارابي ، ما يزيد في همة رجال الفكر ممن تشغلهم كراساتهم وتلهيهم مذكراتهم عن ان يحفلوا بأمر مسكن او مكسب او جاه او صحبة انسان !

الفارابي بريشة الفنان العراقي صلاح جياد

الفارابي بريشة احد الفنانين من قازاخستان

نشأة المسرح المغربي

للأستاذ محمد بن العلمي حمدان

يظهر ان المسرح المغربي عرف بشكل ما في وقت مبكر جدا ، وان المغاربة ذوو اصالة وميول فطرية في هذا المجال كما يبدو ذلك من ملاحظة مظاهر تراثهم الفلكلوري وتظاهراتهم الشعبية ومن خلال المسارح التي تركبها الرومان ببلادنا (1) .

لن أتحدث عن هذه المرحلة التي لم تحتفظ لنا التسجيلات بشيء عنها وصفا او تصويرا وانما سأحاول استكشاف بعض المظاهر المسرحية التي عرفها جيل آبائنا وسجلت عنها بعض التقييدات ، بل قد يكون الحظ قد أسعف بعضا من جيلنا فحضر عروضا عن هذا المسرح التراث .

هذه المرحلة مغربية صرفة ، فهي تبدأ بعهد الامتزاج الحاصل بين العناصر المتساكنة بالمغرب من عرب وبربر واندلسية ، وتكوين القومية المغربية .

اذا نحن تركنا جانبا مظاهر الفلكلور ، فسيبقى أمامنا عدة مظاهر مسرحية عرفها المغرب عبر تاريخه المذكور من جملتها الحلقة ، البساط ، سيدي الكتفي ، سلطان الطلبة وغيرها ؛ نكتفي بالحديث عن بعضها .

الحلقة ، وهي عبارة عن مسرح شعبي يشرف على تقديم مسرحياته بعض الافراد المختصين في فن الحكاية والايماء والالعاب البهلوانية ويعرض ابداعاته في الاسواق وساحات المدن الكبرى كباب الفتوح وباب عجيسة بفاس وباب منصور العلج بمكناس وساحة جامع الفنا بمراكش (2) وهو مسرح خليط من الهزل والدراما والشعر والغناء والرقص والحكاية ، يشارك فيه احيانا حتى الجمهور ، ويجسد غالبا اساطير عربية كالعنترية وسيرة سيف بن ذي يزن وحكايات الف ليلة وليلة وغيرها .

أما البساط ، فكان في البداية مجرد تمثيل تقليدي لتسلية السلاطين ورجال الدولة من جهة ولتسلية عامة الشعب من جهة اخرى ، كتشخيص حكاية البلارج على رنات البندير ونغمات المزمار في (الحلاقي) بالساحات العمومية وبراعة المسيحين (3) .

وأولى حفلات مسرح البساط بالمغرب قدمت أمام السلطان محمد بن عبد الله 1557 — 1790 (4) وكان يستعمل للوعظ والارشاد بطريقة ترغيبية ، وقد تطور هذا الفن من هذه المشاهد القصيرة مع توالي السنين وبفضل تشجيع السلاطين (5) .

ولفظ البساط عربي من البساط وهو المزاح والفكاهة وترك الاحتشام ، وقد كانت تؤلف الفرق منه لتسلية السلاطين في الاعياد والمواسيم ، وتقدم العروض أحيانا المنطوية على الانتقاد الاجتماعي في قالب بعيد عن الحشمة ، وعلى مشاهد في انتقاد المعروفين من الاشخاص الوجهاء ، تارة بالتصريح وتارة بالتلميح ، كما كان المبسطون يتخذون من معارفهم وبعض المتهورين في المدينة مواضيع لمستملحاتهم ومضحكاتهم ، كما كانوا يأتون بحركات وأعمال مسوغة في تشخيصهم ، ولكنها تدخل في نطاق الفكاهة (6) .

وقد كان هؤلاء الفنانون يقدمون الى الرباط بمناسبة عاشوراء فيتصدون القصر الملكي في جو من الفكاهة والمرح وسط فضول الكبار والصغار من عامة الشعب(7) وحين يصلون الى المشور السلطاني يشرعون في اداء العابهم ورقصاتهم وتكاهاتهم وتمثيليهم .

واذ كان لكل فرقة اختصاصها الذي يميزها ؛ فقد كانت فرقة اهل فاس مختصة في التمثيل ، ويروى ان مواضيع التمثيليات التي قدموها اواخر العهد بالبساط اصبحت اجتماعية وطنية فضلا عن طابعها الهزلي (8)، وكان الممثلون يقدمون اسكيتشات يطرحون فيها مشاكل اجتماعية باتساق مع اصحابها في قالب مسلي امام الملك الذي يدرك مآسي اصحابها الخفية، فيبحث عنها ويمكنهم من حقوقهم (9) .

فهو اذن مسرح ملتزم استطاع ان يجمع بين الفرجة والهدف النبيل ، وقد عرف عصره الذهبي طوال حكم السلطان عبد العزيز 1895 — 1904 وقام بدور فعال في انطلاق الحركة الوطنية الى ان انحرف عن قصده، فتوجه وفد من اهل فاس الى قصر محمد الخامس سنة 1926 وطلبوا منه ايقاف عروض السفهاء (10) .

سيدي الكتفي ، هو لون تولد عن البساط لكن اختصت به مدينة الرباط ، وقد نشأ في العهد الذي انتظمت فيه الحرف الصناعية في المغرب واصبحت منسقة وذات تقاليد ، وهذه الجماعة اشتهرت من بين المعلمين الحرازة اطلقت على نفسها مجموعة سيدي الكتفي ، وعرف هذا الفن على عهد السلطان المولى يوسف (11)

تتالف طائفة سيدي الكتفي من اثني عشر فردا يترأسهم مقدم كما هو شان البساط ، يجتمعون في بيته، ولهم آداب خاصة تتكرر في كل حفلة تمثيلية ، من ذلك انه عند ما يلتئم الجمع يفتح المقدم الجلسة بتعليمات تتعلق بطريقة سير التمثيل موصيا اياهم بالتزام الجد وابعاد الضحك، وبالارتخاء، وتقمص الدور على الحسن وجه ، وينذرهم بالعقاب الشديد الذي ينتظر كل من تسول له نفسه من بينهم ان يضحك او يسيء التمثيل، ثم يشرعون في اداء القصيدة التمثيلية ، وهي التعريض والتشهير ببعض الافراد المعروفين في المدينة من اصحاب السلوك المشين ؛ ثم تبدا الحضرة متمهلة يتبعها الدخول في الموضوع ثم الانصراف بجذبة (12).

لقد كان التمثيل اذن معروفا بالمغرب قبل عصر النهضة بشكل ما ، وكان المغاربة يمثلون فصولا هزلية انتقادية في المهرجانات الشعبية الكبيرة ، واشتهر من ممثليهم في البساط الحاج محمد الفاتحي برادة وشقيقه الحاج ادريس المطرب الشهير والسي التهامي وكلهم من فاس ، وكانوا يمثلون الوزراء والقضاة والحكام باسمائهم الحقيقية وبمحضرهم ؛ ويقلدونهم في الحركات واللهجة ، وينتقدون احكامهم من الانتقاد ، ومع ذلك لم يكونوا يتعرضون لهم بعقاب، بل يمنحونهم الجوائز المالية على اتقانهم محاكاتهم(13) كما عرف من افراد سيدي الكتفي ، المغفل الدغمي والد الممثل الاذاعي العربي الدغمي .

واذا كان الفن المسرحي يمتاز عن سائر الفنون الادبية الاخرى بانه ليس فنا يطالع او يسمع فحسب بل ويرى ايضا بتشخيص المسرحية على خشبة المسرح من طرف ممثلين يعتمدون في اداء ادوارهم على الحوار والحركة ، عارضين الاخلاق والعادات والطبائع والتقاليد من حاضر الحياة او ماضيها ، ضمن مدة محدودة اذا كان الفن المسرحي كذلك ، فلا شك ان الانواع المختلفة التي عرفها المسرح المغربي في اشكاله السابقة تجمع اغلب العناصر الفنية الحديثة لهذا الفن ، ويبقى فقط ، فارق التطور الذي انعدم بفعل الانكماش والجمود .

ان الانعزال السياسي والحضاري الذي عرفه المغرب في القرنين الماضيين نتيجة النهضة الاوربية، والتخلف العربي ، والتكالب الاستعماري ، كلها كانت عوامل فعالة في عدم تطور هذه الحركة المحلية وايصالها بما بلغته الشعوب الاوربية في هذا المضمار، لذا كان على المغرب ان ينتظر انفتاحه على العالم الغربي لتشييد ملجة افتتاح مسرح سرفانطيس سنة 1912 مما اتاح للسكان مشاهدة مسرحيات قدمتها فرق قدمت من اسبانيا وفرنسا والقاهرة(14) ولتستقبل فرق العالم العربي ، التي وجدت المجال الحي لنشاطها ، كفرق جوق النهضة العربية ، التي كان افرادها مزيجا من التونسيين والمصريين والتي كان يرأسها المغني اللامع محمد عز الدين المصري (15) يساعده مصطفى الجزار الذي كان يقوم بتقديم مسليات هزلية بين الفصول ، وقد وصلت هذه الفرقة الى المغرب سنة 1923 قادمة من تونس عبر الجزائر لتقدم مسرحية صلاح الدين (16) .

وقد لقيت هذه الفرقة ترحيبا حارا ، وتوجه لمشاهدتها العلماء والادباء والوجهاء ، ومثلت في

القصر السلطاني ، ونال رئيسيا وساما من السلطان يوسف (17) .

وقامت الفرقة بجولة عبر اهم المدن تركت اثرا طيبا ، وتحدثت عنها الصحف وهذا شيء لم يحصل حتى بمصر التي فشلت فيها عدة فرق لم تستطع مواصلة عملها نظرا لغياب الجمهور كما حصل لجورج ابيض مما دفعه للسفر الى تونس (18) .

ان التأثير العميق الذي خلفته هذه الفرقة المسرحية كان من العوامل التي وزعت بذور الثقافة المسرحية وسط الشبان المغاربة الذين كانوا يتخبطون في محاولات مهزوزة تخلو من الجمالية المتطلبة .

وما ان مضت سنة على جولة محمد عز الدين وفرقته المختلطة حتى قدمت سنة 1924 فرقة مختلطة اخرى بتعاقد مع بلدية فاس ، وكان من جملة افرادها : عبد الرزاق كرياكة وحسن بنان وزوجته عليلة ، ورانول وزوجته بهية الشامية(19)

وقد انقسمت هذه الفرقة على نفسها ، وظل بعض افرادها في مراكش ، وخاصة حسن بنان الذي كون مع بعض المغاربة فرقة ظلت لبعض الوقت تعمل في جنان الحارثي (20) ، كما نجد بعض المشارقة الذين استوطنوا العاصمة يشجعون على تنظيم الجمعيات ، نذكر من بينهم (ادمون خياط) الذي كان موزعا للافلام ، واخته (بيرية الصايغ) التي كانت منتجة ومخرجة ، فهذه المرأة كانت تستدعي من حين لآخر بعض الممثلين الشباب وتكلفهم باعداد انتاجات درامية ، كان من نتائجها مسرحية الايدي المحترقة التي الفها محمد الزيزي (21) .

وعلى اي حال فقد انطلقت التجربة المسرحية الاولى بالمغرب على يد تلاميذ القرويين (22) وثانوية المولى ادريس بفاس (23) الذين كانوا يعبأون من طرف الفرق الاجنبية لتادية بعض الادوار (24) ، فاستطاعوا بفضل ثقافتهم المزدوجة ، واستيعابهم للتقنيات التي استكشفوها من الفرق الزائرة ان يؤلفوا فرقة باسم الجوق الفاسي (25) برئاسة عبد الواحد الشاوي اصبحت فيما بعد فرقة الاتحاد المسرحي (26)

ومنذ هذا التاريخ ، اخذت تلمع بعض الاسماء كمحمد القري والمهدي المنيعي ومحمد بن الشيخ وعبد الواحد الشاوي وغيرهم (27) وكان الناس يتحدثون عن اعمال هذه النخبة وتضحياتها بكثير من الاعجاب .

وقد قدمت الجوق الفاسي عددا مهما من الروايات التمثيلية ما بين مترجمة ومقتبسة ومؤلفة لمشارقة ومغاربة (28) وكانت هذه الفرقة تضم باقة من الشباب منهم من كان يقوم بدور المؤلف ومنهم من يقوم بدور الممثل ومنهم من يقوم بدور المخرج وكان منهم احيانا من يجمع الادوار كلها كعبد الواحد الشاوي ومنهم من اشتهر بالغناء والقيام بادوار النساء لانعدام العنصر النسوي حينذاك كالحاج محمد بوعياد ، ومنهم من اشتهر بالادوار الهزلية كاحمد الحريشي ، وهناك من غلب عليه دور التأليف كالمهدي المنيعي وبوطالب وابن الشيخ ومحمد الزغاري (29) .

لقد كانت هذه الفرقة تسعى لبلورة مشاكل البلاد وابراز الصراعات الاجتماعية ، كما كانت موضوعات التأليف بدورها تستمد مضامينها عندهم من تاريخ الاسلام والاحداث السياسية المعاشة (30) وذلك لحث المغاربة على طرد المستعمر وفضح اساليبه واطلاع المواطنين على تاريخهم المجيد . وقد احس المستعمر بهذا التخطيط المدبر ، فصادر المسرحيات، وطارد اصحابها ، كما حدث للقري الذي تحمل انواع التعذيب والنفي الغامضة حتى عرف بدفين الصحراء(31)

لقد كان هذا الشهيد مرشد الفرقة يثقفها برواياته المقتبسة ، ويصنع لها الحوار والاناشيد المناسبة(32) ويعد اول من تعاطى التأليف المسرحي فقد وضع سنة 1923 رواية اليتيم المهمل ، ورواية العلم ونتائجه ، والاوصياء وكثيرا ما كان يكتب مسرحياته ويوقعها باسم عبد الواحد الشاوي كما كان يذكر بعض معاصريه وذلك حتى يفلت من عقاب السلطة (33) .

ثم تأسست جمعية ندماء المدرسة الثانوية الفاسية سنة 1928 (34) تحت ادارة السيد الزغاري فقامت بتمثيل عدة روايات: كصلاح الدين لولتر سكوت، وانتصار البراءة والشهيد لمحمد الزغاري ، وتوتوف للمهدي المنيعي (35) واميرة الاندلس لاحمد شوقي ، ولم يكن يخلو هذا الجهد من لمسات نقدية نشيطة فقد اثارت الصحافة عاصفة من الانكار والاحتجاج حول رواية احمد شوقي (اميرة الاندلس) اثناء تمثيل الفرقة الفاسية لها بمراكش ، حيث رأت فيها مسا بمكانة ابن تاشفين ، ورمته بسوء المعاملة للمعتمد ، وكان اول مهاجمي شوقي ، شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم الذي رحب بالفرقة واعترف لشوقي بالشاعرية ولكنه رماه بالجهل بالتاريخ فقال :

تأمل شوقي عن قريب فما اهتدى
وما ضر شوقي لو تأمل عن بعد

احمد شوقي للقوافي رجالها
كانت وللتاريخ ذو الاخذ والرد (36)

ومن نشاط جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية الفاسية تنظيمها لمسابقة في التأليف المسرحي سنة 1929 (37) لقصة اخلاقية اجتماعية لم تفز فيها سوى قصة واحدة عنوانها (الى الفضيلة) للاستاذ عبد الله الجراري (38) .

وفي الوقت الذي كان قدماء تلاميذ ثانوية المولى ادريس يعنون باقامة مسرح فاس ، كان مصطفى الجزار ، الذي قرر الاقامة بالمغرب يعمل على تاسيس فرقة تمثيلية بمراكش سنة 1927 (39) بعد ان انفصل عن محمد عز الدين المصري . وعلى غرار طلبة فاس تأسست جمعية العاصمة الرباطية التي قدمت اربع مسرحيات تحت اشراف رئيسها محمد اليزيدي (40) سنة 1927 وكان يشرف عليها مجموعة من المختصين من جملتهم علماء بقواعد اللغة والنحو يحضرون ساعة التدريب لتصحيح اخطاء الممثلين ، يذكر الاستاذ عبد الله شقرون من بينهم الشيخ المدني الحسني وعبد الله الجراري .

وبعد ذلك بثلاث سنوات شاهدت مدينة سلا ميلاد جوق التمثيل الذي قدم مسرحية ملك وشعب وغيرها ، والتي كان لها بدورها فنيون وملاحظون امثال توفيق الخياط .

ونذكر بالبيضاء قدماء التلاميذ الذين ، الفوا اجواقا تحت ادارة الحاج المختار بن عبد السلام المثري الشهير (41) وجمعية تلاميذ مدرسة الاعيان التي اكتسحت الخشبة بضع سنوات من 1936 الى 1940 وغيرت اسمها الى فرقة الهلال ، وكان مديرها هو محمد الهرابلي (42) .

وعرفت مدينة طنجة حركة فنية حقيقية وممارسة جد متقنة لفن الدراما (43) واول مبادرة مسرحية بها كانت من جمعية الهلال التي اسسها احمد ياسين سنة 1927 ، وجعل لها فروعا ثقافية وترفيهية متعددة(44) مما مكنها من مشاهدة روائع ادبية كانت تقدمها في عيد المولد النبوي الذي كان يجلب الى طنجة عددا من المواطنين ، ومن فنييها اللغويين ، احمد بن احساين والعربي التمتماني وعبد الله كنون

وفي سنة 1932 وفدت على المغرب الممثلة المصرية فاطمة رشدي وزوجها عزيز عيد وزارت جل مدن المغرب حيث تركت اثرا طيبا وخاصة في تطوان، كان من نتائجه تكوين فرقة الطالب المغربي ، وكان من المعنيين بتشجيعها والتاليف لها ، رئيسها الاديب عبد الخالق الطريس. اذ قدم لها رواية من انتاجه موضوعها الحض على التعليم العصري تحت عنوان : انتصار الحق بالباطل (45) .

ثم تكونت سنة 1936 جماعة هواة المسرح بمساعدة الحاج محمد بنونة ، بل ان احد افراد الجماعة وهو احمد مدينة انشا مجلة للمسرح والسينما في يناير 1946 هي مجلة الانوار .

وقد كان الظهير البربري سنة 1930 والرفض الذي قوبل به عاملا من عوامل تضييق الخناق على العمل المسرحي الذي بدا نشاطه يتقلص باضمحلال فرقه الواحدة تلو الاخرى الى ان كانت عريضة الاستقلال التي قدمها الوطنيون في 11 يناير 1944 فكانت فرصة الاستعمار للاجهاز على النشاط المسرحي والصحفي .

نستخلص مما مر ان المسرح لم يكن فنا غريبا على المغاربة ، وانه رغم الفارق الذي كان بين الفنون المحلية التي قدمنا بها حديثنا والمسرح بمعناه الحديث فان هذا لم يكن ينفي بان المغاربة كانت لهم رؤيا قريبة الى حد ما من هذا الفن ، كما ان ارتباط الفترة التي ادخلت فيها الفرق الشرقية المسرح الحديث الى المغرب باستعمار البلاد ، وجيشان النفوس وغضبها ، وما صاحب ذلك من حركة رد الفعل ، كل ذلك عمل على الدفع بعجلة الحركة المسرحية الى الامام وخدمتها باخلاص يجمع بين الغيرة الاسلامية والوطنية مما دفع الدراميون المغاربة الى ان يبدعوا انتاجات نابعة من تاريخ بلادهم كمسرحية المنصور الذهبي التي الفها ابن الشيخ ، ومسرحية العلم ونتائجه التي احرزت على الجائزة الاولى للتاليف سنة 1929 والتي تبرز اهمية التعليم في تحقيق اهداف الامة وتحريرها وغيرها من المسرحيات .

لقد كان المسرح المغربي مسرح هواة يرمي الى بث الوعي الفني والوطني في نفوس المواطنين ، وقد لاقى رجاله كثيرا من العنت بالمحاكمات والغرامات فكان ينتكس ويزدهر طبقا للضغوط وخفتها ورغم ذلك استطاع تادية رسالته في حث الجمهور على المشاركة الفعلية بالحضور بالمآت لعروضه ، وفي ايقاظ وعيه الوطني

والقومي ، وبايقاد جذوة التحرير والكفاح التـــي استجاب لها حين دعا داعي الوطنية .

وكان بامكان هذه الحركة أن تؤثر تاثيرا ايجابيا في اتجاه كتابة المسرحية ، لولا الخنق الذي فرضته السلطات الاستعمارية آنذاك ، مما دعاها الى انتظار مرحلة اخرى .

محمد العلمي حمـــدان

مـراجـع البحـث :

1 — من تاريخ القصة والمسرحية في الادب المغربي للاستاذ الحسن السائح ص 13 — 16 ص 15

2 — ابحاث في المسرح المغربي د. حسن المنيعـــي

3 — مجلة الفنون عدد 1 — 2 السنة الثانية : لمحات من تاريخ المسرح المغربي للاستاذ عبد اللـــه شقرون

4 — ابحاث الاستاذ حسن المنيعي ص 17

5 — ابحاث الاستاذ حسن المنيعي ص 17

6 — عبد الله شقرون — مجلة الفنون — السنة 2 عدد 1 — 2

7 — عبد الله شقرون — مجلة الفنون

8 — عبد الله شقرون — مجلة الفنون —

9 — ابحاث في المسرح المغربي للاستاذ حســـن المنيعي ص 9

10 — ابحاث في المسرح المغربي للاستاذ حســـن المنيعي ص 22

11 — ابحاث في المسرح المغربي للاستاذ حســـن المنيعي ص 24 وعدد 1 — 2 من مجلة الفنون — عبد الله شقرون

12 — مجلة الفنون لمحات من تاريخ المسرح المغربي عبد الله شقرون

13 — فهرس للمسرح المغربي د. زين العابديـــن الكتاني ص 83

14 — ابحاث الاستاذ حسن المنيعي ص 34

15 — ابحاث الاستاذ حســن المنيعي ص 35

16 — لمحات من تاريخ المسرح المغربي د. عبد الله شقرون عدد 1 — 2 سنة 2 مجلة الفنون .

17 — ابحاث الاستاذ المنيعي ص 15 ولمحـــات د. عبد الله شقرون .

18 — ابحاث الاستاذ المنيعي ص 33

19 — لمحات من تاريخ المسرح د. عبد الله شقرون وابحاث الاستاذ المنيعي ص 36

20 — نشاة المسرح المغربي د. عثمان بن خضراء مجلة الفنون سنة 2 عدد 7 — 8 وابحاث د. المنيعي ص 37

21 — فهرس للمسرح المغربي د. زين العابديـــن الكتاني عدد 7 — 8 سنة 1

22 — الفن القصصي والمسرحي في المغرب العربي 1900 — 1965 د. الصادق عفيفي

23 — ابحاث د. المنيعي ص 37

24 — ابحاث د. المنيعي ص 37

25 — الفن القصصي والمسرحي في المغرب العربي د. محمد الصادق عفيفـــي ص 170 — 173 ومجلة الفنون عدد 7 — 8 سنة 1

26 — الفن القصصي والمسرحي في المغرب العربي د. الصادق عفيفي ص 171 ومجلة الفنون عدد 7 — 8 سنة 1

27 — فهرس للمسرح المغربي د. زين العابديـــن الكتاني مجلة الفنون عدد 7 — 8 سنة 1 وابحاث د. المنيعي ص 38

28 — فهرس للمسرح المغربي د. زين العابديـــن الكتاني مجلة الفنون والفن القصصي ص 171

29 — ابحاث د. المنيعي ص 38

30 — ابحاث الاستاذ المنيعي ص 38

31 — ابحاث الاستاذ المنيعي ص 38

32 — الفن القصصي د. محمد الصادق عفيفي ص 170

33 — ابحاث د. المنيعي ص 38

34 — الفن القصصي د. عفيفي ص 173

35 — الفن القصصي د. عفيفي ص 173

36 — هل حاول شاعر الحمراء أن يكون ناقدا مسرحيا ؟ ذ. زين العابدين الكتاني في مجلة الفنون سنة 1 عدد 4 والفن القصصي ذ. عفيفي ص 174

37 — فهرس للمسرح المغربي ذ. زين العابدين الكتاني مجلة الفنون سنة 1 عدد 9 — 10

38 — القصة المغربية الحديثة ذ. محمد الصادق عفيفي ص 19 ومجلة الفنون سنة 1 عدد 9 — 10

39 — أبحاث الأستاذ المنيعي ص 42

40 — أبحاث الأستاذ المنيعي ص 42

41 — فهرس للمسرح المغربي ذ. الكتاني عدد 5 — 6 — سنة 1

42 و 43 و 44 — أبحاث الأستاذ المنيعي ص 42 — 43 — 44

45 — الفن القصصي والمسرحي في المغرب العربي ذ. محمد الصادق عفيفي ص 76 .

● قال اكثم بن صيفي حكيم العرب : ذللوا أخلاقكم للمطالب ، وقودها الى المحامد ، وعلموها المكارم ، ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم ، وصلوا من رغب اليكم ، وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ، ولا تمتقدوا البخل ، فتعجلوا الفقر ..

وقد أخذ هذا المعنى شاعر فقال :

أمن خوف فقر تعجلته وأخرت انفاق ما تجمع
فصرت الفقير وانت الغني وما كنت تعدو الذي تصنع

يريد الشاعر أن يجود الانسان من ماله ليبارك له ما فيه .

القاضي عياض

للأستاذ عبد الله كنون

● خص الاستاذ عبد الله كنون « المجلة العربية » التي تصدر بالمملكة العربية السعودية بمقال عن القاضي عياض . ويسر « دعوة الحق » ان تنقل عن الزميلة الجديدة مقال الاستاذ كنون منوهة في نفس الوقت بالكاتب والمجلة .

بجنب الاصيلي وأبي عمران الفاسي ؛ يذكر القاضي عياض فيكون ثالث ثلاثة رفعوا راس المغرب عاليا في ميدان الدراسات الاسلامية العليا ؛ ولاسيما علم الحديث رواية ودراية ، والفقه والخلاف على مستوى المذاهب والائمة ؛ ولئن كان أكثر ما يقتبس من آثار سلفيه العظيمين هو اقوالهما والنقول المعزوة اليهما في امهات الكتب ومراجع هذه الدراسات ، من شروح السنة وشواهدين الفقه والاصول فان القاضي ، بخلاف ذلك ، قد كان محظوظا اكثر منهما . اذ احتفظت لنا الخزائن العلمية باهم مؤلفاته ، فشارك زميليه في انتشار الذكر والشهرة بالعلم واصحابه في الحفظ والفهم ، وانفرد عنهما ببقاء كتبه شاهدة بعلو كعبه وطول باعه في المعارف والفنون .

ثم هو بعد ذلك يمتاز ببراعته في الادب وصناعتي النظم والنثر ، والخطابة ، ومعرفته الواسعة بالاخبار والتواريخ الى غير ذلك ، مما جعل منه معلمة محيطة مفتوحة لكل طالب وراغب .

اما صفاته واخلاقه وديانته ومكانته الاجتماعية ، فهو مما نتحدث عنه في تفاصيل ترجمته ، وناديك بالذكر الحسن الذي يتمتع به لدى عامة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها .

ترجمة القاضي عياض :

هو ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي نسبة الى يحصب بن مالك قبيلة من حمير ؛ السبتي الدار والميلاد .

كان سلفه في القديم بالاندلس ، ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، وانتقل جده الى سبته بعد سكنى فاس .

وكانت ولادة عياض في منتصف شعبان عام 476 للهجرة ، ونشأ في صيانة وعفاف ، طالبا للعلم حريصا عليه مجتهدا فيه ، فحفظ القرآن ، ثم جود قراءته بالسبع على مشيخة بلده وغيرهم ، وامتلا وطابه من العلم فقها وحديثا وتفسيرا وعربية وادبا ، ولكنه تاق الى المزيد من التحصيل وسعة الرواية فرحل الى الاندلس (507 هـ) وعمره احدى وثلاثون سنة ، فاخذ بقرطبة عن علمائها ، ثم شخص الى مرسية ، وقصده ابو علي الصدفي وسمع عليه كما في فهرسته « الغنية » الصحيحين للبخاري ومسلم ، والمؤتلف والمختلف ، ومشتبه النسبة لعبد الغني ، والشهاب للقضاعي ، والاشارة للباجي ، وادب الصحبة للسلمي وشيوخ البخاري لابن عدي ، وعوالي ابي العوارس الزيني ، وقرا جامع الترمذي ، ورياضة المتعلمين لابي نعيم وللشيباني ، والناسخ والمنسوخ لهبة الله ، والاستدراكات على البخاري ومسلم ، والتتبع والالزامات ليما ، ثلاثتها للدار قطني ، والاربعين حديثا لابي نعيم وللشيباني ، وأوهام الحاكم لعبد الغني ، وغير ذلك .

وعاد من الاندلس في سنة 508 هـ ، فلم تطل رحلته اليها اكثر من سنة ، ومع ذلك فقد قام فيها بنشاط علمي عظيم ، لان الرجل كان قد اكتمل تكوينه وانتهى تحصيله فلم يكن وكده من لقاء الشيوخ الا توسيع الرواية ، وربط الصلة باعلام عصره ، ولا سيما مثل

---

1) « المجلة العربية » العدد 2 ــ رجب 96 ــ يونيو 76 .

الصدفي الذي رحل الى المشرق ، واخذ به عن بقية من الاكابر علا بهم سنده وتميزت طريقه .. والا فان ما اخذه بسبتة عن شيخه وعمدته ابي عبد الله التميمي فضلا عن غيره كاف ليجعل منه رجل علم ورواية من اعلى طبقة ، فقد ذكر هو في كتابه « الغنية » انه لازمه كثيرا للمناظرة في المدونة ، والموطأ ، وسماع المصنفات فقرأ عليه ، وسمع بقراءة غيره كثيرا ، واجازه جميع رواياته ، فيما سمع عليه وقرأ واجازه به موطأ الامام مالك وصحيح البخاري ومسلم ، وسنن ابي داود ، وشرح غريب الحديث للقاسم بن سلام ، وكتاب اصلاح الغلط لابن قتيبة ، وغريب الحديث للخطابي ، وكتاب علوم الحديث لابي عبد الله الحاكم ، وكتاب الطبقات لمسلم بن الحجاج ، وكتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي ، والمدونة لابن القاسم ، والملخص لمسند الموطأ للقابسي ، والتقصي لمسند الموطأ لابن عبد البر ، ومسند الموطأ لابي القاسم الجوهري ، والرسالة لابن ابي زيد القيرواني .. وكل ذلك مناظرة ورواية وضبطا واجازة فيما تأتاه ، وبعضه قراءة عليه مرارا .

على ان شيوخ عياض قد تربوا على الجلة ، ومنهم ابو بكر بن عطية ، وابن العربي ، لقيهما بسبتة ، وكتب له من المشرق ابو ذر الهاوندي ، والطرطوشي ، وابو طاهر السلفي ، وابو عبد الله المازري من المهدية وسواهم .

فاذا كان هذا أخذه عن واحد من مشيخة بلده ، فما الظن به وقد تضلع من معين معارفهم جميعا ، واستوعب ما عندهم درسا وتحصيلا ؟

ولذلك فانه عندما رجع من رحلته اجلسه اهل سبتة للمناظرة عليه في المدونة ، وهو ابن 32 عاما كما يقول ابنه في الجزء الذي عرف به فيه ، وبعد ذلك بيسير اجلس للشورى ، يعني شورى الاحكام ، ثم ولي القضاء عام 515 هـ ، فسار فيه احسن سيرة ، محمود الطريقة ، مشكور الحالة ، أقام جميع الحدود على ضروبها واختلاف انواعها ، وبنى الزيادة الغربية في جامع سبتة التي كمل بها جماله ، وبنى في جبل المنيا الرابطة المشهورة ، الى غير ذلك من الاثار المحمودة والمساعي المرضية ، فعظم جاهه وتمهد مبتغاه .

وقد كثر ثناء الناس عليه وتقريظ اهل العلم له بحيث قال فيه ابو محمد بن ابي جعفر : ما وصل الينا من المغرب اثيل من عياض .. وقال له ابو الحسين بن سراج ، وقد ازمع الرحلة الى احد مشائخ الاندلس : لهو احوج اليك منك اليه .

وقال ابن الابار عنه في معجم اصحاب ابي علي الصدفي : « كان لا يدرك شأوه ولا يبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الاثار وخدمة العلم مع حسن التفنن فيه والتصرف الكامل في فهم معانيه ، الى اضطلاعه بالاداب ، وتحققه بالنظم والنثر ، ومهارته في اللغة ، ومشاركته في اللغة الغريبة ، وبالجملة فكان جمال العصر ومفخر الافق » .

ويقول ابن فرحون في الديباج مذوها بمشاركته في شتى العلوم : « كان القاضي ابو الفضل امام وقته في الحديث وعلومه ، عالما بالتفسير وجميع علومه ، فقيها اصوليا ، عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وايامهم وانسابهم ، بصيرا بالاحكام عاقدا الشروط ، حافظا لمذهب مالك ، شاعرا مجيدا ريان من الادب خطيبا بليغا » .

مكانة عياض الاجتماعية :

اما مكانته الاجتماعية فقد كانت مرتبطة بأبوته الكريمة ، جده عمرون الذي استقر بسبتة كان من أهل الفضل والدين ، حج مرارا وغزا كثيرا ، وبنى مسجدا واوقف عليه بعض الدور ، كما اوقف ارضا لدفن الموتى ولا شك ان هذه الاعمال قد اكسبت ولده نباهة وذكرا حسنا ، ثم زاد ذلك بظهور نجابته وارتفاع درجته في العلم وولايته للقضاء وسيرته الحميدة فيه والمشاريع العمرانية التي قام بها من الزيادة في المسجد وبناء الرابطة وغير ذلك ، على ما المح اليه ابنه في التبذة التي نقلناها عنه ، وهي مما اكده غيره من المترجمين له ، الشيء الذي جعله الشخصية المرموقة ان لم نقل الشخصية الاولى في البلد .

وعظم شأن عياض فدعي الى تولي القضاء ، بغرناطة ، فكسر العادة التي كانت تجعل القضاة يأتون من الاندلس الى المغرب ، ولنستمع الى احد علماء غرناطة ، وهو ابو زيد عبد الرحمن بن القصير ، يصف دخول عياض الى هذه المدينة ، فيقول : « لما ورد علينا القاضي عياض غرناطة ، خرج الناس للقائه وبرزوا تبريزا ، ما رأيت لامير مؤمر مثله ، وحزرت اعيان البلد الذين خرجوا اليه ركابا بينا على مشتى راكب ومن سواد العامة ما لا يحصى كثرة ، وخرجت مع ابي رحمه الله تعالى في جملة من خرج ، فلقينا شخصا يأدي السيادة ، منبئا عن اكتساب المعالي والافادة »

عيـــاض القاضـــى المـــادل :

وكانت ولايته لقضاء غرناطة فى أيام تاشفين بن على اللمتونى المرابطى اول يوم من صفر سنة 531 هـ قال ولده فى كتاب التعريف : « فنهض اليها ، وتقلد خطة قضائها ، وعلى المعتاد من شيمته السنية ، وأخلاقه المرضية ، مشكورا عند جميع الناس ؛ لكن تاشفين ضاق به ذرعه ، وغص بمراقبته ، وصد أصحابه عن الباطل وخدمته عن الظلم ، فصرفه عنها فى رمضان سنة 532 هـ ؛ يعنى أن ولايته لم تتم الا سنة وبضعة اشهر ، وذلك لما اخذ نفسه به من الجد والاستقامة والضرب على ايدي اهل العبث والفساد » وتقدم عن ولده فى ولايته لقضاء سبتة : « انه احسن السيرة واقام الحدود » . وهنا يحضرنا ما روى عنه : انه اقام حد الشرب على الكاتب الشهير الفتح بن خاقان صاحب القلائد والمطمح ، فانه دخل عليه وهو سكران ، فامر باستنكاهه ، فوجدت منه رائحة الخمر ، فنفذ فيه الحد ، ولما خرج اتبعه بصلة ، وذلك منتهى التشرع والمجاملة للاديب الاندلسى اللامع فى آن واحـــد .

ويقال : « ان هذا عزم على حذفه من كتابه القلائد . فقيل له ان ذلك ادعى لاشتهار هذه القضية وتساؤل الناس عن عدم ذكره للقاضى عياض وهو من هو علما وادبا ووجاهة ، فعدل عن ذلك » .

والقصة لعمري مما يذكر فى مغربات الاخبار ، وهى تدل على ان ما وصفه به ولده فى كتاب التعريف دون ما كان عليه من الصرامة فى الحق والقيام بواجب الخطة ، لان من فعل هذا مع شخصية معروفة لها وزنها وقيمتها فى الاوساط الادبية والفكرية ، احرى أن يكون مع غيرها بالوصف الذي ذكره به ، ولذلك فان تأخيره عن قضاء غرناطة من قبل تاشفين بن على هو كما قال ولده لشدته على اهل الظلم والباطل من رجاله واتباعه بدون شك ولا ريـــب .

وهنا يحسن أن نورد ما كتبه عنه الفتح بن خاقان فى القلائد ، وهى بذلكة جمعت ما وصف به من اصالة ورسوخ تفنن فى عبارات معجبة ، وفقر مطربة ، هذا نصها : « الفقيه الحافظ القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله تعالى ، جاء على قدر ، وسبق الى نيل المعالى وابتدر ، واستيقظ لها والناس نيام ، وورد ماءها وهم صيام ، وتلا من المعارف ما اشكل ، واقدم على ما احجم عنه سواه ونكل ، فتحلت به للعلوم نحور ، وتجلت له منها حور ، كأنهن الياقوت والمرجان ، لم يطمث انس قبله ولا جان ، قد الحقته الاصالة رداءها وسمته انداءها ، والقت اليه الرياسة اقاليدها ، وملكته طريفها وتليدها ، فعبد على فتائه الكهول سكونا وحلما ، وسبقهم معرفة وعلما ، وازرت محاسنه بالبدر اللياح ، وسرت فضائله سرى الرياح فتشوقت لعلاه الاقطار ، ووكفت تحكى نداه الامطار . وهو على اعتنائه بعلوم الشريعة ، واختصاصه بهذه الرتبة الرفيعة ، يعنى باقامة اود الادب ، وينتل الى اربابه من كل خدب ، الى سكون ووقار كما رسا الطود وجمال مجلس كما جليت الجود ، وعفاف وصون ما علمنا فساد! بعد الكون ، وبهاء لو راته الشمس ما باهت باضواء وخفر ، ولو بان للصبـــح ما لاح ولا اسفـــــر . . »

واستقر عياض بعد ذلك ببلده معززا ، يخـــدم العلم بالدرس والتاليف ، وكان حسن الالقاء للمسائل كثير التحرير للنقول ، وقد انتفع به من العلماء من لا يحصى كابى زيد بن القصير المتقدم الذكر ، وابـــى جعفر بن مضا ، وابن بشكوال على ما سبق عنه وابن غازي السبتى ، وابى جعفر بن حكم . ومن طريقهما نروي كتبه ، وغيرهم ، وكان كثير الاعتناء بالتقييد ، بارع الخط . يقول ابن خاتمة فى كتاب « المزيـــة » على مـــا نقله عنه المقري فى ازهار الرياض : « وقفت على خطه رحمه الله فرايته خطا رائعا ، وكان سريع الوضع ، ويدل على ذلك كثرة اوضاعه ، وكتبه مع ذلك كتبـــا كثيرة بيـــده » .

وكانت هذه حاله الى ان ولى قضاء سبتـــة ثانية فى عام 539 هـ ، فقدمه ابراهيم بن تاشفين بـــن على ، فابتهج اهل بلده بذلك ، ثم بادر بالدخول فى امر الموحدين اثر ظهورهم ، فاقره عبد المؤمن على ما كان عليه ، وصرف امور بلده اليه ، وخاطبه بالتنويه وحظى عنده ، واجتمع به بمدينة « سـلا » عند توجيه الى محاصرة مراكش ، فلقى منه بـــرا واقبـــالا تامين ، الى ان اضطربت امور الموحدين عام 543 هـ فالتاثت حاله معهم بثورة اهل بلده عليهم ، فنقلوه الـــى مراكش حيث توفى فى جمادى الاخرة ، وقيل فى رمضان سنـــة 544 هـ .

وقيل : انهم ولوه قضاء بلدة « داي » ـــ بتادلا ـــ وهى بلد الصومعـــة .

ويروى له شعر ممـــا قاله فيهـــا يشكـــو الغربة ويتشوف الى بلده سبتـــة

وكثرت الشائعات حول موته فقيل : ان المهدي ابن تومرت امر بقتله ، وقيل : انه مات غماة في الحمام بدعاء الغزالي عليه ؛ لانه من احرق بحرق كتاب الاحياء وقيل : انه مات مسموما ، سمه يهودي . ولا صحة لذلك كله .

والثابت انه مات ميتة طبيعية بعد مرض قصير مغربا عن بلده بسبب تورطه في الثورة على الموحدين وان هؤلاء عاملوه معاملة خاصة نظرا لعلمه وفضله ؛ وانه دفن بمراكش بباب ايلان داخل المدينة حيث يرجد قبره الان رحمه الله ورضي عنه .

مؤلفات القاضي عياض :

الف القاضي عياض عدة كتب كلها جليلة ومفيدة ؛ وبعضها لا نظير لها ولم يسبق بمثله . ومنها : كتاب **« الشفا في التعريف بحقوق المصطفى »** صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي طار به صيته في العالم الاسلامي ، وتلقته الامة بالقبول ، واصبح احد الكتب التي تحظى بالتقدير من لدن اهل المعرفة وعوام المؤمنين . يقول ابن فرحون في حقه : « ابدع فيه كل الابداع . وسلم له اكفاؤه فيه ؛ ولم ينازعه احد في الانفراد به ؛ ولا انكروا مزيته في السبق اليه ؛ بل تشوفوا للوقوف عليه ، ونافسوا في الاستفادة منه ؛ وحمله الناس ، وطارت نسخه شرقا وغربا » .

وقد مدح بشعر ونثر كثير . وطعن الحافظ الذهبي فيه بكونه محشوا بالاحاديث الموضوعة والتاويلات الواهية لم يسلم له ، فما فيه من الموضوع قليل جدا ، وكذلك ما فيه من الضعيف .

وقد كتبت على الشفاء شروح كثيرة يطول تنيعها وذلك مما يزيد دلالة على اهميته والاحتفال به من علماء جميع العصور التي تلت عصر مؤلفه .

ومن كتبه المهمة كتابه « **اكمال المعلم** » ؛ اكمل **على صحاح الآثار »** فسر فيه غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم ؛ وضبط الالفاظ واسماء الرجال ؛ ونبه على مواقع الاوهام والتصحيفات ؛ قال فيه ابن فرحون : « وهو كتاب لو كتب بالذهب ، او وزن بالجوهر لكان قليلا في حقه » .

ومن كتبه المهمة كتابه « **اكمال المعلم** » ، اكمل به شرح شيخه المازري المسمى « بالمعلم بفوائد صحيح مسلم » ذكر في اوله ان طلبته رغبوا اليه في كتابة شرح عليه ، يبين مشكلة ، ويقيد مهمله لانه لم يؤلف في شرحه الا ما ذكره شيخه ابو علي الجياني في تقييد المهمل من الكلام على مشكل اسانيده مع مشكل اسانيد البخاري والا كتاب المازري . . قال : لكن الاحاطة على البشر ممتنعة ومسارح الاذهان والالباب للبحث متسعة ؛ وكثيرا ما وقفنا في الكتاب المذكور على احاديث مشكلة ، لم يقع لنا هناك تفسير وتحصيل محتملة تحتاج معانيها الى تحقيق وتقدير . . ثم قال : انه راى ان تاليف كتاب جامع لشرحه لا معنى له ؛ مع ما تقرر في (المعلم) من فوائد جمة لا تضاهى . فيابى الكلام في ذلك ثانية كالحديث المعاد ، ولذلك قر رايه ان يكون شرحه ذيلا لشرح شيخه ، يبدا بما قاله ، ثم يضيف اليه ما زاده عليه ، ومن ثم سماه : « اكمال المعلم » اعترافا بفضل السبق للامام المازري . وهذا الكتاب هو ايضا مما افضل به على علماء الحديث ، وتشر له ذكرا عاطرا بينهم ؛ وقد اتم به ما بداه في الكتاب قبله بخصوص صحيح مسلم ، كما الم لذلك في مقدمة « المشارق » .

ومنها كتاب « **الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد السماع** » ، وهو في علوم الحديث فريد في بابه جمع ما في كتب الفن قبله ، واضاف اليه نكتا غريبة من مستدمات حكم الاثر ، واصوله ، وفصولا هامة في اقسام الرواية والتحمل ، مع مزيد من الضبط والاتقان ، والتحري في السماع والاداء . وفيه يقول الدكتور اسد رستم : « على الرغم من مرور سبعة قرون عليه فانه ليس بامكان رجال التاريخ في اوروبا وامريكا ان يكتبوا احسن منه ، وان ما جاء فيه من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج في باب تحري الرواية والمجيء باللفظ يضاهي ادق ما ورد في الموضوع نفسه في اهم كتب الافرنج في المانيا وفرنسا وامريكا وانكلترا .

ومن كتبه في الفقه على مذهب الامام مالك كتاب « **التنبيهات المستنبطة على المدونة والمختلطة** » حل فيه الفاظ المدونة ، وضبط مشكلاتها ، وحرر رواياتها ومسمى رواتها ، فصار عليه المعول في شرحها ؛ لانه جمع بين طريقة اهل العراق الذين يجعلون مسائل المدونة كالاساس ، ويبنون عليها تفريعات المذهب من غير نظر في تصحيح الروايات ، ومناقشة الالفاظ وطريقة اهل القيروان الذين يبحثون الالفاظ ، ويحققون الروايات ، وذلك لقوة عارضته ، وسعة اطلاعه . فوضع بذلك منهجا جديدا للفقهاء والباحثين في اصول المذهب ممن اتى بعده .

ومن كتبه العظيمة الفائدة في الطبقات والتراجم كتاب « **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك** » المشهور باسم « **المدارك** » . وهو كتاب سد به فراغا عظيما في هذا الباب ، ولم يقم قبله ولا بعده من فرى فريه فيه ، وانما حسب كتاب التراجم والطبقات ان ينقلوا عنه ، ويلخصوه ، ويذيلوا عليه ، ومع ذلك فانهم لم يحاكوه ، او يقاربوه ، فاحرى ان ياتوا بمثل نفسه العالي ، وقد كان قدوة لغيره من اتباع المذاهب الاخرى فالفوا في طبقات علماء مذهبهم كتبا تختلف باختلاف مداركهم ومشاربهم . وقد استهله بمقدمة اضافية في ترجيح مذهب مالك ، وبيان القواعد التي بنى عليها ، والمقارنة بينه وبين المذاهب الاخرى ، ثم اتبع ذلك بترجمة واسعة للامام مالك ، لم يترك فيها شاذة ولا فاذة مما يتعلق بحياته الشخصية والعلمية الا اتى بها ، وبعدها شرع في ذكر تراجم علماء المذهب ، مرتبا لهم على الطبقات ، فاتى بالعجب العجاب في ذلك ولاسيما في تراجم الكبار منهم والمشهورين ، سالكا في ذلك المنهج العلمي النقدي ، مطبقا قواعد النظر المتبعة عند ائمة الحديث في الرواية والرواة ، مما بينه في كتابه « الالماع » السابق الذكر ، توثيقا وتوهينا ، وبيان وهم وتصحيح خطا وما الى ذلك .

ومن كتبه في التراجم ايضا كتاب « **الغنية** » ، وهو فهرسة اشياخه ، وما اخذ عنهم بقراءة ، او اجازة مع ذكر اسانيدهم ان كانت لهم رواية ، وقد بلغ بهم عدد المائة . وقال : انه ترك جماعة ممن لقيهم وذاكرهم وحضر مجالسهم من الفقهاء والرواة ، ولكنه لم يحمل عنهم من الكتب والحديث شيئا » .

وباقي كتبه هي « **بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد** » ، « **ومعجم شيوخ ابي علي الصدفي** » ، و « **الاعلام بحدود قواعد الاسلام** » ، و« **سر السراة في ادب القضاة** » ، و « **نظم البرهان في جزم الاذان** » ، و « **الفنون الستة في تاريخ سبتة** »، لم يكمل و « **غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسيل** » ، و « **مجموعة خطب** » ، و « **اجوبة عن المسائل التي رفعت اليه** » ، و « **تاريخ** » يشير اليه كثيرا في كتاب « المدارك » وذكره بعض مترجميه « بجامع التاريخ » ، وغير ذلك من مشروعات لم تكمل .

وقد طبع من هذه الكتب كتاب « الشفا » طبعات لا تعد ، وكتاب « المشارق » ، وكتاب « المدارك » ، وكتاب « الاعلام » ، وكتاب « قواعد الاسلام » ، وباقيها بعضه يوجد مخطوطا ، وبعضه الاخر يعد في حكم المفقود .

ادب القاضي عياض :

وله رحمه الله قلم سيال في النثر الفني والمرسل ، والشعر البديع .

ومن شعره قوله يودع قرطبة :

اقول وقد جد ارتحالي وغردت
حداتي وزمت للفراق ركائبي

وقد غمصت من كثرة الدمع مقلتي
وصارت هواء من فؤادي ترائبي

ولم تبق الا وقفة يستحثها
وداعي للاحباب لا الحبائب

رعى الله جيرانا بقرطبة العلا
وسقى رباها بالعهاد السواكب

وحيا زمانا بينهم قد الفته
طليق المحيا مستلان الجوانب

اخواننا بالله فيها تذكروا
معاهد جار او مودة صاحب

عدوت بهم من برهم واحتفائهم
كاني في اهلي وبين اقاربي

ومنه يتشوق الى بلده سبتة ويشكو الغربة وهو قاض بداي :

اقمرية الادواح بالله طارحي
احا شجن بالنوح او بغناء

لقد ارقتني من هديلك رقة
تضعضع منها زفرة الصعداء

لعلك مثلي يا حمام فانني
غريب بداي قد نقلت لداء

فكم بين داي من فلاة وسبتة
وخرق عظيم الخافقين خواء

لعل الذي كان التفرق حكمه
يجمع منا الشمل بعد تناء

عبد الله كنون

ابحاث ودراسات

- تحريف التاريخ والعقيدة
- في الذكرى ٤ لحرب رمضان
- احمد الصافي النجفي
- القصيدة عند شعراء مدرسة أبولو

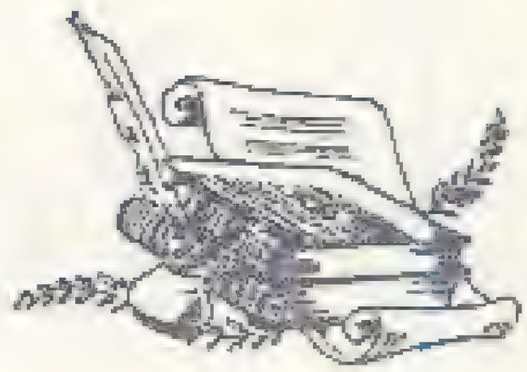

تحريف التاريخ والعقيدة

للدكتور ابراهيم مدكور

هل يحرف التاريـــخ ؟

نعم ، ان التاريخ يحرف ، كما يمكن أن يحرف أي شيء يكون فيه الانسان اداة او غاية ، بشرط ان تتاح الظروف لمثل هذا العمل .

والتحريف قد يكون فى المبدأ او الطريقة او الغاية او فى كل منها مجتمعة ، وكما يكون التحريف فى التاريخ يكون فى العلم والدين والادب . فالى عهد قريب ظلت بعض النظريات العلمية التى ترهن التقدم الحضاري للانسان بانتمائه العرقى سائدة فى الاوساط العلميـــة خاصة ، وقد دخلت هذه النظرية فى غير التاريخ او كـــادت (1) .

وكل الاديان السماوية من غير استثناء ، خضعت بشكل او بآخر لتحريف اتباعها وخصومها مع اختـــلاف فى الغايات والطرائق ، فقد حرفت نصوص الوحـــى فى جل هذه الديانات ، ودخلها التزيد والنقص لاسباب مختلفة . اما الادب الذي من شأنه تهذيب ذوق الانسان ومشاعره وتعبيره منطوقا ومكتوبا ، فقد شمله النحل (بالحاء المهملة) ، فطالها اخطأ مرماه وصور الحـــق باطلا والباطل حقـــا .

ان من حق كل شخص ان يعبر عن آرائه وافكاره بالطريقة التى يختارها فى ظل القانون ، فهذا مبدأ لا يكاد يخلو منه دستور ، ولكن رجل الفكر ، بوصفه اداة ضرورية للتواصل الثقافى بين المجتمعات وداخلها ليس من حقه ان يحلم هذه الرسالة النبيلة بحقن البهتان والتدليس ، ولا ان يتخذ من علمه آلة تدمير لمجرد التضحية بحق الاخرين . غير ان التاريخ سيظل بالرغم من كل شيء ، خير مقياس للحكم على اخطاء ومزايا الشعوب والافراد . نعم ، ان كل علم او فن يستطيع ان يقوم بدور مقارب ، ولكن مزية التاريخ أن ينوب عن العلوم والفنون جملة فى تسجيل تقدم الانسان او تخلفه من حيث الصورة العامة ، ولذلك ، فتحريف التاريخ لا يقل خطورة عن تحريف العقيدة او الدين ، لان الهدف فى الحالين يبقى واحدا ، وهو تضليل الجماهير او فئة منهـــا .

ولقد تبين بكثير من الادلة ان تاريخ اغلب الشعوب بحاجة الى بناء جديد ، اما لانه لم يكتب قط ، او كتب جزئيا ، او سجل بصورة مشوهة او ممسوخة . وفى احسن الحالات يظل تعريفا ناقصا بحضارات هـــذه الشعوب التى لا يغوص فى اغوارها . ولنذكر هنا على سبيل المثال ، جل الشعوب الافريقية ، على الرغـــم من النشاط الذي تقوم به بعض المنظمات الدولية فـــى سبيل اعداد تاريخ عام للحضارات الافريقية (2) ، وكذا عدد من الشعوب بالقارة الافريقية ولا سيمـــا اليهود الحمر الذين هم من اقدم شعوبها .

ويبقى التمييز بين التحريف والخطأ ، فـــان التاريخ عرضة للتحريف كما هو عرضة للاخطاء ، ولكن هذه تتناول المضمون بالدرجة الاولى ، اما التحريف

فقد سبق التذكير بانه يشمل المبدأ والطريقة والهدف . كذلك فان التحريف يكون مقصودا لذاته حتى ولو نشأ عن خطأ . اما الخطأ نفسه فمن شأنه ان لا يكون متعمدا والا صار تحريفا . وهكذا فلا يحاسب المؤرخ على اخطائه بقدر ما يحاسب على تزويره لحقائق التاريخ وروحـــه .

ويعيش الشباب بوجه عام ، والذي حظي منه بوعي ثقافي على الخصوص ، في حيرة وقلق منذ أن عرف المجتمع الانساني طبقة شباب . ولكن مظاهر هذا القلق وتلك الحيرة لم تكن قط من القوة ورد الفعل بقدر ما حصل في القرن العشرين . فما أن وضعت الحرب العالمية اوزارها حتى طغت المادة شيئا فشيئا بشكل لم يشهد له مثيل في تاريخ الحضارات الانسانية الغابرة . وتغلبت المادة على الروح في كل مظاهـــر الحياة والعلاقات الانسانية . ومن ذكر الروح في هذا العصر فهو يتجه تبعا الى العقيدة والدين . وامام مادية المذاهب الحديثة وتفرغها الكلي لتغطية حاجات الانسان الاساسية في هذه الحياة ، ثم ارتباط الانسان بالالة الذي يزداد يوما عن يوم ، فان العقيدة الدينية لم تخضع لتطور يذكر في اسلوب تحبيبها الى الجماهير ولا سيما جمهور الشباب الذي يتلمس الحقائق قبـــل الاقوال ، ويصطدم بالاغراءات فيما يقراه او يسمعه . فالمذاهب الاشتراكية وعامة المذاهب الحديثة ، تقدم نفسها باكثر ما يمكن من الضبط والدقة ، والدين ما زال يقدم نصوصا فحسب ، دون أن يتم تقويم شامـــل لمناهج بحثه واثباته والصعوبات التي تعترض سبيله ، ومع ذلك فكثير من الضلالات والانحرافات نشـــأت باسم الدين وعلى يد المنتسبين اليه في مستويات مختلفة ، وعبر التاريخ الطويل . غير أن الاســـلام اذا كان ينهض من كبوته بعد كل ما عاناه ولا يزال من حرب عوان يجابهها ممن ينتمون اليه اكثر مـــن غيرهم فهو كعقيدة ومذهب للحياة ، بحاجة ماسة الى عناية جذرية تتناول دراسة واضحة ومجمعا عليها اكثر ما يمكن ، لخطوطه وغاياته ، وتخطيطا عقيديا ومركزا لاقتصاده ، وتقويما لموقفه ازاء التطورات الحديثـــة ، واعدادا دقيقا لمستقبله واتجاهه . واذا كان الاسلام يصلح لكل زمان ومكان فليتحرك اهله لعمل جـــاد وتخطيط محكم يخدم المسلمين حاضرا ومســـتقبلا ، دون أن يتملصوا من دورهم في خدمة الانسانية عامة .

ان تساؤلات كثيرة يضعها الشباب وعدد مـــن المثقفين بشأن مسائل تتعلق بالعقيدة والدين ، واذا لم تكن الفصول التالية او بعضها اجابة حاسمة عن هذه المسائل ، فلتكن على الاقل ، مجرد اسهام فـــي توضيحها من خلال ابراز وجوه الانحراف العقائدي ومظاهره وعوامله ، وذلك بعد عرض اسباب ومظاهر تحريف التاريـــخ .

الفصـــل الاول
اسبـــاب تحريف التاريخ

**

تنحصر اسباب تحريف التاريخ فيما يلـــي :

1 — دوافع دينيـــة .
2 — دوافع عنصرية او سلاليـــة .
3 — جهل الحقائق كلا او بعضـــا .
4 — ارضاء ميول شخصية او سياسية .

الدوافـــع الدينيـــة :

عندما تقدمت البشرية في مدارج حضاراتها الاولى اصبحت الصراعات منذ ظهور الديانات السماوية الاولى تتخذ اتجاها عقائديا ، فان كلا من هذه الديانات جـــاء برسالة قد تختلف شكلا وهدفا فيما بينها ، وينصرف الذهن هنا قبل كل شيء الى الصراع بين اليهودية والمسيحية ، دون استثناء بعض الديانات التي ظهرت في الفرس كالزرادشتية . فان الاضطهاد الذي شهده اليهود على يد الرومان خلال القرن الاول لظهـــور المسيحية وما بعده انما هو صراع بين مجتمعـــين اختلفت شريعتيهما وشعائرهما . فالطلاق مثلا ، حرمته المسيحية الاولى واجازته الديانة الموسوية بشـــروط متشددة . والربا مباح في الشريعة الموسوية محـــرم في المسيحية ثم في الاسلام . والقسم الاكبر من الطوائف المسيحية وهم الكاثوليك آمنوا بالتثليث ، والموسويـــة ديانة توحيد . وهكذا فان حركة الاضطهاد التي نشأت ضد اليهود منذ فجر المسيحية انما كان منطلقها ان تعاليم الديانتين تختلفان غالبا في أمور اساسية . وقد بدأت هذه الحركة داخل فلسطين على يد حكام الرومان ولكن اليهود هم الذين اذكوا نارها لانهم وقفوا بشـــدة في وجه المسيحيين الاوائل الذين كانوا من بين اليهود وعلى راسهم عيسى عليه السلام . وفي عهد نيرون الذي تولى الحكم سنة 54 م قام اليهود بثورة عارمة ضد الرومان في فلسطين فخرب نيرون بيت المقدس وتشرد

اليهود عبر انحاء العالم (3) . بينما امتد الاضطهاد الى عهد الامبراطور سانيام سيفير (4) .

لكن الدراسات التاريخية الاسرائيلية تغفل موقف بنى اسرائيل من اخوانهم الذين اعتنقوا المسيحية . ثم هى تنظر نظرة سلبية الى مجموع اباطرة ورؤساء الدولة الرومانية بوصفهم اشتركوا جميعا او يكادون فى اضطهاد اليهود .

وقد ارتأى سيمون دوبنوف ان الامبراطور جوليان المرتد الذي كان خصيما للنصارى عمل وحده بين سائر الاباطرة الرومان على تحسين وضعية اليهود حتى هم باعادة بناء هيكل سليمان (5) .

ومنذ قرن تقريبا وضع المجتمع الدينى تحديدا لاركان الديانة الموسوية كعقيدة لتكون فى متناول الشعبية اليهودية (6) . وكان من بين هذه الاركان :

1 — ان موسى عليه السلام أعظم الانبياء قاطبة .
2 — ان الشريعة الموسوية مكتوبة ومروية ، هى بذاتها التى نزلت على موسى وان الله لن يغيرها ابدا .

واذا كان الاسرائيليون يرون فى موسى اعظم الانبياء ، فليس لغيرهم أن يلومهم على ذلك ، لان اعتقادهم فى موسى جزء من دينهم . اما بالنسبة لاعتبار الشريعة الموسوية مستقاة من التوراة اساسا فانما يهمنا هنا الجانب التاريخى لا العقائدي . فالتوراة المتعارفة تتضمن قصصا للانبياء تعالج احداثا اقربها لا يتجاوز 330 سنة قبل ظهور المسيح عليه السلام . وبين عيسى وموسى قرون كثيرة باعتراف بنى اسرائيل انفسهم ، وهناك اجزاء من التوراة لا تتعدى عشرة قرون قبل الميلاد تعتبر فى حكم المفقودة (7) . ومن اجل ذلك فلا ريب ان قسما كبيرا من التوراة على الاقل لا يعود الى عهد موسى بل الى ما بعده فى احقاب متفاوتة . وكل هذا بقطع النظر عن كون الديانة الموسوية قد خضعت لتعدد النحل والمذاهب ، كما هو الشأن فى اي دين آخر يوازيها او يتجاوزها انتشارا وتعدد بيئات ومجتمعات . وقد تحدث القرآن فيما بعد ، وغيرما مرة عن تحريف التوراة بقصد لفت نظر بنى اسرائيل الى ما يمس دينهم ومصيرهم .

ويهم كل عربى ومسلم ان يعرف ما يقوله مؤرخو اليهود عن العرب والاسلام . ونكتفى فى معرض تحريف التاريخ لدوافع دينية ببعض ما قاله سيمون دوبنوف عن رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم وموقفه من اليهود ، علما بأن بين كتاب اليهود ومؤرخيهم من يكتبون بروح اكثر تجردا .

قال المؤرخ المذكور (8) :

« . . . وهكذا فان الافكار الدينية والاساطير اليهودية قد انتشرت بين العرب وهيأتهم للدين الجديد دين الاسلام الذي اقامه نبيهم محمد . ولقد كانت روح انبياء اليهود التى تمثل نموذجا للسلام والعدل الاجتماعى بعيدة بعدا مطلقا عن النبى العربى (؟ !) . . . فكل العرب . كان محاربا يدعو الى نشر العقيدة الجديدة بحد السيف ، ولكنه تأثر تأثرا عميقا بابطال التوراة : ابراهيم وموسى وآخرين ، فعرف تفاهة عبادة الاصنام . وكانت عبارة « لا اله الا الله » الفكرة الاساسية للدين الجديد .

كان محمد يعتقد أن موسى والمسيح نبيان أيضا ، ولكنه بعث رسولا من الله ليبشر العالم بدين افضل هو الاسلام ، ويجعل من البشر جميعا مسلمين وانصارا للعقيدة الصحيحة . وحاول محمد أن يقنع اليهود وهم اهل الكتاب بروعة دينه الجديد ، ولكنهم عندما رفضوا الانصياع اليه أعلن الجهاد ضدهم ، كما شن الحرب على العرب الذين لم يعتنقوا الدين الجديد . وبعد أن تغلب على جيش قوي ليؤلاء يضواحى مكة مستطردا رأسه انقلب ضد اليهود . وفى المدينة حاصر محمد وانصاره الحصن الذي اعتصم به اليهود من قبيلة قينقاع . وبعد معركة دموية طردهم منه ، كما قتل يهودا من قبائل اخرى خلال جهاده هذا واسترق الباقين على قيد الحياة ، واقتيدت اسيرات الى حريمه (دار معدة للنساء (1)) ، فحاولت احداهن ، وهى زينب الجميلة ان تسمم محمدا فى طبق لحم ، ولكن محمدا تفيأ السم فبرىء ، وعندما سألها عن صنيعها هذا اجابته : لقد آذيت قومى ايما ايذاء ، فظننت انك لو لم تكن سوى قائد جيش لخلصت قومى بقتلك ، وانك اذا كنت نبيا حقا ، فان الله سيوحى اليك بما عزمت عليه فتبقى حيا . فتقتل محمد على الغور البطلة اليهودية » .

ويتابع سيمون دوبنوف تحريفه قائلا :

« ان جهاد اليهود يقصه بتفصيل رائع ، الكتاب المقدس عند المسلمين ، القرآن

... وبعد موت محمد ، استمر وطيس دعوته يحرق سائر القارة الاسيوية ، ودعوته هى : جاهدوا وانشروا الاسلام بحد السيف بين الشعوب كلها

وكان خلفاء محمد ، محاربين ضاريين ، اتخذوا من التعصب الدينى للعرب المسلمين مطية تقودهم الى حروب فتاكة ضد الكفار . وفى امد قليل ، استولوا على كل البلاد التى تشملها الامبراطوريتان الشرقيتان الكبيرتان : فارس وبيزنطة ، وخلعوا كل الملوك عن عروشهم ، واستبدلوهم بعمال عرب . وفتح عمر بلاد بابل وفلسطين ومصر . وفى القدس تسلق عمر جبل بيت المقدس ، حيث شيد الهيكل قديما ، فشاهد خرائب وتفايات زبل ، فأمر بتنظيف المنطقة ، وبنى مكان الهيكل جامعا اسلاميا هو المسجد الاقصى او مسجد عمر الذي لا يزال قائما حتى اليوم فوق حائط الهيكل » .

ان الذي لم يطلع على حقائق التاريخ العربى والاسلامى ولا على الطريقة التى انتشرت بها الديانات السماوية عموما سيقبل كل ما جاء فى هذه الفقرات كقضايا مسلمة او احداث وقعت فعلا كما رويت هنا . ومن اجل ذلك لابد من توضيح عدة نقط بعضها لم يقع تصحيحه قط ، طبقا لمنطق العقيدة والتاريخ :

اولا : الديانات السماوية يصحح بعضها بعضا . ودون التطويل فى السمات الخاصة بكل منها فان الموسوية لم تقم بدعوة تذكر خارج منطلقها مصر وفلسطين ، وتمسكت بأن العبرانيين هم شعب الله المختار كما ترددة التوراة اكثر من مرة ، ووضعت قيودا فى الاعياد والاطعمة والعادات . أما المسيحية فانطلقت كدين تسامح ، فى فترة طغى فيها الحكم الرومانى ، واعتبر كل الشعوب خارج روما فى حالة استرقاق او نصف مواطنة . وقليل اولئك الذين حظوا خارج روما بما حظى به اهلها من امتيازات . وهكذا نزلت المسيحية الاصلية كدين تسامح ، فصححت فكرة الشعب المختار وخففت من جهة اخرى كثيرا من القيود التى نصت عليها الموسوية ، محتفظة فى نفس الوقت ببعض الافكار والعقائد التى عرفت فى هذه الديانة ، والتى يعود كثير منها الى ما قبل الموسوية ، فاليعث والحساب يوم القيامة مثلا ، عرفته الديانة المصرية القديمة ، وان اختلفت تصويرها فى ذلك عن تعاليم الديانات ، وهكذا وضعت المسيحية فى عقيدتها حدا للعنصرية العبرانية ، الا أن الانجيل وتعاليم الحواريين لم تقم بوضع نظام اجتماعى متكامل ، ولا تدخلت بشكل دقيق فى التوجيه الاقتصادي او السياسى للجماعة (9) . ومن جهة أخرى فان نشأة فكرة التثليث وفكرة البابوية ، وكلتاهما فى وقت متأخر جدا عن ظهور المسيح ، كان من شأنهما تغيير جذري للعقيدة المسيحية الاصلية ، ومن غير شك ، فان المسيحية قامت بجهد كبير فى تحقيق التقارب بين الشعوب اكثر مما كان الشأن قبل ظهورها . ولكن بعد التفوق واستغلال الشعوب المستضعفة من غير تزويدها بمقابل يذكر ، ظل يسيطر على الحكام البيزنطيين فى أغلب الاحيان ، فكان نزول الاسلام تصحيحا للعيوب وتقويما للثغرات التى نجمت عن ممارسة ديانتين لم تحققا الكثير مما كان ينتظر منهما بسبب انحراف الذين عملوا على مصائرهما فضلا عن صعوبة تطبيق بعض مبادئهما مع تطور الزمن والامم . ومن ثم فالاسلام احتفظ ببعض المبادىء المسلمة حتى قبل الموسوية كالايمان بالملائكة واليوم الاخر ، كما لا يضيره ان يأخذ الاحتفال بعاشوراء عن اليهود مثلا فهو فى جملته يختلف اختلافا كبيرا عن سائر الديانات فى مناهج الحياة وحتى فى كل الشعائر (الصوم ، الصلاة ، الحج ، الزكاة ، الزواج ، الطلاق ، الملكية ، الارث ، استغلال الارض الخ ...)

اما ان افكار اليهود هيأت العرب للاسلام فلم لا يقال بكيفية اقرب الى المنطق ان الافكار المسيحية هى التى كان لها هذا الفضل ؟ فالنصارى كانوا موجودين فى بادية الشام كما كانوا فى اليمن والحجاز . وما اشعار امية بن ابى الصلت والنابغة الذبيانى والاعشى ، وكذا خطب قس بن ساعدة وتكهنات ورقة بن نوفل وبقايا شعائر ابراهيم عليه السلام الا امثلة لبعض الجوانب التى اسهمت فى تقبل مجادىء الدين الجديد .

ثانيا : انتشار الاسلام بحد السيف ، فكرة تسيطر حتى الان ، وعلى نطاق واسع فى اوساط الشباب المنتمى الى التقدمية فى العالم الاسلامى . بل ان خصوم الاسلام يلتجئون عن هذه الفكرة تأويلات بل تعليلات غامضة وغير مقنعة ؛ ومعظم الدراسات الاجنبية تروجها باعتبار أن فى القرآن آيات صريحة بشأن الجهاد : « يا أيها النبىء جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ... » . « وجاهدوا فى الله حق جهاده ، ولا تموتن الا وانتم مسلمون » .

ولابد قبل كل شىء ، من التفريق بين فئتين رئيسيتين من غير المسلمين :

1 — اهـــل الكتـــاب .

2 — الوثنيـــون والذين لا دين لهـــم .

اما اهل الكتاب فيخيرهم الاسلام بين ثلاثـــة :

اعتناق الاسلام ، او دفع الجزية التي تقابل الزكـــاة بالنسبة للمسلمين ، او الحرب في حالة رفضهم لاحـــد العرضـــين .

وعندما نزل الاسلام وطرد الرسول من مكة مع المؤمنين به ، ومكة بلد يضم الكعبة والبيت الحرام ، ولهما شان في الدين الجديد ، كان افتتاحه في النهاية ردا طبيعيا على تصرف المشركين ازاء الرسول وقومه وفوق ذلك ، كان الفتح سلميا بمعنى الكلمة . امـــا الغزوات داخل شبه الجزيرة ،، فكلها تقريبا داخلة في هذا النطاق ، وكانت غزوة بدر بدافع الحصار الاقتصادي لقريش ، وقد توالت عشرات الوفود على الرسول صلى الله عليه وسلم تعلن اسلامها تلقائيا، من البحرين واليمن وحضرموت وغيرها من اجزاء شبه جزيـــرة العرب . وفي الشمال يوجد الشام والعـــراق ، وفي كليهما اكثرية عربية واجانب يحكمونهما وهم الـــروم والفرس . ويقاؤهم خطر كبير على مستقبل العـــرب والاسلام ، فكان من حكمة الرسول عليه السلام ان دعا حكام الروم والفرس الى الاسلام حتى يتجنـــب استرجاع الارض العربية بالقوة ويعمل على نشـــر ثم تبقى الفكرة بعده ، الخلفاء الراشدون ، وهذا هـــو الاسلام سلما عن طريق هؤلاء الحكام . وحيث انهـــم رفضوا ذلك ، تعد هيا جيشا لقتال الروم قبل وفاته ، السر في ان الجيوش العربية تتبعت البيزنطيين في مصر ثم في باقي اجزاء المغرب بلدا بلدا ، كما انعطفت على الفرس في العراق ثم في ايران ، ومن جهة اخرى ، فان الحملات الاولى اقتصرت على البزنطيين دون غيرهم. اما في المرحلة الثانية فتوجيهت الى مجموع العناصـــر الوثنية ، في الوقت الذي احتفظ فيه اهل الكتاب بدينهم مقابل اداء الجزية ، ما لم يدخلوا طواعية في الاســـلام ، ومن اجل ذلك ، بقي عدد كبير من النصارى بالشام ومصر ، كما بقي عدد كبير من اليهود بالشمال الافريقي ووجد ادريس الاول بقايا النصرانية بين البربر بشمال المغرب بعد مرور ما يناهز قرنا وربما على الحمـــلات الاسلامية الاولى ، وفتحت الاندلس بتدبير من يليان الغماري واسرة غيطشة . كما كان لزعماء البربر من قبل يد في استقدام العرب لفتح المغرب .

واما في الاقطار الزنجية الافريقية، فالاسلام انتشر في جل الحالات عن طريق التجار المسلمين ثم عن طريق الزوايا ، وكذلك الشان في جل الاقطار الاسيويـــة كاندونيسيا والصين والفيليبين .

وبالنسبة للوثنيين فالاسلام يخيرهم بين الاسلام والحرب ، اي الدخول بقوة في الدين الجديد ، وهذا هو الاطار الذي يمكن لخصوم الاسلام ان يتحاملوا فيه على الاســـلام ، اذا لم يميزوا بين وقائع التاريخ وخصائص الدين الجديد ، ان محاربة الوثنية انطلقت قبل كل شـــيء من شبه جزيرة العرب ، حيث كان ينتشر الشـــرك وعبادة الاصنام والاوثان على اختلافها . ولا ريب ان الاسلام راى في عبادة الاحجار والظواهر الطبيعيـــة والايمان بالسحر والكهانة اشياء يصبح العقل البشري معها متحجرا لا يمكن ان يتقبل اي تطور في حياتـــه الاجتماعية والاقتصادية بالتعلق بها . ذلك ان تطـــور الانسان الاجتماعي والاقتصادي يلتصق بالعقيـــدة في الاسلام ، اكثر مما يرتبط بها في غيره ، ولكنه يعترف مع ذلك بمكانة اليهودية والمسيحية ، طالما كان من شان اي دين سماوي ان يبعد الشخصية البشرية عـــن الشعوذة والتعلق بما لا ينفع اذا لم يضر . فالحرب ضد الوثنية هي حرب تنطلق من مبدا ثورية الاســـلام ضد الكهان والمشعوذين والقادة المتحمسين للوثنيـــة اكثر مما هي حرب ضد من يستغلهم هؤلاء واولئك ، لان الكهان والمشعوذين والوسطاء يفقدون بالاسلام مواردهم ونفوذهم ، وهم انما يبتزون الاموال مـــن الضعفاء . ولكل ثورة في العالم ذات هدف واشعاع ، ضحايا قل عددهم او كثر . ولقد خاضت الكاهنة داهية او (دامية) الزناتية حربا ضروسا ضد العـــرب الفاتحين للمغرب ، ولكنها وهي تحتضر ، دعت ولديها الى الاسلام وتقبل الدعوة الجديدة ، فمصالح مـــن كانت تدافع عنها هذه الكاهنة من قبل ؟

ومن يستطيع ان يزعم ان قيام الانظمة الاشتراكية الحديثة كانظمة حكم واقتصاد لم يخلف ضحايا امـــا بالاغتيال او الاعدام او الاعتقال ؟ ... وهذا بالطبع لاينزع عن الانظمة المذكورة طابع التقدمية والاصلاح مـــا نهضت اساسا على خدمة مصالح الجماعة ، بقطـــع النظر عن رؤيتها الى الجانب الروحي من سلـــوك الانسان .

اما الحرب التي شنت ضد الوثنية وكان اللجوء فيها الى القتل والتعذيب بصورة جماعية ، فان اكبر نموذج لها هو حرب المسيحيين وبعض الاباطرة الرومان

ضد الوثنيين ، والتى بلغ امتدادها الزمنى عدة اجيال (10) ؟ أو ليست هذه الحرب من بين اخريات ، مما يشهد بأن المسيحية انتشرت بالقوة مع انها أسست على التسامح أصلا ؟

ثالثا : فيما يرجع الى موقف النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود فهو ينبنى على موقف هؤلاء من الاسلام :

— بنو قينقاع من يهود المدينة ، وادعهم النبى عند قدومه اليها ، وعاهدهم ، فكانوا اول من جاهر بالعداوة ونقضوا العهد بتحرشهم بالمسلمين والاستخفاف بهم . فحاصروهم الرسول وكاد يقتهم بعد وقوعهم فى يده ، فتدخل للعفو عنهم عبد الله بن ابى ، فعفا عنهم الرسول (11) وأجلاهم عن المدينة (12) .

— بنو النضير وهم فريق من يهود المدينة ، استعان بهم الرسول فى دية رجلين فهموا بالقاء رحى عليه (13) .

— بنو قريظة ساهموا بأموالهم وانفسهم فى الحرب ضد الرسول والمسلمين فى غزوة الاحزاب (الخندق) (14) ؛ بل كانوا هم المنظمين لاجراءات هذه الحرب (15) والمحرضين لقريش وغيرهم من القبائل . وبسببها عمل الرسول ثم الخليفة عمر فيما بعد ، على اجلاء اليهود تدريجيا عن الحجاز .

اما قتل الرسول لزينب بنت الحارث ، فالرواية الاسلامية تنكره وتقول ان هذه المراة قدمت شاة او كراع شاة مسموما الى الرسول ، فأخذ منه مضغة فلم يسغها وكان معه بشر بن البراء ، فأكل من الشاة فمات ثم كان ما دار من حوار بين الرسول والمراة بشأن السم فتجاوز عنها (16) .

ولقد تتخذ الدوافع الدينية فى تحريف التاريخ صورا شتى ، كتهويل احداث الحروب ونتائجها والتقليل من شأن انتصارات العدو وتضخيم اعداد جيوشه وسلاحه ، ويجعل من الهزائم والحالة هذه مجرد مقادير . وقد يتخذ من شجاعة المتدينين عامل حاسم فى النصر ، ومن ثم يرتبط تسجيل احداث عسكرية بتحريك الشعور الدينى ، ويتقمص المؤرخ فى هذه الحال دور المساهم فى هذه الاحداث التى يندمج فيها بعاطفته ، فينزلق نحو التحريف وتغطية الحقائق ، ويسدل حجابا كثيفا من الظروف والملابسات والعلل .

الدوافع العنصرية والسلالية :

ان تسجيل التاريخ وتفسير احداثه وتطوراته كثيرا ما ينزلق نحو تفسير ضيق للاحداث وتبريراتها من حيث ان المؤرخ يغامر فى هذه العملية وهو يتهيأ مقدما للدفاع عن قضايا عنصرية او سلالية ، اما لكونه ينتمى مباشرة الى الطرف الذي هو موضع دراسته وبحثه ، أو لمجرد ايمان مبدئى بحق هذا الطرف على طول الخط . ولذلك ، فمن واجب المؤرخ ان يعيد تركيب الاحداث خصوصا بمقابلته بين تفسيرات الخصوم والانصار . ولنفترض اننا بصدد دراسة مركزة لتاريخ الوندال ... ان هذا الشعب الجرمانى لم يكتب تاريخه ابناؤه وانصاره ، فقد كتبه خصومه الذين محقوا وجوده السياسى وهم البيزنطيون خاصة ، وحيث اننا امام تاريخ مدون من طرف واحد يصور الشعب الوندالى بطريقة منهجية ، كمجتمع متوحش، عمل على تحضيره بعض الشىء ، اولئك القوم المغلوبون على يده ، والذين عاشوا فى كنفه بالشمال الافريقى وهم الرومان ، فلا بد ان نأخذ حذرنا فيما يرجع الى الجوانب السلبية التى يعزوها التاريخ الى هذا الشعب ، على الرغم من انه لم يخلف عمليا ، حضارة قوية الاثر ، لاسيما مع قصر امد نفوذه السياسى .

واعتاد التاريخ الاسبانى أن يمر مرا خفيفا سريعا على فترة الحكم العربى بالاندلس ، والتى لا تصور فى جل الاحيان الا كفترة صراع بين مجتمعين يختلفان جنسا ودينا ، ومن ثم يختلط الدافع العنصري بالدينى ، خصوصا فى الكتابات التاريخية القديمة . ومن عهد قريب فقط ، بدأت النظرة الاسبانية نحو فترة الحكم العربى الذي استغرق ثمانية قرون تتغير لتصبح اكثر موضوعية ، ذلك ان الصراع بين العرب والاسبان كان على نفس الارض مدى هذه الحقبة . وهكذا يتبنى كتاب الاسبان العديد من مفكري الاسلام بالاندلس .

ان آراء النازيين عن الساميين عموما ، والعنصر العبرانى على الخصوص هى قبل كل شىء ، نظرة تفوق وازدراء ، ولكن فى الوقت الذي كان النازيون فيه ينظرون الى الجنس الجرمانى على انه انقى الاجناس واصفاها ، فضلا عن انهم يعدون العامل العرقى مؤثرا اساسيا فى التفوق الحضاري (وهذا ما يطابق نظرية مس سمبل) ، كان العبرانيون (والاصح نقول الآن الاسرائيليون) يؤمنون بفكرة الشعب الذي اختاره الله (17) ولنتصور ما يمكن ان يحدث من اختلاف بعيد

فى طريقة تدوين تاريخ على يد مثقف متعصب للاسرائيليين ، وآخر دون عن نفس القوم على يد مؤرخ نازي ، ان امانة العلم تقتضى مقابلة النظريتين، والاتجاه اكثر ما يمكن الى الاصول الصحيحة للتاريخ، ولتكن هذه الاصول وثائق وسجلات وتفصيلات دونت على يد طرف اجنبى ، او اي وسيلة علمية تضع الحقيقة فى نصابها .

لقد كانت الصراعات الطبقية الاولى صراعات عشائر ثم قبائل ، ومختلف مصدرها من احداث فردية الى نضال من اجل الارض والكلأ والماء ، ثم تجمعت القبائل فى قوميات تعود الى نفس العنصر او الجد . وهذا شأن القومية التتارية والتركية والعربية وعشرات غيرها ، فهى تجمعها وحدة الاصل اللغوي والجنسى ووحدة التراب الذي تعيش عليه ، وكلما صغر الحجم الطبقى كلما التقت مصالح المجموعة ولكنها تضيع بالمقابل فى الاستفادة من المصالح المتعددة التى تضمنها وحدة وثيقة : الحماية والامن والتكافل الاجتماعى والاقتصادي والفكري وقوة التحدي للاخطار الخارجية

ولكل قومية فى التاريخ مبررات وجود .. ولا توجد الا قوميات قليلة جدا فى التاريخ نبتت على نفس الارض وظلت فيها آلاف السنين ، وتقدم مصر الفراعنة التى خلفت سمات عميقة فى الشعب المصري حتى الآن نموذجا حيا للقوميات الضاربة فى القدم ، بالرغم من التطورات الطارئة فى التاريخ .

وجل القوميات الكبرى تنقلت فى هجرات اقتصادية او سياسية او دينية من منابتها الى ارض استقبال اخرى . وهكذا فان البربر انطلقوا من الشام واليمن لاسباب اقتصادية على الارجح ، ليستقروا بافريقيا الشمالية والغربية ، متحركين فى هجرات لاحقة داخل هذا المحور الجغرافى الذي يمتد الى النوبة شرقا كذلك .

والتتار من شعوب منغوليا بآسيا الوسطى تحركوا لنفس السبب المذكور خلال العصر الوسيط فى هجمات ضارية نحو الصين وعدد من اقطار الشرق الاوسط وغيرها . والعمل من اجل الحفاظ على وجودهم حولهم الى كتلة سياسية بدا تمزقها عسكريا على يد المماليك فى مصر . غير ان التاريخ الاسلامى لا ينفك يعزو خراب الحضارة الاسلامية الى التتار وحدهم ، وذلك بعد دخولهم الى بغداد سنة 656 هـ ولا يلتفت الى الاسباب الداخلية من تدهور فى الحكم وصراعات بين المذاهب وغياب للوعى السياسى فى القاعدة والسلطة وما تصرفات العلقمى وما تلاها من شطط التتار الا آخر حلقة من سلسلة طويلة من المساوىء التى تكشفت عنها تغيير مفاهيم المسؤولية ووجود عناصر تتجاهل مصالح الامة او تعمل ضدها . ومع ذلك ، فان التفسير الطبيعى لهجمة التتار يتعين قبل كل شىء ان ينطلق من مفهومه الاقتصادي . اما بالنسبة للشعوب العربية والاسلامية التى كانت ضحية لها فان الامر لا يختلف فى كثير عن المصير الذي شهدته القسطنطينية بعد قرنين اذ بينما كان محمد الفاتح يهاجم بمدفعيته الحصون الامامية لهذا البلد ، كان رجال الدين والمسؤولون يتجادلون جدالا عنيفا بشأن جزئيات دينية تافهة . ولو كان هناك تجاوب حقيقى بين الحاكمين والمحكومين فى العراق على الاقل لكان التحدي للمهاجمين فى مستوى عنفهم . ومن اجل ذلك ، يجب البحث عن الاسباب العميقة والواضحة معا ، لانهيار حضارة ما ، فى الاسباب الداخلية اولا وقبل كل شىء ، اما الاسباب الخارجية ، فلا تكون بوجه عام الا نتيجة لهذه .

ان الاختلاف العرقى لطرفين متنازعين قد يؤدي الى تصور خاطىء من احدهما لسلوك الطرف الآخر . وهذا حال التاريخ العربى فى مجمله عندما يعالج الحكم التركي للدول العربية والاسلامية . فالاتراك مسؤولون حقا وبقدر ، عن اسهامهم فى سلسلة المساوىء التى ادت الى تدخل التتار فى الشرق الاوسط ، لكن ، من قاد الاتراك الى الحكم فى قلب البلاد العربية ؟ الم يستقدمهم ملك عربى وهو المعتصم لان امه منهم ؟ ولماذا اقصى الفرس عن مساعدة السلطة العربية وقد ابانوا عن عقلية واسعة التفتح على الحضارة الاسلامية والتعامل مع هذه السلطة ؟

واساء العثمانيون التصرف فى بعض بلاد الشرق الاوسط ، خصوصا مصر والشام ، ولكنهم بالمقابل انقذوا ليبيا وتونس والجزائر من خطر الاستعمار الاسبانى ، ووقفوا سدا منيعا دون تحرك الاساطيل الاستعمارية على طول الشواطىء العربية ، وعندما خرت قواهم تجاه الغزو الاستعماري سقطت فلسطين طعمة سائغة فى يد الصهيونية .

ثم ان خطأ التاريخ العربى ان يخلط بين العثمانيين كدولة حاكمة ، وبين الشعب التركى الذي تشبث بالاسلام وروح الاخوة الاسلامية بشكل تؤكده احداث التاريخ نفسها . وباعتبار ان القومية العربية هى ايضا قومية اسلامية فى مجملها فان المنطق يقتضى ان ينظر

الى اخطاء الحكم التركى ليس فى حد ذاتها فحسب ، بل ايضا ، كجزء من اخطاء رجال الحكم الاسلامى عامة ، لانهم جميعا استندوا الى نفس المصادر وكانت لهم نفس التقديرات الخاطئة عن مفهوم السلطة ومدى دور القاعدة فى الاستفادة من العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

كذلك سيكون من الصعب أن يسمح التاريخ العربى بالتغاضى عن الموقف الذي وقفته تركيا الحديثة من حيث اعترافها باسرائيل ومبادرتها الى ذلك فى وقت شرد فيه من فلسطين مليون عربى ، غير أن هذا التدبير اتخذ على يد بقايا الجماعة الكمالية التى دخلت الآن فى ذمة التاريخ . وقد تجاهلت هذه الجماعة أن هناك مزارات وأماكن مقدسة فى هذه الارض لدى المسلمين قاطبة ، ولا تفتأ تشيد عيش السلطة العسكرية .

على أن السلالية لم تلعب فى التاريخ الداخلى للشعوب ما لعبته من دور فى تاريخ الامة العربية ، فان مشكل هذه الامة فى ظل الاسلام لم ينطلق بداءة من الانحراف الديني ولا من السياسة الاقتصادية ، وانما انطلق من عدم اتباع الخليفة عثمان للسياسة الحكيمة والصارمة لسلفه عمر ، من حيث ابعاد اقرب الناس اليه عن مناصب المسؤولية ، بينما كان لاسرة بنى امية حظ الاسد فى هذه المناصب أيام عثمان . وذلك فتح الباب على مصراعيه لمطالب على والشيعة فى الحكم. ثم عمد بنو امية الى الاستيلاء على السلطة لينشؤوا نظاما جديدا وضع العصبية العربية فى اعلى سلم الارستوقراطية ، وبدد جلهم اموال الامة يمينا وشمالا لاسكات اكبر عدد ممكن من الزعامات العربية الطامحة بدورها الى الثراء والسلطة . واستعرت نار العصبيات الضيقة تكشف عن نزعات دفينة لم يتمكن الدين الجديد مع دعوته الملحة الى الوحدة والتعاون من اخمادها نارها . وجنح بعض الخلفاء الى مؤازرة القيسية ، وآخرون الى التعصب لليمانية ، بينما كانت سيوفهم تلاحق العلويين ، وتواجه بضراوة نضال الخوارج الذين مثلوا باصرار فى اسلوب حكمهم ديموقراطية المجتمع الريفى البدوى على الرغم مما عرف من تطرف عقائدي لدى عدد من فرقهم .

وقام كثير من القادة الامويين الذين تناسلوا من قوم كان لهم فى التجارة والكسب صيت جعلوا به على مقاليد السياسة بمكة عند ظهور الاسلام بجعل الفتوح سبيلا الى تضخيم ثرواتهم الشخصية ، وساق بعض الولاة اليهم عشرات الالوف من السبى دون أن يعباوا بمصير الشعوب الغاضبة والمتهيئة للثورة ، ولا بتطبيق تعاليم الاسلام فى هذه الفتوح . كذلك فان النعرات القبلية والزعامات الاثنية العديدة التى عرفها تاريخ الحكم الاسلامى بالاندلس كافة ، انما كانت عيدة اذكائها وترسيخ آثارها على الحكم الاموي الشرقى

واذا كان علم الثورة الذي رفعه الخوارج والشيعة والبربر تعبيرا واضحا عن فشل السياسة الاموية ، فان العهد الاموي لم يخل على اية حال من منجزات ذات اثر عميق فى التاريخ العربى . ويعد تعريب الادارة واعادة تنظيم مرافقها وانشاء الاسطول وتنشيط حركة التبادل الاقتصادي ، والتمهيد لنهضة فكرية بناءة ، من ابرز المظاهر الايجابية لنشاط السلطة الاموية .

لكن العنصرية والسلالية لم ينتهيا بنهاية العصر الوسيط وظهور عصر الاكتشافات ، فان الصراع العليقى من هذا النوع تلهبه عزلة المحيط الجغرافى وسياسة التمييز فى الادارة المركزية والاقليمية ، وهكذا فعلى ابواب القرن الحادي والعشرين تبلغ النزعة الاستقلالية حدا ينذر بالانفجار كما فى الباسك وتطلونيا وقد تخبو جذوته امدا لتلتهب بعد حين كما فى كورسيكا . ولا جرم ان للعوامل الاقتصادية واللغوية اثرا واضحا كذلك فى عدم حلها لمشكلات الباسك وتطلونيا بسبب دكتاتورية الاربعين سنة ، التى شهدتها فى عهد فرانكو ، مع ما تركته من تركة معقدة ، فسيكون من العسير أن تواصل الطبقية الاجتماعية والاقتصادية طابعها التمييزي فى بلد عريق فى الديموقراطية الداخلية كفرنسا

ومهما يكن من امر ، فلا يمكن الاستهانة بالطابع العنصري للتطور الاجتماعى والسياسى والاقتصادي كعامل سلبى يخنق حركة الجماهير فى الوطن الواحد ، ويجسم سيطرة الاوليغارشية فى اشنع سماتها ، لكن لا جدال فى ان النظام العشائري بما يتضمنه من مظاهر التعاون والعمل الجماعى فى أضيق نطاقاته البشرية، لم يكن هناك من بديل عنه فى بعض اطوار التاريخ ، وفى ظل الانظمة الرعوية .

ومن واجب التاريخ أن لا يحكم حكما قاطعا على القوميات مهما صغرت الا من حيث الظروف التى اتيحت لها فى الانجاب والاخصاب الحضاري ، فان الشعوب التى تسلط عليها القهر والحرمان باستمرار ، كان يمكن

ان يكون عطاؤها اكثر ، لولا صراعات التفوق التي واجهتها .

ان صحراء سيبيريا ظلت قرونا مقاطعة شبه خالية الا من اقوام قلائل يعيشون على الصيد في بعض اطرافها ، وسكانها اليوم في درجة من الحضارة تماثل مستوى حضارة اية جهة راقية اخرى من العالم ، وقد اندمجوا في المجموعات التي تواندت من سائر انحاء الاتحاد السوفياتي لان الظروف التي اتيحت لهم الان لم تكن متاحة من قبل ؛ ولقد كانت اليابان بلدا منسيا او شبه منسي يعيش على تراث الماضي ويجتاز مرحلة تخلف حضاري مذهل حتى اوائل القرن العشرين . فاذا هذا الشعب الدؤوب يحتل منذ نصف قرن درجة متقدمة من الحضارة ويصدر منتجاته المتقنة الى اغنى بلاد العالم واقواها .

ان الفرصة قد اتيحت لدول افريقية كثيرة ظلت بعض مجتمعاتها الى عهد قريب تعيش عيشة ما قبل التاريخ ، وكانت عقدة البيض الاستعماريين تحكم على هذه الشعوب حكما نهائيا بأنها لن تستطيع قط ملاحقة الركب الحضاري ، ولكن حتمية التاريخ كذبتها لانها تعيد بناء رقيها في سلم التقدم حسب الفرص التي اتيحت لها والتي امكنها ان تهيئها تبعا لعوامل التربة والطقس والبنيات الاساسية .

الجهل بالحقائق كلا او بعضا

العرب رواة اخبار وقصص ، ولعبوا برواية غاراتهم وايامهم ، وضمنوا كثيرا منها اشعارهم وقصائدهم ، فكان تاريخهم والحالة هذه ، رواية داخل رواية ، لان الاشعار تتوغلت شفويا ، وهذا شأن الشعوب الرحل التي تتأنس بالمرويات ولا تسمح ظروفها بالعمل المنظم كالتعليم والكتابة المركزة . وهذه الاخبار والقصص والاساطير هي اصل التاريخ العربي القطري ، ففي سيرت المغازي والسيرة النبوية زمنا ، ولكن هذه اسبق تدوينا ، لانها تتصل ببزوغ الاسلام الاول ، كما انها تساهم في حل عدد من مشكلات التشريع ، ثم لابد ان العرب كانوا يهتمون باخبار من حولهم من الفرس والبيزنطيين بحكم خضوع بعض البلاد العربية لسلطة هؤلاء او اولئك ؛ وبفضل عدد من ادباء الفرس وكتاباتهم ، كانت معلومات العرب عن الساسانيين خاصة لا تخلو من دقة ، وهذا بعد ان اسهمت الروايات والاخبار الشفوية قبل الاسلام في التعرف على ما يجري لدى الفرس ، ولاسيما ما يمس علاقاتهم بالعرب ، ان وجود الفرس في الحكومة والادارة العربية جعل معارف العرب طيبة في جملتها عن الفرس ، اما البيزنطيون ، فقد اقصوا ليس فقط من هذه الادارة ، بل حتى من البلاد العربية ، ما خلا قلة منهم ، ليتحبس القسم الاكبر منهم في المنطقة التي ستشملها تركيا فيما بعد .

وقد اتبعت طريقة المنعنة في الكتب الاولى للسيرة والفتوح : (ابن هشام ، الواقدي الخ ..) مثلما سبق ان استعملت في رواية الاحاديث والاحكام الفقهية في طورها الاول ، وهكذا يقع تقليب الرواية من عدة اوجه ، وقد يكون الاختلاف بسيطا او كليا في الموضوع الواحد حسب الاسانيد ، ولو الغيت المنعنة من الحساب واكتفى باكثر الروايات تركيزا لكانت الكتب الاولى للتاريخ والسيرة النبوية اقل حجما بكثير مما هي عليه . غير انه ليس من المعقول ان ننظر الى قيمة هذه الروايات بمقارنتها بالاساليب الحديثة في التاريخ، لان قيمتها الحقيقية من حيث الصناعة ، هي قبل كل شيء في شخص رواتها ومدى الثقة المرضوعة فيهم من النقاد . ولذلك ، فاقرب الاسانيد الى الحقيقة ، هي اصدقها وابرزها من حيث سلسلة رواتها ، وانما يتم الوصول الى ذلك في الغالب بصعوبة بالنسبة للباحث ، فكيف بالقارىء العادي ؟

اما الشعوب السامية التي يعد العرب من اقدمها ، فلم يقدم مؤرخو هؤلاء عنها الا ما اوردته قصص الانبياء المأخوذة في شكلها الموسع عن التوراة، ثم ما قدمته الرواية الفارسية .

واغلب مجتمعات البلاد المفتوحة في العصور الاولى للاسلام لم تنل عناية تذكر في معرض التاريخ الاسلامي لامد طويل بعد الفتح ، وعلى سبيل المثال لم يبدأ تجميع اخبار البربر الا في مصادر محلية ضاعت في جملتها ثم تخلفت المصادر التي استقت منها مباشرة كالبكري الذي يساهم كتابه المسالك والممالك في مادة التاريخ ، وتاريخ ابن خلدون الخ .

وبالمقابل ، فقد عرف العرب الكثير عن الفلسفة الاغريقية من غير ان يحظى الاغريق باهتمام تاريخي مركز . وعلى كل ، فبعد القرن الثالث الهجري مفتاحا للتعرف على تاريخ بعض الدول غير العرب بصورة اكثر توسعا . وفي التواريخ الاسلامية عامة ، انطلاقا من تاريخ الطبري ، يبدأ المؤرخون بذكر قصص الانبياء من عهد آدم ، ثم يتناولون اخبار بني اسرائيل وفارس والحياة الجاهلية عند العرب بصورة موجزة تكتنفها

الاساطير والشعرات ، واثر ذلك يبدأ تاريخ الاسلام بالعصر النبوي ثم ما بعده .

وعلى عكس ما حدث في دراسة الفلسفة الاغريقية من طريق الترجمة السريانية فان التاريخ غير العربي بالنسبة لما قبل الاسلام، استند الى الرواية الاسرائيلية والفارسية المعربة ، بالاضافة الى بعض الاخبار التي سجلها العرب مباشرة .

وبصورة مجملة ، فان التاريخ العربي ظل كما هو اخبار دول وحوادث وشخصيات سياسية ، باستثناء محاولات محدودة ومتخصصة ، وذلك الى حلول القرن العشرين ، حيث بدأ التجديد تدريجيا في كتابة التاريخ .

ولقد بقي العرب يجهلون كل ما حولهم تقريبا عن المجتمعات غير العربية الى ما بعد الفتوح بزمن طويل؛ فما كانوا معذورين في عدم التعرف على الدول كوحدات تاريخية ولا في عدم دراسة المجتمعات شكلا وارتباطا بالسلطة وتفاعل هذه مع تلك ، ان ما روي من اخبار الالية وعبادة الشعوب القديمة لها انما هو تعليل جزئي لهذا الجهل الذي طالما دفع مؤرخي الاسلام الى الانسياق مع اساطير بني اسرائيل والروايات الشعوبية الشبيهة بها . ذلك ان تاريخ الفرس يزخر بالمعلومات التي تعرف اليها العرب عن المجوسية من مزدكية وما نوية وغيرها ، فما بالهم يجهلون كل شيء تقريبا عن المجتمعات الوثنية الا ما ندر وتشتت ؟

لكن هناك علم الجغرافيا الذي انقذ العرب من هذا القصور الفاضح في تاريخ الشعوب والمجتمعات الكبرى في العالم ، وقد سد هذا العلم فراغا عظيما في التعرف على هذه المجتمعات ، ابتداء من القرن 3 ــ 9 على الرغم من أن الجغرافيا لا تعنى عادة باحوال الماضي بصفة مباشرة .

ومن غير شك ، كان لجهل العرب باللغات السامية القديمة التي لم يتم التعرف على معظمها الا في وقت قريب ، اثر لا ينكر في عدم اهتمامهم المباشر بتاريخ الشعوب السامية ، وعلى وجه العموم ، فان العرب لم يعنوا باللغات الاجنبية باستثناء حركة الترجمة في عصر نهضة الحضارة الاسلامية ، والتي اسهم فيها علماء اغلبهم غير عرب ، واذا ، فاقتصار مؤرخي العرب في اغلب الحالات على العربية ، مع استعمال الفارسية في ظروف خاصة زاد من قصورهم في التعرف على تاريخ الامم بما فيهم التي بينهم فتحها او التي فتحوها فعلا ، فان الجغرافيا على ما تسهم به من قسط عظيم في تقصي احوال البلاد الاجتماعية والاقتصادية لا يمكن ان تقوم مقام دراسة مركزة للماضي البشري واستخلاص النتائج العامة منه ، وبالمقابل ، فان الجغرافيا ، التي تحتفظ بخاصيتها كوصف للارض وما عليها من تضاريس وبشر وغيره ، تصبح مساعدا كبيرا على اغناء التاريخ كلما تقادم عليها العهد ، ومن ثم يكون من المؤسف ، ان افتقار العرب الى اللغات ، وكذا اهمالهم لتاريخ عدد من الشعوب ، قد حرمهم من الاستفادة من المعلومات الدقيقة التي قدمها حقون وحيميلكون القرطاجنيان ، وهيرودوت الاغريقي وآخرون ، وهي معلومات ذات قيمة كبيرة في دراسة الاوضاع العامة للشعوب وخصائص المناطق التي تعيش عليها جغرافيا واقتصاديا .

غير أن بعض الاعمال العربية والاسلامية في ميدان الجغرافيا والرحلات لا تخلو من نقائص تؤكد قصورا في معلومات اصحابها وتفاوتا بعضها الاخر ، ولنأخذ مثالين بسيطين من معجم البلدان لياقوت (18) اولهما عن مكناس ، حيث يقول ، نقلا عن ابي الاصبغ سعد الخير الاندلسي :

« ... وبالمغرب بلدة اخرى مشهورة يقال لها مكناسة الزيتون ، حصينة مكينة في طريق المار من فاس الى سلا على شاطىء البحر (!) وفيه مرسى للمراكب ومنها تجلب الحنطة الى شرق الاندلس » .

واين مكناس من شاطىء البحر ؟ !

ويبدو أن المؤلف لم يطلع على ما كتبه الادريسي وغيره .. و « معجم البلدان » يمثل مؤلفه اديبا لغويا اكثر منه جغرافيا . ويدل على ذلك النموذج الثاني الذي يتحدث فيه عن فندلاوة حيث يقول :

« اظنه موضعا بالمغرب ، ينسب اليه يوسف بن دوناس الفندلاوي » ، ثم يتحدث عن قدوم هذا المنتبه الى الشام واستشهاده في الحرب ضد الصليبيين ، ولا نعلم شيئا عن فندلاوة اي (فندلاي) جغرافيا ولا تاريخيا (19) .

وايما يكن من منهجية الدراسات الجغرافية القديمة ، فهي تفضل بكثير منهجية الاعمال التاريخية التي تعتمد على السرد والتسلسل السنوي في مجملها

تلجأ الثانية الى التحليل والاستنتاج .

ومن امثلة التحريف ذات الاهمية التضوي على صعيد التاريخ العربي ما نسب اكثر من مرة الى يوسف ابن تاشفين من حقد على ملوك الطوائف ورغبة في تعطيشهم لشم الاندلس الى ملكه ، ثم ما كان من موقفه من المعتمد بن عباد على وجه الخصوص . ولو ان ملوك الطوائف تنازلوا عن انانيتهم لالفوا دولة موحدة تواجه عدوان الاسبان عوض ان يتناحروا في التقرب اليوسف ويترضوهم بالتنازل عن معاقل الاندلس وحصونها . ولو كان ليوسف بن تاشفين عدف شخصي لما عاش بمراكش متشظفا مثلما عاش من قبل بصحراء صنهاجة وفي المغرب من الارض والخصب والماء ما يزيد الف مرة عن حاجة الملثمين لو كان هدف ابن تاشفين أن يسد حاجاتهم من المطعم والمأوى والرعاية .

وكان المعتمد يهمه فقط ، ان يبعد عنه خطر الزحف القشتالي وخطر جيرانه ، وان يضيف الى مملكته الصغيرة مدينة او منطقة صغيرة اخرى ليتفرغ لعبثه ومجالس انسه . اما وقد تحالف مرة اخرى مع اعدائه السابقين من الاسبان وهم ايضا خصوم المرابطين اولياء نعمته ، فكان نفيه الى المغرب ، وبالذات الى اغمات وهي يومئذ مدينة خصب وعمران ، تكريما له واحتفاظا ، والنظر في مسألة سياسية وقومية من زاوية الادب والعواطف الشعرية على رقتها وما تحمل عليه من الم ، انما يجافي المنطق ، وعلى الخصوص منطق التاريخ الذي لا يتعامل مع الادب الا على اساس اعطاء ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله .

ارضاء مطامع شخصية او ميول سياسية

ان اقرب طريق لتحريف التاريخ ان يكتب من اجل تحقيق مطامع شخصية ، فان المؤرخ في هذه الحال ليس من التستر على الحقائق كلا او بعضا . وفي احسن الظروف يفتدق من الاطراء على المحاسن ، ولا يبالي

ان اقرب طريق لتحريف التاريخ ان يكتب من اجل تحقيق مطامع شخصية ، فان المؤرخ في هذه الحال ليس يخلو من التستر على الحقائق كلا او بعضا . وفي احسن الظروف يفتدق من الاطراء على المحاسن ، ولا يبالي بالمثالب والمآخذ . ولقد تدفع الاطماع ببعض الناس الى ان ينكروا لكل المبادىء والقيم في سبيل تزكية عمل تستنكره الجماعة . كما يحدث ان تتجاهل اختص قليل منهم بولك .

ولقد كان الانتاج الفكري في الماضي قلما ينجح صاحبه في الحصول على كسب مادي منه ، ولعل فرصة الكسب تتاح له اكثر اذا هو اهدى انتاجه الى شخصية مرموقة ذات مسؤولية كبرى ، ونجد في التاريخ الاسلامي والعربي كما في غيره كتبا ورسائل عديدة كان فضل نشرها او وضعها يعود الى اشخاص من مستوى عال ومنها على سبيل المثال :

1 — الكامل لابن الاثير الذي وضعه المؤلف بأمر من الملك بدر الدين .

2 — قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي الذي وضعه لرئيس دواوين الانشاء بمصر محمد الجبني البارزي . والقلقشندي هو مؤلف « صبح الاعشى » الذي الفه ايضا باشارة شخصية لم يذكرها ووصفها بقوله : « اشار من رأيه مغرون بالصواب ومشورته عربة عن الارتياب » .

3 — الحلل السندسية في الاخبار التونسية لمحمد السراج (ت. 1149 — 1736) . وقد الفه متقربا به الى حسين باي مؤسس الدولة الحسينية بتونس منذ 1117 — 1705 .

وهناك من الف لمجرد ارضاء رغبة تلقائية . وهكذا تجد ابن تغري بردي مثلا يؤلف « النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة » ليستأنس بينات افكاره ويقول ببساطة المثقف النزيه : « ولم اقل كمقالة الغير ، انني مستدعى الى ذلك من امير او سلطان ، ولا مطلوب به من الاصدقاء والاخوان ، بل الفته لنفسي ، وايتمته ببنات فكري ، ليكون لي في الوحدة جليسا ، وبين الجلساء مسامرا وانيسا » .

وقد لا يكون من الخير ان يؤلف الانسان لنفسه فيذيب بذلك رؤية الناس في رؤياه ويعتزل العالم الخارجي ليتجرد لعالم من خلق اوهامه ، ولكن مبدأ ابن تغري بردي يظل على كل حال احسن من خدمة الفكر لغير الفكر .

وليس كل ما الف لحساب الخواص محرفا ، كما ان كل ما انتج لخدمة المعرفة وحدها قد لا يخلو من نقائص ، ولربما من تحريف هو الى الخطأ اقرب . وهكذا يمكن ان نضع كتاب « المعجب » لعبد الواحد

المراكشي ضمن الفئة الاولى ؛ فقد انجزه بناء على طلب من احد وزراء البلاط العباسي ببغداد ؛ بعد ان القى عصا الترحال هناك . وكل باحث في تاريخ المغرب، وحتى القارىء العادي يمكن ان يكتشف في هذا الكتاب روح التجرد التي خلا منها كتاب البيذق عن مصـــــرع الدولة المرابطية وقيام الموحدين. وهو قد سبق المراكشي بنحو ثلاثة ارباع قرن .

وكان من اوائل المؤرخين الذين ادركوا ما يطفح به التاريخ من اضاليل واباطيل مؤرخ من القرن الرابع ـــ العاشر م ، وهو مطهر بن طاهر المقدسي السذي ينسب كتابه : البدء والتاريخ خطأ ، الى احمد بن سهل البلخي الجغرافي الذي توفي قبله . وقد حمل مطهـــر المقدسي بشدة على « المتطفلين على التاريخ والمشتوهين له من ارباب القلانس واصحاب المجالس الذين طلبهم العلم لا لله ولا لانفسهم ، ولكن للتصدر والتقدم ، فهم ياخذونه من غير مظانه » ثم ندد بتاثير هؤلاء علـــى الطبقة الشعبية ، حيث « شحنوا صدورهم بترهات الاباطيل ، وضيعوا نفوسهم بالاسمار والاساطيـــر ، فهم الى كل ناعق سراع ، وعن كل ذي حق بطـــاء ، وللمتبع متعرضون ، وعن الواجب معرضون . المحق فيهم مجهل ، والمدق ملحد ، والمخالف لهم مثبور ، والناظر مهجور ، والحديث لهم عن جهل طار ، اشهى اليهم من الحديث عن جهل سار ، ورؤيا مرية ، آثـــر عندهم من رواية مروية ... فهذه الخطة كانت سبـــب حرمان العلم وتهجين اهله وفوت الحظ واستحقـــاق الخذلان ، والتوسع للطاعن في الدين، وتسهيل القادحين بالصخب والشغب ، والشنعة ورد العيان وجحـــد البرهان .. ويابى العلم ان يضع كفه او يخفض جناحه او يسفر عن وجه الا لمتجرد له بكليته ، ومتوفر عليه باينيته ، معان بالقريحة الناتية ، والرؤية الصافية ».

والجدير بالذكر ان كتاب « البدء والتاريخ » الف ايضا عامر شخصية كبيرة لم يذكر اسمها المؤلـــف ، وانما تتجلى اهمية علمها فيما اشارت به من تنقيـــة التاريخ الاسلامي والعقيدة الاسلامية من الاساطيـــر والشوائب في وقت مبكر ، ما كانت العقيدة ولا التاريخ الاسلامي قد حملا ما حملاه من افراط في التشويـــه والتنقيص . ولذلك كان على مطهر بن طاهر (20) ، ان يصنف كتابا « مهذبا من شوائب التزيد ، مصفى عـــن سقاط الضلالات وخرافات العجائز وتراويز القصاص ومرضوعات المتهمين من المحدثين » .

اما الميول السياسية التي تحفز بالكاتب والمؤرخ الى الاسهام في تزوير التاريخ وتضليل القراء والجماهير تبعا لذلك ؛ فتتجاوز في مدلولها وغاياتها النـــزوات الشخصية والشهوات المادية التي تجدها عند المداهنين بافكارهم . نعم ، منذ كان للمجتمعات والامم سياسة حول نفسها او غيرها وهي تخطيء او تصيب ، لكن ، عندما تصبح الاخطاء مقصودة او تصير ضررا علـــى الشعوب المغلوبة والمحكومة ، فان المؤرخ مهما كان من وضعيته لا يليق ان يساير في هذه الحال ميولـــه السياسية الخاصة ، ان كانت له ميول فعلا ، فان من شان هذه المسايرة تغطية الحقائق وبالتالي ، اسهام المؤرخ في صنع اجيال مضللة اذا لم تتفق نزعته مـــع الحقيقة .

وهكذا تنتهي الميول السياسية والرؤيا الحزبية او المذهبية غير الواعية الى تجزئة دروب التاريـــخ والاقتصار منها على ما يوصل الى نقط واهداف محددة مذهبيا وعقديا ، ثم الغاء الدروب الاخرى التي قـــد تكون اضمن السبل لسلامة الهدف ، ومن ثم ، فـــان الشيوعي المتطرف ، لا يرى في الدين وتراثه الا عرقلة للتقدم وسرعة التطور ، والمتدين المتعصب لا يرى في الاشتراكية الا سبيلا للكيد والضغط الفردي والجماعي ودعوة منهجية للالحاد ، والراسمالي يتحمس للملكية والليبرالية والاحتكار ، ويتضايق من هذا وذاك ، وتقنع الاجيال المساعدة ضحية للتطرف في كل شيء : من قبل ضللها الغالون في الدين حتى ما تركوا فيها عرقا ينبض بالتطلع والحيوية والخلق ، وجاءت راسمالية العصر الحديث لتصنع منها ادوات لعبادة المال وتربيته ، وضد الفريقين وقفت الشيوعية المتطرفة تحطم القيـــم وتعيد في كتبها وصحفها أولئك الذين انقذوا الطبقـــة الشعبية من الاستغلال ثم اصبحوا قديسين واوليـــاء تفرض افكارهم طوعا وكرها . وقامت الليبرالية بمـــا ارتكزت عليه في العديد من اقطار العالم ، من احتكار واستغلال للفئة الضعيفة لتطبق نفسها في كل شيء : في السلوك الاجتماعي والاخلاقي ، وفي التعامـــل الاقتصادي والضغط السياسي .

ومن أجل كل هذه النزعات المغالية نشـــأ الانحراف العقائدي الذي سيكون موضوع فصول لاحقة فكيف نفسر احداث التاريخ تفسيرا نزيها مجردا اذا كان المؤرخ يحمل فكرة مسبقة تجعله ابنا روحيا لهذه الفئة او تلك من المجتمعات الانسانية او الاقليـــات المهيمنة ؟

ان اهم اسباب تحريف التاريخ السياسي بصورة خاصة ، ان تلغى من الاعتبار ، الصراعات الطبقية كعامل اساسي في صنع الاحداث وتكييفها . وعندما نذكر الصراعات الطبقية فالمقصود عندنا كل صيغة للصراعات ، دينية او سياسية او مادية . فالصراع الطبقي موجود منذ فجر تاريخ المجتمعات الانسانية ،وظهور شعوب جديدة على مسرح الاحداث وانقراض اخرى ، وتعاقب الدول على الحكم ، وظهور مذاهب مختلفة في السياسة والدين ، انما هي مظاهر من الصراع الطبقي الذي لم يكن ماديا باستمرار . فالديانة الموسوية نشأت في وقت تعرض فيه معتنقوها للقهر والضغط ، وهم في اغلبيتهم فقراء ، شأن اتباع كل عقيدة في البداية او بوجه عام ، ولكن الطبقة الفقيرة ظلت كذلك امدا طويلا حتى بعد ان نعمت بارض الميعاد ، بل ظلت قبائل رحلا ولم تتخل عن دينها ولما حل المسيح بين اليهود اتبعه فقراؤهم املا في الخلاص من قهر الرومان ، وبقي المتمسحون فقراء ولم تتغير احوال اخوانهم الباقين على اليهودية الا بعد طردهم من ارض الميعاد ، فتوزعوا بين الاقطار يشتغلون بالكسب ويحتكرون المال والتجارة حيثما حلوا ، فلم يكن المحرك المادي في هذه الحالة الا نتيجة حدث ، ولم يكن سببا لتشخيص الصراع الطبقي . وقد مرت تسعة عشر قرنا قبل ان تتخذ الصهيونية طريقها الى الوجود ، وقبل ان تنشأ فكرة العودة الى فلسطين، نعم ، بعد تسعة عشر قرنا كان النشاط المالي لليهود وليس لصراعهم الطبقي اثر في قيام حركة سياسية مشبوهة لصالحهم ، واذا اعتبرنا الصراع المادي هو الذي اوصل اليهود الى الاستيلاء على فلسطين فيكون صراعا معكوسا ، لانه صراع اغنياء راسماليين كبار ضد ملاك ارض فقراء متواضعين هم العرب ، واذا جردنا الفكرة الدينية من الحساب ، فهذا سلوك استعماري يماثل استيلاء البيض على جنوبي افريقيا ، او الهولنديين فيما سبق على اندونيسيا .

وهكذا فمن الخطأ ان تنسب الثورات والحروب القديمة الى عوامل مادية لمجرد ان طرفا يواجه آخر، ولا يصح النظر بعقلية العصر الحديث الى عقلية شعوب العصر القديم . فكما ان مفاهيم الحضارة تتغير من عصر لآخر ، يتم التحول كذلك في مقاييس الحكم والرؤيا ولا تفهم الا المبادىء الاساسية التي لا يمكن ان تقوم في عصر دون عصر .

ان الصراع الطبقي ينشأ في النهاية عن اسباب مجتمعة او متفرقة .

1 — اسباب دينية او عقائدية .

2 — اسباب مادية .

3 — اسباب اجتماعية

4 — اسباب سياسية

ويبدأ الانحراف في الدين او العقيدة عندما يضعف الوعي الديني في القاعدة والقمة ، ويتطلق الصراع الديني او العقائدي عندما يخترط فرد او فئة منهجا جديدا للدين او العقيدة ، يختلف عما الفه المجتمع ، او حالة شعور طبقة او مجتمع بمساس لعقيدته ، فيلجأ الى الصراع ضد الجانب الذي نسب اليه هذا التحرف ولا جرم ان احداث الصراع الديني من هذا الصنف او ذاك تطفح بها صفحات التاريخ ، كصراع البروتستانت ضد الكاثوليك وصراع الرسول صلى الله عليه وسلم ضد المشركين، وصراع المسيحية والاسلام ضد الوثنية .

والاسباب المذهبية قد تكون مزيجا من الدين والسياسة وغير ذلك . وقد يكون المذهب مجرد طريقة في الحياة لا تتفق مع الاعراف المألوفة ، ولكنها تمثل في حد ذاتها ثورة حتى ولو اعتبرت منحرفة كما هو الشأن في « الهيبية » (بياء مثلثة) ؛ وان هي الا تعبير عن صراع مسالم في الاصل ضد مظاهر الحضارة المصطنعة لكن من صراع المذهب ما يتطور الى حروب حقيقية تفنى فيها نفوس بريئة . وهكذا كان الصراع بين الشيعة وخصومهم ، فهو صراع يستند الى اسمى من الدين، او هكذا يرتئي الشيعة على الاقل . واذا فقد الشيعة الحكم والسلطة ، وبالتالي وضع ايديهم على مصادر الثروة ، فان الدين وحده يبقى رائدهم في العقيدة والمعاملات ، اي ان ابتعادهم الجبري عن السياسة لم يضع حدا لعقيدتهم .

وتأخذ العوامل العقائدية حيزا كبيرا في الحركات الثورية عبر التاريخ ، فهي من الاسس الكبرى في قيام حركة الخوارج بالشمال الافريقي . وحركة الموحدين ضد المرابطين ، وقيام الثورة الفرنسية والحركة الوهابية وغيرها . نعم ، قد تساير هذه العوامل العقائدية دوافع سياسية او مادية ، ولكن هذه لا تتفرد وحدها كعامل رئيسي الا في احيان قليلة جدا . ذلك ان الشعوب كانت تضحي بكل شيء حتى باموالها ومستقبلها اي دمائها في سبيل العقيدة والدين ، وهما ذوا خطر بالغ في ماضي الامم عامة .

لكن الاعتبار المادي في مصائر الجماعـــات البشرية يجد مظاهر قوته في الحروب القديمة كما يجدها في الصراعات الداخلية الحديثة . ولو استعرضنا الكثير من الحروب والثورات الداخلية لوجدنا العامل والهدف المادي فيها يختلف ضعفا وقوة ، وانفرادا او ارتباطا بعوامل واهداف اخرى :

1 — ان الحروب التي قادها اسكندر المقدوني انطلقت بدافع توحيد الشعب الاغريقي قبل ان تتحول الى رغبة جامحة في التوسع شرقا وغربا ، وتمازجها عوامل الطموح الشخصي والعمل على تحطيم الامم القوية كالفرس ، ثم تنتهي بالاستفادة من الهللنسم ، وخلق حضارة مطبوعة بالطابع الشرقي . ان العامل الاساسي هنا غير مادي بتاتا .

2 — نشأت الحرب البونيقية الاولى بين الرومان والقرطاجنيين بناء على طلب نجدة من بعض المدن المستقلة في حرب اهلية داخلية . وادى تدخل الرومان الى الاصطدام بالقرطاجنيين الذين كانوا يتركزون في شواطىء صقلية غربا ، ثم امتد الصراع يتخذ طابعا ستراتيجيا وعسكريا واقتصاديا .

3 — قامت الثورة الاسلامية ضد الشرك ، ومن اجل اقرار وحدانية الله وتنظيم الحياة الانسانية في شتى المجالات .

4 — قامت الحرب الصليبية وتطورت لاسباب دينية قبل غيرها .

5 — كانت حركة الاسترداد في اسبانيا لدوافع دينية اولا ، ثم وطنية ثانيا

6 — ان الحركات القومية خلال القرن التاسع عشر ، والتي تمخضت عن صراعات دموية ما هي الا ثورات ذات طابع سياسي وطني .

وفي كل هذه الحروب والحركات كما في غيرها نجد الصراع المادي ليس له الا مظهر ضيق ، لان الهدف المادي لم يكن مخططا له ، وليس الامر يتعلق بصراع طبقة فقيرة تهدف الى اسقاط طبقة اخرى لاعادة توزيع الثروة .

وللعوامل الاجتماعية في الصراع الطبقي دور كبير قد يشمل مصير مجتمع بكامله ، فان اختلاف الجنسيات والقوميات قد يهز كيان الوحدات الاجتماعية الكبرى اذا لم تسده ديموقراطية حقيقية في التسيير . والامبراطوريات الاستعمارية لم تنجح في المحافظة على كيانها الامبراطوري لهذا السبب ، وكذلك استفادت الحكومة العراقية من تجارب واخطاء الحكومات السابقة فيما يعود الى سياستها نحو الاكراد ، فجنبت من المشكلات والقضايا منذ سنة 1974 م ما لم تستطع حله قبلها ، كما ان التفتح الذي ابدته الدولة العباسية تجاه القوميات ذات العصبية القوية في ظل الاسلام ، ادى الى نتائج تفوق في ايجابيتها ما حصلت عليه العصبية الاموية المتشددة .

وانما تم اسقاط الدولة الاموية بفضل تحالف العصبية الفارسية مع الاسرة الهاشمية وانتصارها من العرب

ولا جرم ان الدوافع السياسية تحرك بقدر كبير شعوبا وافرادا لتغيير مصائرها ومواقفها تجاه شعوب وامم اخرى . كذلك يحدث الصراع الطبقي في اطار الموقف السياسي داخل البلد الواحد ، بل داخل الحزب الواحد ، من اجل تحقيق مبادىء جديدة قد تكون اكثر او اقل ثورية .

ان المؤرخ الذي ينظر من زاوية واحدة عند تحليله لمعالم تطور الشعوب وتحقيق ذاتيتها كمن يفترض ان ظروف الزمان والمكان لا تتغير ابدا ، ومن باب تحريف التاريخ حقا ، ان نستهين بمسيرة الشعوب وزحفها ضد الهيمنة والاستغلال ، كذلك فان من باب تحريف التاريخ ان نتخذ من كل حركة جماعية منطلق خير . اليس تستغل جماعات او شعوب غير واعية في حركات يقودها افراد همهم بالذات ان يمارسوا استغلالها بطريقة او باخرى ؟ ... ان هذه مسالة تحتاج الى تفصيل اكثر في الفصل التالي

تعليقـــات :

1) راجع ما كتبه حول هذا الموضوع : فؤاد محمد الصقار في كتابه : دراسات في الجغرافيا البشرية ، ص 83 — 94 . وهناك دراسات كثيرة في هذا الباب.

2) توجد بلدان بافريقيا الغربية التي تعد مجتمعاتها من اعرق الشعوب حضارة ، بدون تاريخ وطني مكتوب حتى يومنا هذا . وتطرح هنا ، العروض السطحية والمصورات السياحية والكتب المدرسية .

(3 De landelyn, Histoire universelle, p. 171

(4 وقد تولى الامبراطور سيفير هذا من 193 — 211 م

Boulanger , Histoir abrégée de l'Eglise , p , 34

(5 Simon Doubnou, Précis d'histoire juive, p. 129 وانظر عن موقف فالنتيان الاول
De landelyn, Op. Cit, p. 197

(6 Julien Vinson, les religions actuelles, pp. 263 - 264

(7 Op. Cit, p. 291

(8 Simon Doubnou, Op. Cit, pp. 142 - 144

(9 بقطع النظر عن تعاليم الاناجيل وهي اكثر من غيرها اقناعا في الموضوع يمكن الرجوع الى الدراسات المقارنة للاديان - انظر مثلا : Julien Vinson, les religions actuelles, pp. 371 - 372

(10 Op. Cit, pp. 388, 402, 403

(11 مطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج 4 ، ص 125 .

(12 البلاذري ، فتوح البلدان ، ص 27 .

(13 م. س. ص 32

(14 ن. م. و ص

(15 ن. م. ص 217

(16 ابن الاثير ، الكامل ، 2 ، 150 .

(17 بالنسبة لفكرة التفوق الجرماني فقد عبر عنها هتلر في كتابه ؛ كفاحي الذي اظهر موقفه من اليهود بوضوح . وانظر ايضا : J. Bouillon, le monde contemporain, pp. 632 - 633
وبالنسبة للعقيدة الصهيونية ، راجع : يوري ايفانوف ، احذروا الصهيونية ، ص 130 ، 131 .

(18 ياقوت اديب بيزنطي الاصل ، من رجالات القرن 7 — 13 .

(19 ذكرها الادريسي ومؤلف روض القرطاس ، او فندلاوة ، حصن وقبيلة بنواحي صفرو بالمغرب ، انظر د. مختار عبادي والاستاذ ابراهيم الكتاني اعمال الاعلام ، 3 ، 192 .

(20 مطهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، 1 ، 5 .

ابراهيم حركات

● يهم « دعوة الحق » أن تؤكد لقرائها انها غير متفقة مع الاستاذ ابراهيم حركات فيما اورده من آراء في بعض القضايا المتعلقة بتفسير التاريخ الاسلامي و « الصراع الطبقي » و « حتمية التاريخ » . وتطرح المجلة موضوع الاستاذ حركات للمناقشة.

« دعوة الحق »

سقوط الحصون

للأستاذ حسين أحمد الملوحي

« لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة او من وراء جدور » .
صدق الله العظيم (سورة الحشر ـ الاية 14)

هذا واحد من اسس القتال عند الاسرائيليين كما يصوره القرآن الكريم في بلاغة وايجاز . انهم لا يقاتلون الا مستعينين بالحصون المنيعة ، ولا يقاتلون الا من وراء الاسوار الحاكمة . لماذا ؟ لانهم لا طاقة لهم بمواجهة اعدائهم ، حيث تعني المواجهة المجردة بين الخصمين ان الشجاعة والعوامل الشخصية عند كل مقاتل هي صاحبة القول الفصل في تحديد المنتصر والمغلوب .

اذا ترك الامر لعوامل الشجاعة والصبر والجلد والبطولة والفداء ، فالاسرائيلي هو الخاسر لا محالة ولهذا نراهم في قتالهم دائما يعمدون الى موازنة انعدام تلك المتطلبات عندهم بايجاد عوامل اخرى . انهم يلجأون الى الحصون المنيعة والاسوار العالية فنيها يجدون من الحماية والمنعة ما عز عليهم أن يجدوه في نفوسهم المنهزمة .

انه اسلوب قديم قدم وجودهم ذاته . لقد تحدث عنه القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .

وفي عصرنا الحديث ، كان خط بارليف وخط المين هما النموذج المعاصر لهذا الاسلوب الاسرائيلي .

كان الخط الاول يحمل اسم القائد الذي تولى انشاءه ، وهو الجنرال بارليف ، رئيس هيئة الاركان العامة الاسرائيلية . وقد قدرت تكاليف بنائه على طول قناة السويس بمئات الملايين من الدولارات . ووصفته بعض الدوائر العسكرية الغربية بانه خط لا يقهر ، ووصفته دوائر اخرى ـ في الغرب ايضا ـ بانه الخط الذي لا يمكن قهره بقنبلة ذرية . واشاد قادة اسرائيل بمناعته وقالوا انه لا يمكن اختراقه باي شكل من الاشكال .

وقد كانت فكرة بارليف في انشاء هذا الخط تقوم اساسا على حجة سياسية مفادها : انه لا يجب أن يحصل المصريون على موطىء قدم واحد في سيناء ، ويجب الحيلولة باي ثمن دون وصول المصريين الى الضفة الشرقية لقناة السويس .

وبدأ انشاء الخط فى عام 1967 عقب هزيمة يونيو . وفى مبدأ الامر لم يكن يزيد على بضع حفر مغطاة بقضبان حديدية مقوسة تركها الجيش المصري فى المنطقة اثناء انسحابه . وكانت هذه الاقواس الحديدية مغطاة بأكياس الرمل وكتل الحجارة . وبدأت هذه الحفر تتضخم تدريجيا حتى تحولت الى مواقع محصنة بحواجز رملية ، ومستوفة بقضبان انتزعت من السكة الحديدية المصرية فى سيناء ، وباطنان من الرمال والحجارة .

⁂

وقد استخدمت فى بناء الخط عشرات من الجرارات والجرافات والمعدات الثقيلة الاخرى ، وجلبت من شمال اسرائيل بواسطة آلاف من عربات النقل كتل من الاحجار ، وضعت فى شباك من الحديد لاستخدامها فى بناء طبقات متتالية فوق الغرف . وقد عرفت هذه الطبقات باسم « طبقات التفجير » ، وكان الهدف من طبقات التفجير هذه والتى بلغ سمكها بضعة أمتار الحيلولة دون نفاذ قذائف المدفعية الثقيلة الى الداخل . واستخدم الاسرائيليون المدفعية الثقيلة التى غنموها فى حرب يونيو 1967 لاختبار قدرة الصمود فى طبقات التفجير .

ومع مرور الشهور كان قد تم تطوير هذا الخط بعد أن أنفقت عليه مبالغ هائلة . وشقت الطرق الجديدة المؤدية الى التحصينات ، وزيد من ارتفاع الساتر الرملى على طول القناة ، وحفرت فيه مراكز للدبابات .

وقد اقيم خط بارليف فى تصميم مستطيل يغطى منطقة المواجهة ، فى تحصينات متكاملة بنيت كمجموعات على صورة قبضات محكمة . ليكون فى امكان كل منها تغطية الاخرى ومساندتها . وقد احيطت النقاط القوية من كل اتجاه بحواجز عوية من الاسلاك الشائكة والالغام وبمختلف وسائل الانذار .

كما درب الجنود فى النقاط الدفاعية على العمل كمراقبين ارضيين مساعدين للطيران لتسهيل التعاون بين النقاط القوية والدعم الجوى المباشر لها .

كان المقاتلون فى التحصينات مزودين بقوة كبيرة من النيران ، يمكن تشغيلها وادارتها بواسطة عدد قليل من الرجال ، وكان هناك اكتفاء ذاتى للجنود من الناحية القتالية يمكنهم من الصمود فى وجه قوات متفوقة لمدة اسبوع كامل ، مما يسمح تماما للقوات الاحتياطية بالوصول والتعزيز والسيطرة على الموقف .

⁂

وكانت اماكن الاقامة للجنود داخل المواقع محصنة . وكانوا ينامون على اسرة من طابقين كما هو الحال فى قمرات السفن . وكانت عندهم كل احتياجاتهم من المطابخ وخزانات المياه المثلجة ووسائل الاتصال الهاتفى المباشر باهلهم وذويهم فى تل ابيب اسرائيل .

كانوا يعيشون فى ظروف ترف لا تختلف كثيرا عما الفوه فى حياتهم المدنية ، فكانت هناك فى كل حصن آلة عرض سينمائية ، وفى كثير منها كانت هناك نوادٍ مجهزة بأدوات رياضية لممارسة بعض العاب القوى وكرة الطاولة وكرة السلة والكرة الطائرة . وكان الفنانون والمحاضرون يزورون التحصينات كل اسبوع ليلتقوا بالجنود وينقلوا الخضارة والثقافة اليهم .

⁂

الجبهة السورية :

تتكون منطقة الجولان من اراض بركانية كثيرة الهضاب والاودية ، ومعظم ارضها مغطاة باحجار بركانية مستديرة ذات احجام مختلفة ، تعوق كثيرا من تقدم الدبابات والاليات فوقها ، لا سيما وان الطرقات المعبدة فى المنطقة قليلة ، وبخاصة فى تلك المناطق التى تغطيها الاحراج .

فى هذه المنطقة المعروفة بوعورتها الشديدة ، اقام الاسرائيليون انواعا اخرى من التحصينات . وقد عرفت انساق تحصيناتهم فى الجولان باسم « خط آلون » .

كان خط آلون فى الجولان يتألف من ثلاثة انساق متتالية من التحصينات :

1 — خندق مضاد للدبابات عرضه ستة امتار وعمقه ثلاثة امتار ، مع ساتر خارجى ارتفاعه اربعة

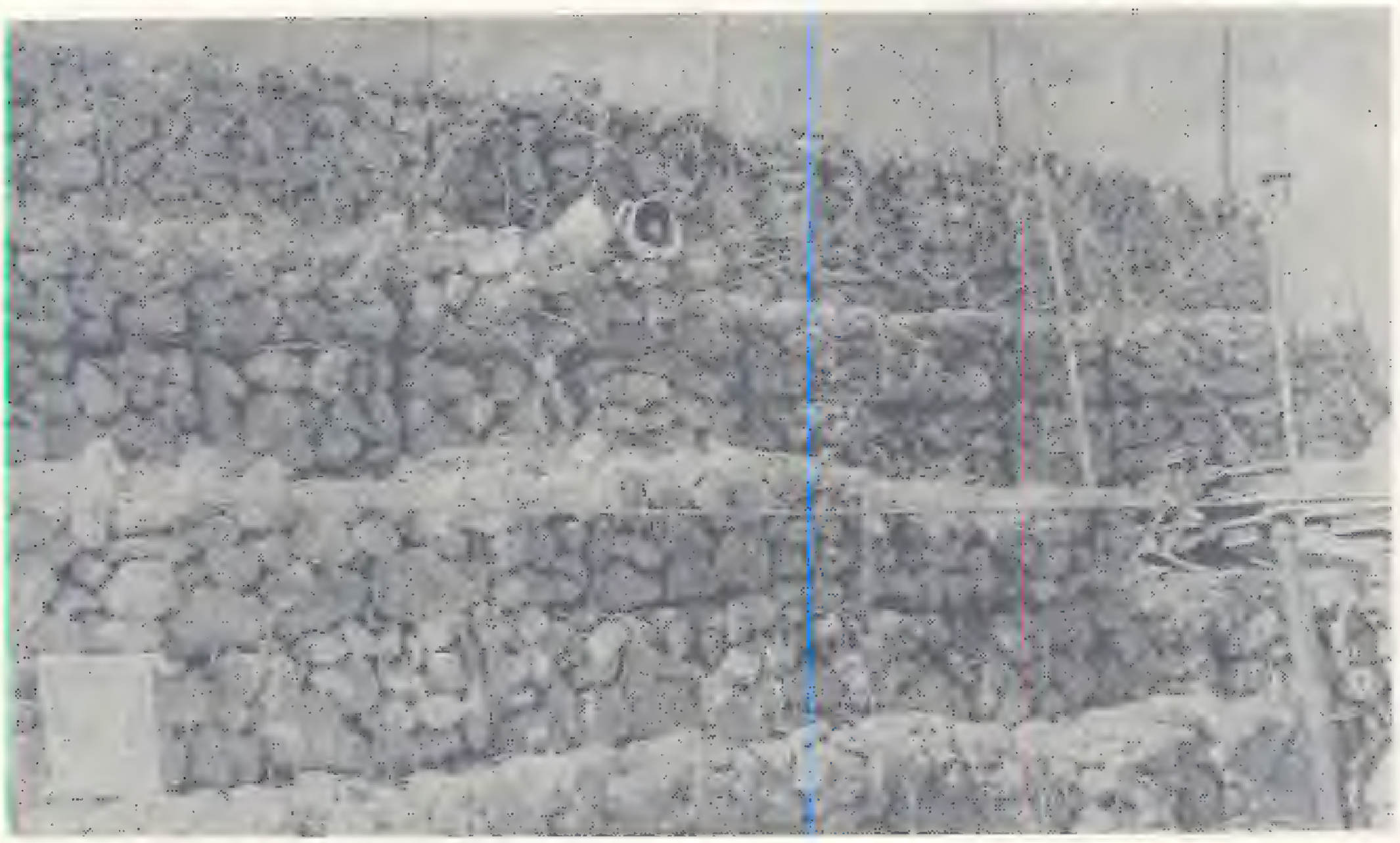

آلاف الاطنان من قطع الحجارة الكبيرة تم جلبها من اسرائيل لعمل هذه التكسيات فوق الحصـــون ، وقالو انها من السمك بحيث تكفي للوقاية من القنبلة الذريـــة

منظر خارجي عام لاحد الحصون فى خط بارليف .. كانت حصونا منيعة حقا ولكنها لم تكن مانعة من الله، فقد داهمها المقاتلون المؤمنون وشعارهم : «الله اكبر»

امتار ومجهز بالالغام . وبهذا يكون العمق الاجمالي للخندق عشرة امتار .

2 ــ خط محصن وراء الخندق ، يحتوي على ما يقرب من خمسين نقطة حصينة . وكانت هذه النقط كلها مسلحة ومجهزة باسلحة مضادة للدروع . اما الخط باكمله فكان محميا بحوالي ألف/ جندي .

3 ــ مواقع محصنة في العمق (اي الى الخلف أكثر) عند الممرات الصالحة لتقدم الدبابات .

وفوق الجولان انشا الاسرائيليون موقعا اشبه بالقلاع الرومانية القديمة . كان مشيدا كله من حجارة البازلت المقطوعة من صخور الجبل ذاته ، الحجر طوله متر ، والجدار على شكل مدرجات وزوايا حادة بحيث يصعب على اي قذيفة ان تحدث اضرارا مباشرة به ، اما السور الخارجي فعرضه ستة امتار بالاضافة الى ثلاثة امتار من الاسمنت المسلح . والبناء كله محفور في الصخر على شكل هرم مقلوب .

***

هذا العرض ــ على اسهابه ــ مختصر في وصف التحصينات التي اقامها الاسرائيليون على جبهتي القناة والجولان . لقد كانت تلك الحصون تمثل بالنسبة للاسرائيليين منبع الامن والامان ، وكانت امام العرب رمزا للتحدي .

اطمان الاسرائيليون الى حقيقة وجودهم على الخطوط الجديدة التي كانوا قد وصلوا اليها عشية حرب يونيو 1967 . اطمانوا حتى لم يعد يخالجهم ادنى خوف من احتمال التعرض لهجوم مباغت من جانب العرب .

« وظنوا انهم حصونهم مانعتهم من الله »

فماذا حدث ؟

قد تختلف وجهات النظر وتعدد حول تقييم النتائج العسكرية النهائية لحرب رمضان / اكتوبر بين العرب واسرائيل . ولكن ستبقى هناك حقيقة لا تسمح باي خلاف حولها : في ذلك اليوم الاغر ، العاشر من رمضان 1973 ، انطلق جند الله وشعارهم « الله اكبر » ، فكان ان بزغت الاسرائيليون بما لم يكن عندهم في الحسبان .

لقد ران عليهم من الصلف والغرور ما حال بينهم وبين توقع اي مواجهة مع العرب او عمل اي حساب لها . « فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب » .

حقا لقد اتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، فدكت حصونهم وأسرت جنودهم وشتت شملهم ؟

اتراهم كانوا يحتسبون شيئا مما حدث في ذلك اليوم ، حين اخلدوا الى الطمانينة خلف حصونهم واسوارهم ، آمنين من كل خطر ، حتى ولو كان خطر القنبلة الذرية على حد زعمهم هم ومن والاهم ؟

ام تراهم كانوا يحتسبون لمثل تلك المواجهة مع العرب ، يبدؤها العرب بمبادرة منهم ، ويقف فيها المصري مع السوري مع المغربي والسعودي والاردني والعراقي والسوداني ؟ !

ولنأخذ مثالا من المغرب :

لقد كانت القوات المسلحة المغربية تقف جنبا الى جنب مع القوات السورية منذ يونيو / حزيران 1973 اي قبل المعركة باربعة شهور . وعندما بدات المعركة اعلنت حالة التاهب العام في الجيش المغربي وفتحت مراكز التطوع امام المغاربة في جميع انحاء المغرب للمشاركة في معركة الشرف ، وارسل المزيد من القوات .

وقد اثبتت القوات المغربية ، بمدرعاتها والياتها ومدفعياتها والالاف من جنودها ، شجاعة نادرة وكفاءة عالية في القتال . وسوف ياتي وقت تخرج فيه اعمالهم الى النور ، ليعرف القاصي والداني ان الدماء العربية المسلمة الزكية سالت واختلطت ببعضها من اجل قضية واحدة للعرب اجمعين .

ان هذا الكلام لا يعني تجاهل ادوار الجيوش والدول الاخرى ، فلكل منها صفحة من نور سجلها له التاريخ .

ولكني حين ضربت بالمغرب مثالا فقد اردت من ذلك ان اقول : ان المسافات قد تتباعد بيننا وبين

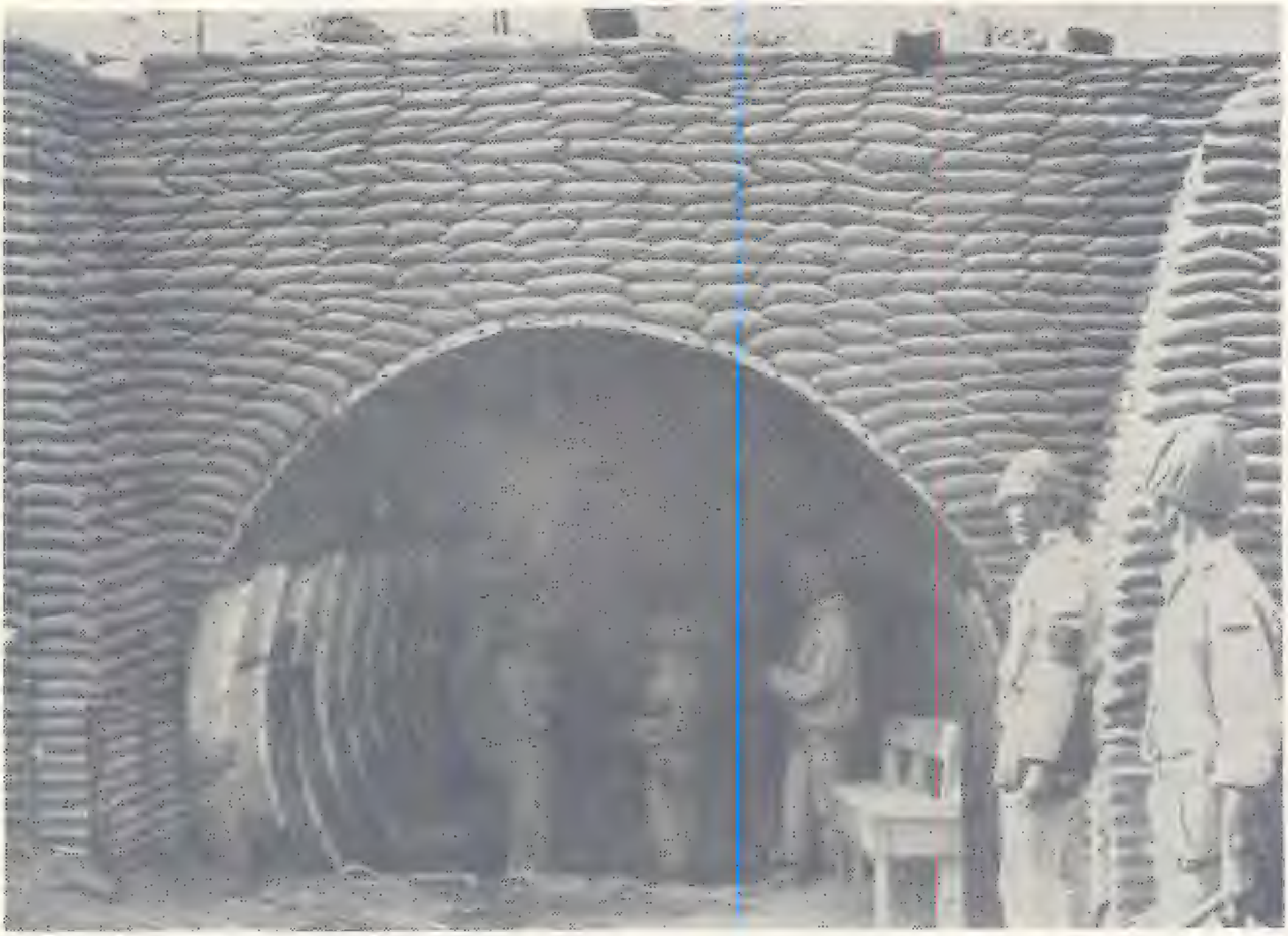

صورة لمدخل احدى النقاط القوية الاسرائيليـــة

اخواننا المطلين على المحيط الاطلسى ؛ ولكنهم هناك فى المغرب العربى ـــ نعم ، العربى اصلا ومنبتـــا ؛ وحضارة وثقافة ، وعقيدة وشريعة ، ولغة وقرآنا ـــ يتجاوبون بغير دعوة رسمية مع كل خاطرة وكل ملمة فى اي رقعة اخرى من ارض العروبة والاسلام ، رغم كل الدعاوي المسمومة التي تحاول جيدها ان تجعل بيننا وبينهم سدا . ولعلى اعود الى هذا الموضـــوع باستفاضة اكثر فى مناسبة اخرى ان شاء اللـــه تعـــالـــى .

سقط خط بارليف على جهة قناة السويس فى مصر .. وسقط خط الون على جبهة الجولان فى سوريا وكانا يمثلان رمزا صارخا للتحدي امام الارادة العربية ولكن الارادة العربية ـــ حين توحدت ـــ كانـــت على مستوى التحدي واكثـــر .

وكان شعار القاتلين « الله اكبـــر » . فاعظم به من شعار دانت له امتى الحصون .

الشاعر الانساني

أحمد الصافي النجفي

للأستاذ محمد رضا الحكيم

كان يدعى شاعر التشرد في المقاهي وعلى الارصفة لانه ضاق ذرعا بزمانه ومتناقضاته والوان التمزق التي تنخر كيانه في السر والعلانية . كان اكبر من زمانه بكثير ، بحيث حباه الله من صفاء الضمير ، ونبل القلب ورحابة الافق ، وقناعة الوجدان . ما جعله يزدري اللذات الزائفة ، ويعزف الا على ما فيه الكفاف والعفاف والتقى عن الناس . . كان يفضح كل زيف وانحراف ، ويشهر بكل اعوجاج وخروج عن سنة الصفاء والنقاء والبساطة والتواضع . وكان شديد الايمان بالحياة البدوية البسيطة التي ترى ان الانسان مهما بلغ ، ومهما طغى وتجبر ، ومهما ملك واختزن ، فانه لا يعدو أن يكون حفنة تراب ، فيجب أن يتواضع للارض التي منها خلقه الله ، وسوف يعود اليها ، وسيخرجه منها تارة أخرى ليحاسبه على افعاله واعماله ، خيرا كانت أم شرا .

هذا هو الشاعر الفيلسوف الذي كان من رواد مقاهي البرج وساحة رياض الصلح ، وبالاخص مقهى — الهافانا — بدمشق الشهباء . انه ذلك البدوي الذي كان يجلس القرفصاء أمام قدح الشاي ، متأملا تارة وناثرا على جلاسه شذرات في شعره الانساني الرفيع لقد غاب عنا مؤخرا ، والى الابد ، في العراق مسقط راسه ، بعد ان قضى معظم سنين حياته شريدا تائها في دمشق وبيروت ، زاهدا في الدنيا ومباهجها ومفاتنها يقنع بالقليل ، ويترفع عن الدنايا والشوائب والاوساب والتفاهات والتوقعيات . لقد كان نحيلا في رهافة السيف ، يلبس ثوبا فضفاضا كعقله الكبير ، وخياله المجنح الواسع ، واحلامه المخملية الفطرة . وكان ذا راس حليق ، كانه يرمز به الى شمولية تفكره على جميع اصقاع الكرة الارضية . انه معين لا ينضب ، وكوثر لا ينقطع ، يتحدث عن الادب والسياسة ، وذكريات الماضي ، ويصف كيف تم طرده من العراق بسبب قصائده الثائرة التي كانت دوعية للثائرين ، وثورة عارمة على الاستبداد والاقطاع .

والمرحوم احمد الصافي النجفي ، شانه شان المبادرة الاعلام والنوابغ الافذاذ ، انما هو في الحقيقة في تلك الشموع التي تذوب وتفنى لتضيء ما حولها ، من غير ان تضيء اساسها والجود بالنفس اقصى غاية الجود .

فلنستمع اليه ، وهو يخاطب الفلاح :

يتنازعون على امتلاكك بينهم
فليم عليك تشاجر وكفاح

كم دارت الاقداح بينهم ، ولم
تملأ بغير دموعك الاقداح !

يا غارس الشجر المؤمل نفعه
دعه ، فان ثماره الاتراح

اتعبته ، فالثمر الذي محرم
للفارسين ، وللقوى مباح

ان شاعرنا العظيم يكره الانانية من صميم قلبه ، ويطبق في حياته العملية مبدأ التقشف ، والزهد ونكران الذات ، والابتعاد عن الترجسية (اي الحب المفرط للنفس) . فهو الغريب الذي عاش ثمانين سنة بلا اهل ولا اقرباء ، وبلا وطن . . فقد كان كثير التنقل بين دمشق وبيروت . . وفي اخريات ايامه ، رصدت له الحكومة العراقية راتبا مدى الحياة . لكنه بقي كما كان ، لا يتنكر لطبيعته ، بل استمر في القسوة على نفسه ، حتى اندلعت الحرب الاهلية في لبنان ، فرجع الى وطنه العراق ضريرا . وهناك لبى داعي ربه ، وأسلم نفسه المعذبة لخالقها ، وانتهت الرحلة الطويلة للشقاء والقهر والتشرد .

ويصف فتنته بسوريا اذ يقول :

يا سوريا ما انت غير جزيرة
قد كثر العشاق فيك جمال

هذا الجمال عليك جر مصائبا :
ان الجمال على ذويه وبال

قد كان يعطيك المحب فؤاده
لو عز منك على المحب وصال

وللفقيد العزيز احمد الصافي النجفي شعر غزير ، وموهبة ثرة تجود بالكثير من العطاء الخير الدافق الذي ينضح في دواوين « الامواج » ـ « الثيار » ـ « الاشعة » ـ « الحان اللهيب » ـ « الشرر » ـ « ترجمة رباعيات الخيام عن الفارسية » .

الا ان شعره الاخير كان يقتصر على ابيات قليلة يضمنها افكاره واستخلاص العبرة والموعظة والحكمة من الحياة . فهو يرسل القريض عفويا من دون تكلف ولا تنميق ، متحريا الوضوح والبساطة في الديباجة والمحتوى . وهو يصوغ ذلك في قوله :

قيل لي : فيم لست تعنى بوشي
او بتنسيق فائض الاشعار

قلت : شأني ارسال شعري سبلا ،
ما على التنسيق للانهار

انه كان حلو المعشر حقا ، ومحبوبا من لدن المعجبين الكثيرين ببساطة شخصيته ، وحدة ذاكرته ، وسرعة خاطره ، وذلاقة لسانه . وكان يجد في الشاي مشروبه المفضل ، لانه ينشطه ويروي غليله ، ويزيل عنه الضجر والكدر والعناء ، ويطفىء نيران المرارة والجوى المتأججين في قلبه وفي ذلك يقول :

اذا صب في كأس الزجاج حسبته
مذاب عقيق صب في كأس جوهر

به احتسي شهدا وراحا وسكرا ،
وانشق منه عبق مسك وعنبر

يغيب شعور المرء في اكؤس الطلا
ويصحو بكأس الشاي عقل المفكر

يجد سرور المرء من غير نشوة ،
فأحببت به من منعش غير مسكر

ويقول في وصف دمشق ، والافتتان بحسنها وبهائها :

لا يبرح الحسن يوما عن مرابعها
كأنما الحسن من قدم بها افتتنا

لا يرتضي الطرف شغلا عن محاسنها
حتى تعادى فيها البقلة الوسنا

ايقنت اني من اهل الجنان ، ففي
دمشق اسكن جنات تفيض هنا

ويقول في وصف زحلة ، ووديها الاخضر ، ومرابعها الغناء ، ونسيمها العليل :

فيا وادي العراشش انت واد
يفر لك الفؤاد من الهموم

نجوم الكهرباء بكل ليل
تكون فيك افقا من نجوم

ويصف ثلج لبنان في لوحة جميلة آخاذة ، وهو يرى الارض قد فرشت ببساط ابيض ناعم ، فيقول :

يا ما احيلى الثلج محلى اعين ،
او ملعبا او مفرشا او مربضا

يلقى به اللاهون عيشا ناعما ،
او جنة بيضاء ، او مترويضا

واذا تضـــى اللاعى راى كفنـــا بـــه ،
ورأى فراشـــا ناعمـــا ان امرضـــا

ويقول فى وصف أعمدة بعلبك الستة الباقية على مر العصور والاجيـــال :

يـــا لسـت مـــن العواميـــد ظلـــت
كشمـــوع للدهـــر تجلـــو الظلامـــا !

قـــد تعالين فاتحـــدن رؤوســـا ،
ثـــم احكمـــن فى الثـــرى الاقدامـــا

حاكيـــات وســـط الفضـــا اخـــوات
قـــد تماسكن ، واتحدن غرامـــا

وحـــد الحســـن بينهـــن بتـــاج
حيـــث فى الحســـن قد بلغن التمامـــا

فتعاهـــدن فى كفـــاح الليالـــى
لا يبارحـــن خطهـــن انهـــزامـــا

او كقـــواد جحفـــل قـــد اطلـــوا
يصـــدرون الاراء والاحكـــامـــا

والشـاعر احمد الصافى النجفى مشهور بمواقفه الوطنية الصادقة . . فهو قد غادر العراق سنة 1920 عندما علم ان الحكومة البريطانية تسعى الى اعتقاله بسبب مواقفه الوطنية ضد الانتداب من لدن الدخيل الاجنبى - وكان فى غربته ووحشته يحس بكثير مـــن الفواجع والهموم . فلنستمع اليه اذ يقـــول :

لقـــد جر لـــى شعري الشقاء كأننـــى
بنظـــم قريضـــى ، انظم البؤس لا الدرا

قبلـــت بحظ ، وارتضيت بقســـمى
من الشعر ، لو استطيع ان انثر الشعرا

وهو قد نظم الشعر فى كل شىء : فى البرغوث ، والفار ، والقط ، والدجاج ، وتوخى البساطة المتناهية ، معتنيا بالفكرة والصورة ، وروعة المضمون فى مذاهب القالب . انه كان ينظم الشعر فقط ليدركه القراء ، لا ليعجبوا بالفاظه وصياغته وديباجته . فهو شعر بسيط سهل واضح ، بعيد عن التعقيد والتصنع والغموض والرمزية الجوفاء . ويبدو ذلك جليا فى دواوينـــه « الاعوار » ــ « اللفحات » ــ « الحان الشباب » . .

وكان تظيف الكف ، عف الضمير واللحظات ، عميق الغور والخطرات ، يمل شعره الطابع الانسانى بكل ما فى الكلمة من معنى ، فقترا فيه ابا الطيب المتنبى ، وابن الرومى ، وابا العلاء المعري ، وسواهم مـــن الفحول . . ولذلك تستانس به ، ويقترب منك بروحه ، ولو لم تكن لك به معرفة سابقة . . فهو يضم الـــى براءة الاطفال ، نقاء الثلج ، وصفاء المنطق والقلب ، فى صراحة لا يعتريها أقل غموض حتى مع نفسه ، فكيف بالاخريـــــن ؟ !

انـــه هـــو القائـــل :

اتيـــت بديوانـــى لاطبعـــه ، وقـــد
حوى من بنات الفكر ما يدهش الفكرا

وقـــد كدت انهيه ، ولكـــن غريحتـــى
من الشعر فى مد ، وكيسى شكا الجزرا

فقـــال ولى الطبـــع : جات زيـــادة
من المال ، او سد من شعرك البحرا

وهو يصف نفسه ، غيرينا ثباته وصموده امام الخطوب التى لم تستطع ان توهن عزيمته ، وتضرب نفسه وتوقف مسيرته الدؤوب فى دروب الحياة ، فيقول :

لئن اضعفت جسمى الخطوب وحملها
فما اضعفت نفسى ولا اوهنت عزمى

كأنى خيال حين امشـــى من الضنـــى ،
وليث عرين حين اسطـــو على خصمى

حياتـــى بنفســـى لا بجسمى منوطـــة ،
وقوتى قوت الروح والقلب ، لا الجسم

وهكذا فشعره نابض بالحياة ، ملىء بالحكـــم والمواعظ . فلنتامل هذه الابيات حيث يقول :

عجبـــا من طبيعـــة الكـــون تنشـــى
واحـــدا اثيـــدا ، والفـــا ذميمـــا

يتعـــادون فـــى هـــواه ، ولـــولا
فتنـــة الحســـن لـــم يكونوا خصوما

كـــم صريـــع منهم قضى فى هـــواه ،
وكئيـــب يرعـــى الدجى والنجومـــا

وهو يدعو : لقد وهبتك قلبي
يا حبيبي ، فكن بقلبي رحيما !

وقد عبر في مرارة عن شكايته بمن غدروا به ، ولم يقدروا اخلاصه لهم ووفاءه بعهودهم . وكان يتلطف اليهم ، ولا يكيد لهم ولا يطعنهم في ظهورهم ، على النقيض مما كانوا يعاملونه به من قساوة وشراسة في الطباع ، وجفاء في السلوك .

فيقول في هذا الخصوص :

اخلصت للصحب ، لكن
لم الق من خلصاء

وقد بليت بغدر
حتى من الاوفياء

قلوبهم مثل صخر ،
ولطفهم لطف ماء

غربت ورد وداد .
فصار شوك عداء !

وهو الساخر من واقعه ، يندد بالاشخاص الذين انكروا جميله ، ولم يحمدوا اياديه البيضاء ، بالرغم من انهم كانوا لديه من المقربين ، فهو يأنف من هذا المستنقع الاسن ، ويقول في تهكم صارخ :

سخرت ، وسوف اسخر من حياة
بنا سخرت ، لاعبنها كفتى

سأضحك في سخافتها زمانا
كما ضحكت على عقلي وذهني

لقد كافح الكفاح النبيل من اجل الحصول على السعادة ، ولكن الشقاء كان يترصده في كل وجهة هو يوليها . فهو القائل في عاطفة جياشة :

سعيت لتحصيل السعادة جاهدا
فزاد شقائي من ضياع جهودي

فطورا حسبت العلم يجلب سعادة
اذا السعد يمشي نحو كل بليد

وطورا ظننت الصيت يسعد اهله
فلم استفد بالصيت غير قيود

ان الدموع هي التعبير الوحيد في ساعة الشدة ، ومهما كانت المعاكسات والمعوقات والمثبطات البشرية فان القلب الجريح الذي يعصره الالم ، لابد وان ينال نفحة من النفحات السماوية ، لان الدمع اذا لم يرحموك ، فان ربك لن يزال عفوا حليما كريما رحيما ، وهكذا نجد شاعرنا — حينما اصابه مرض كان فيه على شفا قوسين من الموت — ينشد في ايمان واحتساب :

يضعضع الداء ايامي فاسكبها ،
ويقتل الدهر آمالي فاحييها

تبنى على الليالي من ذوائبها
سجنا ، فتنثر روحي من مبانيها

يا علة رافقت جسمي بمولده
حتى استحالت كجزء الروح احويها

اخاف فقد حياتي حين افقدها ،
واختشى من فنائي حين افنيها

كانت دموعي نصيري عند كارثتي ،
ترثي نيران احزاني فتطفيها !

ويصور لنا شاعرنا العظيم جنون العبقرية في لوحة هزلية لا تخلو من سخرية ومرارة للواقع الذي لا يتلاءم والروح التحررية التي ينشدها ، ويجد عزاءه فيها ، فيقول :

اذا شاعر رام اقترانا بزوجة
ففي البيت مجنونان يصطرعان

كفاني جنون العبقرية شاغلا ،
اصفي عليه من جنون غسان ؟

فكيف اذا زوجت شاعرة ؟ اذن
اعيش ومجنونين يصطدمان

فللمرأة الحسناء تأثير خمرة ،
فما اجتمعت والعقل ضمن مكان

فيا ليتني لم ارى انه ينفر حتى من المرأة الحسناء التي لها تأثير الخمر التي لا يمكن ان تجتمع هي والعقل في مكان واحد . وهذا رفض وتحدي حتى لما يمكن ان يكون مصدر الوحي والالهام عند البعض ، في حين انه في

نظره هو ، يتنافى مع المثل الذي يجب ان يبقى صافيا لينفذ الى اعماق الحكمة واغوارها ، ويعثر على الطمأنينة الروحانية الباطنية التي يتشدها . وفي ذلك قمة النبل وسمو العاطفة ، وسعة الافق الذي يترفع عن الاستهلاك المادي الزائف ، ويعرج الى النورانية الفكرية المطلقة التي هي فوق المعايير والمقاييس الاعتيادية الزائفة عن المثل الاعلى المطلوب . واذا كان هو ذاك جنون العبقرية ، فحبذا به من جنون !

ويرد على من ينتقدون ترجمته لرباعيات الخيام ، فيقول في براعة متناهية :

ظننت ترجمة الخيام مأثره
اذا بها لضعاف الرأي اجرام

ان كان هذا مثال الشعر في نفير ،
لا كان شعر ولا خمر وخيام !

ويرسم لنا لوحة من الشحاذين والامير ، فيصف نفسه — كعادته الساخرة الضاحكة — امام الذين قد ابتلاهم الله بالنظرة السطحية الى الاشخاص والاشياء ، فيحسبون المتعففين الطائفين لماء وجوههم ، اغنياء من التعفف ، ويسمونهم بغير اسمائهم الحقيقية ، ويعتبرونهم بغير نعوتهم اللائقة بفرسانهم الكبيرة ، وقلوبهم القانعة والعامرة بأنوار الايمان واليقين ، والخالية من الاطماع والتمويهات والاماني المفتة . فيقول في ذلك :

ومقهى قد جلست به وعقلي ،
من الافلاس قد بلغ الجنونا

ارجي الرزق من ربي ، ولكن
أرى الفحاذ تحوي مثيلنا

وكم من جاهل فيهم اتاني
يجر بنانه تلو البنينا

ينادي : قد عجزت فأطعموا لي
صغاري ، أن تكونوا راحميا

وكم من احمق منهم دعاني
اميرا ، فامتلا قلبي شجونا

دعاني بالامير ، وكنت اولى
بأن ادعى أمير المفلسينا !

ان هذه الابيات تنم — وايم الحق — على نبل المشاعر التي لا ترضى اختراف التسول ، ما دامت كرامة الانسان يجب أن تكون أغلى عليه من الدنيا وما فيها . فالعمل مع الالتجاء الى الخالق الرازق سبحانه ، أولى بالمرء من التواكل والعجز ، ومد اليد الى المخلوق العاجز البائس الفقير الذليل ، بينما الله وحده هو القوي الحميد المجيد الغني القدير العزيز الذي يحتاج اليه كل ما عداه ، ولا يحتاج هو الى اي احد سواه .

وشاعرنا يأبى العبودية والتقيد ، ويعشق السياحة في ارض الله ، باحثا عن الاسرار وحقائق الحياة وخفاياها . فلنصغ اليه اذ يقول في صدق وصراحة :

قد اخترت منذ القدم عيش التشرد
لفقري ، والفوضى ، وحب التجرد

ولو انني اسلو التشرد عاد لي
فكيف سلوي رفقتي في التشرد ؟

تعلمت ما لم تعطني الكتب منهمو
فجئت الى الدنيا بهذا التجدد

معاشهمو ما يكتبون بيومهم
ومرقدهم ما عن من متوسد

وواحدهم ان لم يجد متوسدا ؛
توسد مرتاحا ، واغفى على اليد

يعيشون في متاهمو كعشيرة ،
وان ينتسبوا كل لارض ومحتد

وهل نسب مثل التشرد جامع ؛
تجمع فيه كل شمل مبدد ؟ !

فليت به (جمعية الامم) اقتدت
لتهدي الى التوحيد من ليس يهتدي !

ارانى حرا ان اكون بجمعهم
ولو فى سواهم عيش عبد مقيد

فشيطان شعري نوضوي بطبعه
له ولع مثلي بعيش مشرد

والواقع انه ابدع واجاد في هذا الوصف الوجداني النفساني العميق . والحديث عن عمق الذات من اصعب

انواع الحديث . لكن الشاعر توخى الحقيقة كلها فيما يقول : فهو لا ينكر فقره وفوضاه وحبه للتجرد ، وهو لا يجحد طبيعته ؛ ولا طبيعة رفقائه الذين يخبر عنهم بانه يتعلم منهم ما لم تعلمه الكتب اياه . وهذا تجديد بالنسبة اليه وتلك عصامية تستحق كامل التنويه والاشادة والثناء . انه يعشق البساطة ، ومبدأ الاستغناء والقناعة ويعتبر ان الغربة هو القاسم المشترك بين جميع الغرباء ، وانه النسب الوحيد الذي يؤلف بينهم ، ويعطى بذلك درسا لمن يتوخون التوحيد على أعلى المستويات ، وتلك هي الحرية المنشودة في عالم تكثر فيه السدود والقيود ، والعبودية والاغلال والفوارق الاجتماعية والطبقية والعنصرية . فان كان هذا هو التشرد في عصرنا الصاخب المليء بالمتناقضات والصراعات الجوفاء ، فمرحبا به وبالداعين اليه !

ويطيب لنا ان نورد فيما يلي هذه القصيدة التي يدافع فيها الشاعر دفاعا مستميتا عن مبدئه في التشرد وهل الحياة سوى شرود مستمر ، وغفلة لا تنتهي الا بانتهاء الاجال ؟ فالناس نيام ، فاذا ماتوا استيقظوا . وخلاصة ما يمر على البرايا انهم عاشوا وتألموا وماتوا ! وذلك باختصار هو تاريخ البشرية كلها .

فلله در شاعرنا اذ يقول في قمة الاجادة :

يقولون : بيتي سوف يغدو محجة
اذا ما طوى شخصي القضاء المحتم

يحج له عشاق شعري مواكبا
يقبله هذا ، وذاك يسلم

وذاك يكفيه بمس تبركا ،
جدارا له ، والبعض ساه يعظم

وذاك يشم الارض منه تيمنا ،
وهذا على ايامه يترحم

فقلت : وهل لي اي بيت يضمني ،
وعمري طواف مزمن وتبرم ؟ !

فبيتي مقاه جمة وفنادق ،
اقيم بها حينا فاشقى واهرم

وبيتي زوايا لا تعد سكنتها ،
وروض وصحراء بها كنت انعم

وكرسي مقهى كنت اجلس فوقه ،
وشاطيء بحر فيه اهنا واسلم

وبيتي خرابات بشعري عمرتها
اجيء لها انعى الهدوء وانظم

سأتعب عشاقي طوافا ورحلة .
فينجد ذا بحثا ، وذلك يتهم ؛

ارى حظ عشاقي كحظي تشردا ،
فانهمو مني ، كما انا منهمو ! !

وبعد .. فرحم الله الشاعر الانساني الخالد ، وبلبل العروبة الصداح الفريد ، احمد الصافي النجفي ، وسقى جدثه الطاهر بشآبيب المغفرة والرضوان .. فليس لنا ما يغرينا ويسلينا في فقدانه — وهو الذي قال عنه الاستاذ عباس محمود العقاد بأنه « اشعر شعراء العربية » — سوى هذه الآثار المبدعة ، والنفحات الزكية المنبثقة من القلب الشفاف ، والروح المرهفة المشرقة الوضاءة . والواقع ان الشاعر يعيش عيشة الخلد والابد والسرمدية في ثيون شعره ، وعرائس فوضه ، وشواهد عبقريته وذكائه ، واستمرارية النور في ومضاته اللانهائية ، وفيما يخلفه للاجيال من نفحات عطرة ، وكوائر لا ينضب معينها ، ولا يغور سلسبيلها ، وفيما يحمله من مشاعل وهاجة لن تخبو جذوتها ، وتضيء دروب الحق والخير ، مدى الدهور والعصور والاجيال .

القصيدة

عند شعراء مدرسة أبولو .

عرض للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

رسالة دكتوراه قدمها الاستاذ محمد سعد شوان الى كلية اللغة العربية بجامعة الازهر وحصل بها على الدكتوراه فى الادب مع مرتبه الشرف الاولى .

— 1 —

عرض بقلم : د. حسن عبد المنعم خاجى

هذه الرسالة تتكون من :

أ — تصدير ومقدمة ، اشتملا على :

— ذكر الاسباب التى دفعت الطالب الى اختيار الموضوع .

— بيان اهمية الموضوع ، واهمية دراسته ، ومدى الحاجة اليه .

— التعريف بمنهج الرسالة ، وخطة الطالب فى تناوله البحث .

— بيان الصعوبات والعقبات التى عاناها الطالب ، وكيفية تذليلها والتغلب عليها .

— التعريف بأبرز المصادر والمراجع التى افادت الطالب فى بحثه .

— التنبيه بأبرز مظاهر الجدة فى الموضوع ، وبما لها من آثار فى محيط الدراسات الادبية الحديثة

ب — هيكل البحث ، بتمهيده وابوابه وفصوله وخاتمته .

ج — مصادر الرسالة ومراجعها وفهارسها .

اما هيكل الرسالة : فيحتوي على خمسة ابواب وخاتمة ، ولكل باب فصوله الخاصة به ، وقد بلغت مجموعها سبعة عشر فصلا على الوجه التالى :

1 — الباب الاول :

وموضوعه : القصيدة . . . مفهومها ، وبناؤها الفنى ، ويشتمل على اربعة فصول :

الفصل الاول : فى مفهوم الشعر ، والقصيدة ، والقصيد ، والرجز ، وفيه عرض الباحث لمفاهيم : الشعر — والقصيدة ، والقصيد ، والرجز فى القديم والحديث ، وناقش تلك المفاهيم مناقشة علمية جادة ، من اجل ابراز خصائص كل منها على نحو مشرق ، مبينا اوجه الاختلاف بينها ، مع الاشارة الى الاثار التى تترتب على دراسة تلك المفاهيم ، فى التناول الفنى للقصيدة عند شعراء ابولو .

الفصل الثانى : عن المعجم الشعري عند شعراء ابولو ، وفيه عرض الباحث لابرز الالفاظ التى اشتمل عليها المعجم الشعري بقسميه (المفتوح والمغلق) عند شعراء ابولو ، مع توضيح المقصود بالمعجم الشعري المفتوح ، والمعجم الشعري المغلق وربط الحديث عنهما بالعصور الادبية السابقة ، والاشارة الى نظرية جديدة قامت اصلا على معجم شعري خاص هى « نظرية التحليق الشعري » وما كان لشعراء ابولو فيها من آثـــار .

الفصل الثالث : عن الشكل والمضمون فى القصيدة ، وفيه اشار الباحث بايجاز مركز الى اصداء تلك القضية فى النقد القديم ، ثم عرض آراء نقاد وشعراء ابولو فى تلك القضية ، مع العناية بتطبيق تلك الاراء على اشعارهم ، وابراز مواطن الجدة والابتكار فيهـــا .

الفصل الرابع : عن الوحدة الفنية للقصيدة ، وقد ابرز الباحث فى هذا الفصل كثيرا من نقاط النقاش والجدل التى فجرتها قضية الوحدة الفنية فى القصيدة مع اسهامه بالراي والتوجيه ، والتقويم ، والتنبيه على ما كان لشعراء ابولو من اثر فى بعض جوانب تلك القضية ، وتطبيقه على اشعارهم .

2 ــ البـــاب الثانـــى :

موضوعـــه : الاجناس الشعرية عند شعـــراء مدرســـة ابولـــو ، وقد تناول الباحث هذا الموضـوع فى فصـــول ثلاثـــة :

الفصل الاول : وفيـــه عرض الباحـــث للاغراض والنزعات الشعرية عند شعراء ابولو ، ومن تلـــك الاغراض التى تناولها الباحث تناولا فنيا جادا :

(الشعر الوصفى ــ الشعر الوطنى ــ شعـــر الرثاء ــ شعر الفلسفة والتأمل والتصوف ــ بكاء الاطلال ــ شعر المجـــون) .

ثم عقب ذلك بالشـعر العلمى ، مفرقا بينه وبين الشـعر العلمى القديم ، مشيرا الى الجهد الكبير الذي بذله رائد مدرسـة ابولو الشعرية (الدكتور احمد زكى ابو شادي) فى دعم هذا اللون من الشعر .

الفصل الثانى : عن الشـعر القصصى والملحمى ، وقد فرق الباحث فيه بين القصـوصة والقصة والرواية والملحمة ، ثم عرض لقضية الملحمة فى الادب العربى بايجاز مركز ، مشيرا الى ان طبيعة الحياة عندنا تختلف فى الكثير من جوانبها عن الغرب تفرض علينا الاخـــذ بحذر عن الغرب ، ومراعاة ما بيننا وبينه من فـــروق ثم درس انتاج شعراء ابولو فى ميدان القصة والقصوصة والملحمة مبرزا خصائصهم ، وسماتهم الفنية فى تلك الاعمـــــال .

الفصل الثالث : عن الشـعر المسرحى والاوبرى عند شعراء ابولو ، وفيه اشار الباحث الى فن جديد هو فن الاوبرا عارضا لمدارسه فى الغرب ، ومنزلته بين فنى الادب والموسيقى وعوامل فشله على الرغم مما بذله الدكتور ابو شادي فى سبيل انجاح هذا الفـــن الوليد من جهود ، وما لاقاه فى سبيله من صعاب .

3 ــ البـــاب الثالـــث :

وموضوعه : الخصائص الفنية للقصيدة عنـــد شعراء مدرسة ابولو ، ويحتوي على ثلاثة فصول :

الفصل الاول : فى الخصائص المتصلة بالموضوعات وطبيعة التجارب الشعرية ، ومن تلك الموضوعات التى عالجتها الدراسة : (موضوع الحب والمراة ــ الغربة الانسانية ــ الطبيعة والحنين الى مواطن الذكريات ــ الشكوى والالم ، وقد ارجع الباحث تلك الموضوعات التى عنى بها شعراء تلك المدرسة الى الاتجـــاه الرومانتيكى ، الذي ظهرت عنايتهم واضحة به فى جـــل ما خلفـــوه من آثـــار .

الفصل الثانى : فى الخصائص المتصلة بالاسلوب وطريقة الاداء ، وقد اشار الباحث الى تلك الخصائص متمثلة فى : (الاعتماد على معجم شعري خاص ــ الميل الى استخدام الاساليب الرمزية ــ التعاطف مـــع الاشياء ــ تجسيم المعنويات ــ منح الحياة الانسانية لما ليس بانسان ــ التجريد ــ التعبير بالصورة ــ استعمال الكلمات الموحية ــ استخدام الالفاظ الشائعة المتصلة بالطبيعة وبالجو الروحى ــ استخدام الالفاظ الشائعة فى الاساطير اليونانية ، وهذا فى التاريـــخ المصري الفرعونـــى القديـــم ــ التكرار) .

الفصل الثالث : عن الخصائص الفنية للموسيقى الشعرية عند شعراء مدرسة ابولو ، وقد ناقش الباحث مظاهر التجديد الموسيقى التى ادخلها شعراء ابولو على القصيدة ، اى تابعوا فيها غيرهم من امثال : الشعر المرسل ، والشعر الحر ، والشعر المنثور ، وغير ذلك .

ولم تقف عناية الباحث عند عرض النظم التى تنهض عليها تلك الانماط الموسيقية وغيرها ، بل كانت آراؤه فى تلك الانماط ، وافكاره التى ترتكز على احترام التراث الادبى والنقدي للغتنا العربية وتقاليدها الشريفة فى المقام الاول .

4 ــ الباب الرابع :

وموضوعه : النزعات التجديدية الاخرى فى القصيدة عند شعراء ابولو ، وقد تناول الباحث هذا الموضوع فى اربعة فصول :

الفصل الاول : عن الاتجاه الرومانتيكى ، وقد اقام الباحث موازنة بين رومانتيكية هذه المدرسة ورومانتيكية شعراء الديوان ، ثم بين رومانتيكية ابولو ورومانتيكية المهجر ، مبينا ان رومانتيكيتهم اقرب الى رومانتيكية شعراء المهجر ، وبخاصة فى الالفاظ والصور والخيال .

الفصل الثانى : عن الاتجاه الرمزي عند شعراء ابولو ، وقد درس الباحث الرمزية فى الادب العربى مشيرا الى ان الرمزية القديمة فى الادب العربى تختلف عن الرمزية المذهبية الغربية ، ثم اوضح خصائص الرمزية من حيث الموضوعات والاسلوب وبين ان الرمزية قد تكون فى اللغة ، وقد تكون فى الفلسفة واستكناه الغيب ، وقد تكون فى الصور والموسيقى ، وقد تكون فى الموضوع ، ثم عالج تلك الانماط جميعها عند شعراء تلك المدرسة .

الفصل الثالث : عن الاتجاه العمودي الكلاسيكى وتجديدهم فيه ، وقد اشار الباحث الى الاسس التى تنهض عليها نظرية عمود الشعر فى النقد القديم ثم وازن بين تلك الاسس وما يناظرها من اسس بدت فيها مظاهر الجدة واضحة عند شعراء ابولو فى نظرتهم الى تلك النظرية النقدية العامة .

الفصل الرابع : عن شعر التصوير عند ابى شادي ومدرسته ، وقد اشار الباحث الى الفرق الفنية بين شعر التصوير والنحت والتصوير ، ثم درس هذا اللون الجديد من الشعر عند ابى شادي ومدرسته على نحو منهجى سليم .

والباب الخامس :

موضوعه : مدرسة ابولو فى ضوء النقد الحديث ، وقد افرد الباحث لهذا الموضوع ثلاثة فصول على النحو التالى :

الفصل الاول : فى المعارك النقدية للمدرسة مع خصومها ، وقد درس الباحث هذا الموضوع دراسة وافية ، معتمدا على منهج علمى جاد فى التناول والاداء .

الفصل الثانى : وفيه درس الباحث مفهوم « المدرسة » فى الادب بعد ان حدد شرط قيام المدارس الادبية راى ان جمعية ابولو ومجلتها مدرسة ادبية جديدة فى تاريخ ادبنا الحديث .

الفصل الثالث : وكان عن اثر شعراء ابولو فى شعراء جيلهم وفى شعراء اليوم .

اما اهم الافكار والنتائج الجديدة التى كشف عنها الباحث فى رسالته باختصار شديد :

1 ــ البحث فى جملته وفق منهجه ، وبالهدف الذى قصد اليه الباحث بعد جديدا لم يكتب فيه من قبل ، ودراسة القصيدة عند شعراء مدرسة ابولو وتناولها بالمعايير النقدية فى الدراسة والتحليل شىء جديد على البحث كل الجدة ، اضيل غاية الاصالة وعلى جانب كبير من الاهمية من حيث الاهداف والنتائج .

2 ــ عرض الباحث الاعمال الكاملة تقريبا لمدرسة ابولو عرضا شاملا دقيقا وذلك لاول مرة فى تاريخ الدراسات الادبية الحديثة .

3 ــ فهرس الباحث المعجم الشعري ، ورصد ظواهر التجديد فيه منذ عصري الجاهلية وصدر

الاسلام حتى العصر الحديث ، مع العناية بدراسة المعجم الشعري لدى شعراء ابولو .

4 — استخدام الباحث مصطلحات لم يسبق لدارس او باحث استخدامها من قبل ، من امثال : المعجم الشعري المفتوح ، والمعجم الشعري المغلق ، وغير ذلك .

5 — ربط الباحث المعجم الشعري المغلق بحياة صاحبه ، واعتبره مقياسا صحيحا للحكم على الشاعر ، مع تحديد درجته ومنزلته .

6 — حقق الباحث من خلال دراسته للمعجم الشعري المفتوح عند شعراء ابولو نظرية « التحليق الشعري » مع مناقشة الاراء السابقة في تلك النظرية ، وتحقيق القول فيها .

7 — عرض الباحث مشكلة اللفظ والمعنى ، وكذا قضية الوحدة الفنية في القصيدة عرضا جديدا ، وباسلوب جديد ، مع الموازنة بين آراء نقاد ابولو في هذا الصدد ، وآراء السابقين فيها .

8 — ناقش الباحث القول بحرية نظام الالفاظ داخل اطار القصيدة الواحدة ، وراعى في مناقشته ما بين لغتنا واللغات الاجنبية من فروق في الصياغة والاداء .

9 — ذهب الباحث الى صعوبة تطبيق الوحدة العضوية بمفهوميها الحديث والشائع على القصيدة الغنائية ، ورأى انه من الاولى قصر تطبيقها على الشعر الموضوعي .

10 — بسط الباحث القول في اغراض المدرسة ونزعاتها الشعرية ، ورصد كثيرا من الظواهر المحيطة بها على نحو غير مسبوق اليه .

11 — خالف الباحث بعض الباحثين في القول بنجاح ابي شادي في الشعر العلمي من حيث تمثيل غيره ، وحقق القول في تلك المسالة .

12 — خطأ الباحث بعض النقاد في قوله بان الشعر بغير علم اقرب الى الهراء والسخف منه الى الاعتدال والحق ، وان اجهل الشعراء بالعلوم اشدهم سخفا وهذرا .

13 فصل الباحث القول في الخصائص الفنية للقصيدة عند شعراء ابولو سواء منها ما يتصل بالموضوعات وطبيعة التجارب الشعرية ، ام بالاسلوب والطريقة الفنية في الاداء ام بالموسيقى .

14 — اشار الباحث الى ما كان لشعراء ابولو من تجديد في الاتجاه العمودي الكلاسيكي .

15 — درس الباحث شعر التصوير عند ابي شادي ومدرسته ، وذكر كثيرا من الفروق الفنية بينه وبين النحت والتصوير .

16 — وضع الباحث مفهوما جديدا للمدرسة الادبية ، وذهب الى ان جمعية ابولو ومجلتها مدرسة ادبية جديدة في تاريخ ادبنا الحديث .

17 — عرض الباحث المعارك النقدية لابولو منح خصومها عرضا شاملا ، وناقش القضايا التي اثارتها تلك الخصومات على نحو موضوعي .

18 — حصر الباحث الرواد الاصليين لمدرسة ابولو ، ثم بين اثر هؤلاء الشعراء الرواد في شعراء جيلهم ، وفي شعراء اليوم في مصر ، وفي غيرها من بلاد العروبة والاسلام .

وهذا عمل مثمر ومجهود ضخم من الباحث ، حيث ابرز لنا الجانب المشرق من تراث مدرسة جديدة من مدارس الشعر في العصر الحديث ، وعرضه عرضا امينا ، ودعانا الى مطالعته والاتصال به ، والعناية بالانتاج الشعري الضخم لرواد تلك المدرسة .

وقد اعتمد الباحث في رسالته على الكثير من امهات الكتب والمصادر بصورة مستوعبة شاملة ، وبذل جهدا واضحا في الافادة منها .

كما اعتمد في دراسته الشعرية على دواوين شعراء ابولو ، واعتمد كذلك على كثير من المراجع الادبية والنقدية الحديثة ، وقد وفق الباحث الى الافادة من هذه وتلك ، مما جعل البحث يبدو وفي صورة الشمول والتكامل والاحاطة ، والدقة والاستقصاء ، والمصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث يمكن ان تشير الى انها تنوعت على النحو التالي :

1 — كتب ومؤلفات لرواد من مدرسة ابولو ، وتعد من مصادر البحث الرئيسية وقد بلغت (15) مصـــــدرا .

2 — قصص ومسرحيات وملاحم ، ودواوين شعرية نشرت مستقلة لهم ، وقد بلغت (11) قصـــة ومسرحية وملحمة ودواوين شـعرية .

3 — المصادر العامة ، وقد بلغت (21) مصدرا .

4 — كتب تناولت مدرسة أبولو ، أو اشارت اليها ؛ وقد بلغت (31) كتابا .

5 — مراجع عامة فى الموضوع ، وقد بلغت (161) مرجعـــــا .

6 — دواويـــن شعرية ، وقد بلغت (86) ديوانا .

7 — معاجم لغويـــة ، وعددها ثلاثة .

8 — الدوريات ، وقد بلغت (22) ما بين صحيفة ومجلة وجريـــدة .

وبذلك بلغت مصادر البحث ، ومراجعه فـــى مجموعها نحوا من (350) ثلاثمائة وخمسين مصدرا ومرجعا ، وفق الباحث الى الافادة منها ، ورصـــد افكارها ، واستخلاص النتائج منها فى دربـــة كاملة ، وتقع الرسالة فى نحو ثمانمائة صفحة .

والرسالة منهجا وموضوعا واسلوبا تدل علـــى باحث عميق ، متمكن من أدوات بحثه ، ومادة درسه ، حريص على الجدة والاصالة فى البحث ، وفى الرسالة كذلك ما يرشد الى ملكة الطالب المذكور العلميـــة الاصيلة ، وقدرته الكاملة على البحث والمناقشـــة ، والتحصيل والموازنة الدقيقة ، والحكم المنصف النزيه ، واحترام المصادر والمراجع ، وامانة التعامل معهـــا ، والافادة منهـــا .

وفى ذلك كله ما يشير الى مستقبل علمى جليل ينتظر صاحب الرسالة فى حياته العلمية ولذلك كانت موضع تقدير لجنة الحكم على الرسالة التى ناقشـــت صاحبها فى كثير من المسائل النقدية والادبية والتاريخية واللغوية مناقشة طويلة مثمرة ولولا ان الرسالة ما تزال مخطوطة لاثبت كل هذه الملاحظات هنا ، والبحث فى جملته سوف يفد من المصادر عن مدرسة ابولـــو وشعرائها وتجديداتهم .

● قال النبي صلى الله عليه وسلم : الناس كابل مائة لا تجـــد فيهـــا راحـــــة ...

وقالت الحكماء : الكرام فى اللئام كالغرة فى الفرس ...

أبجدية متطوّرة

للأستاذ عرنابه الداعوق

ما كاد ينبلج الصبح حتى قفزت من فراشي متخلصا من تعب العتمة ، استقبل بشائر نهار جديد في مدينة جديدة هي « سكوبيا » عاصمة جمهورية مقدونيا اليوغوسلافية .

كان المطر قد توقف منذ ساعة بعد ان غسل الدنيا وترك فوق كل شيء لمعانا وبريقا عجيبا .

فتحت نافذة غرفتي بالفندق الكبير ، والتي تطل على ساحة واسعة ، فرايت الناس يتراكضون الى اعمالهم في سرعة مذهلة .

كانت هناك محطات الاتوبيس والترامواي .. وكان الناس يصطفون على الرصيف في انتظام مبهر ، الواحد خلف الآخر ، ثم يصعدون دون تزاحم او تدافع برشاقة وخفة ، فما يكاد يمتلىء الباص او الحافلة حتى ينطلق ليقف مكانه غيره ، وهكذا ..

كذلك كانت السيارات الصغيرة تنطلق مسرعة دون ضجيج او ترنيق من ابواقها ، فالابواق عندها لا تستعمل مهما كانت الظروف .

من زاوية اخرى من المنظر البانورامي البديع كنت اراد وراقبه ، كانت عربات الخضار والفواكه تنطلق من السوق الخلفي ، عربات اشبه بالفراجات القادمة ذات اطارات من الكوتشوك تحمل في مقدمتها صندوقا تتكدس فيه كل انواع الخضار والفواكه .

شيء واحد متميز ، وهو ان الهدوء كان يشمل كل شيء على الرغم من السرعة الفائقة لبداية النهار وبداية العمل .

والتفتت نحو الزاوية الاخرى لارى بعض العربات التابعة لادارة التنظيفات تقوم بمهمتها في تنس الشوارع وامتصاص بقايا مياه المطر ..

كذلك كان النهر الصغير يجري بهدوء عجيب وقد تكدس الناس فوق جسوره المتعددة ينتقلون من جهة لاخرى في سباق مع الزمن .

اما المشهد الذي لا انساه ، فهو الذي حدث امامي مباشرة ، عند الساحة الصغيرة مقابل الفندق .

رجلان كانا يتحدثان مع بعضهما حين نزلت سيدة شابة من الفندق تحمل في يدها حقيبة سفر كبيرة ، تلفتت يمنة ويسرة ، وتركز بصرها عند باص متحمس للانطلاق ، كانت تريد ان تخطو سريعة نحوه لكن حقيبة سفرها منعتها من ذلك ...

فانطلق الرجلان نحوها ، احدهما حمل الحقيبة من يدها ، والثاني امسك بذراعها ، وانطلق الثلاثة باتجاه الباص ، حتى اذا وقفوا بقربه صعدت السيدة وناول الاول الحقيبة لصاحبتها فيما كان الثاني يطمئن على سلامة صعودها .

ومشى الباص ، وخلال ثوان كان يغيب عن البصر .

وعاد الرجلان معا الى حيث كانا يقفان منذ لحظات ..

عندئذ تأكدت ان الامر لم يكن الا مساعدة للسيدة واستقبالا منهما لعمل انساني متواضع قاما به في هذا الصباح المبكر .

وبعد تناول طعام الافطار كان مرافقي الدكتور « ايفان توسكي » ـ وهو طبيب شاب ووسيم دائم الابتسام والاشراق ـ ينتظرني في جولة الصباح .

وجولة ذلك اليوم كانت الى الاسواق والمجمعات التجارية .

ولاحظت خلال تجوالنا نظافة المدينة البالغة ؛ وتنسيقها البديع ، وحدائقها الرائعة التي كانت تحوي كل انواع الزهور والورود ونباتات الزينة .

ومنظر الحدائق في يوغوسلافيا يبعث على الاعجاب ..

والشعب اليوغوسلافي محب للزهور الى حدود العشق ، لكنك لن تجد يدا واحدة في كل البلاد تمتد لقطف زهرة او وردة .

والزهور تجدها اينما تلفت ، في الحدائق والفنادق والبيوت والساحات العامة ، والمحلات التجارية ، حتى في المعامل والمؤسسات وشرفات الابنية والمكاتب .

كان مرافقي يشرح لي كل شيء ، ونحن نتجول في الساحات والشوارع ، وكان دائم الابتسام والمرح .

وشعرت ان هذا الانسان اللطيف يشعر في اعماقه ويحس بطعم السعادة . السعادة من كل شيء وتجاه كل شيء ايضا .

واذكر انني منذ اليوم الاول للقائي به ربطتني به صلة قوية اخذت تقوى مع الساعات والايام وكانتا جمعتنا صداقة امتدت عبر مراحل الطفولة والدرس والشباب .

فاذا هو يبدي لي رغبة ملحة في تعلم اللغة العربية .. في تعلم بداياتها الاولى وكلماتها الهامة ؛ فلانه يحب العرب يشعر بحاجة لتعلم لغتهم .

ابديت له رغبة مماثلة ، فراح كل منا يسجل في دفتر صغير ابجدية لغة الآخر ..

ولم تكن هذه الابجدية الحروف ، وانما كانت الكلمات .

وبداية الكلمات كلمة : الحب .

فتعلم وسجل كلمة : احبك . واحبكم .. بالعربية

وتعلمت وسجلت كلمة : (فولمته) . احبك . واحبكم .. باليوغوسلافية .

من هنا كانت البداية ..

وما احلى البداية ..

ما احلى ما تكون مع الحب والصداقة والصفاء .

= * =

في الاسبوع الماضي وردتني بطاقة بريدية ؛ عرفت من الزهور الرائعة التي شغلت الحجم الاكبر من مساحتها ، وقبل ان اطلع الى طابع بريد البلد الذي جاءت منه ..

ولولا ان ابني الصغير كان بقربي يعيش معي ؛ لتأكدت ـ من رداءة الخط ـ انه هو الذي ارسل البطاقة .

وبصعوبة بالغة استطعت ان افك حروفها ؛ فاذا الكلمات تقول :

(لانني احبك يا صديقي . فانا احب شعبك وبلدك .. ولانني احبكم جميعا فانتم تعيشون معي في قلبي وعقلي .) ـ صديقك : الدكتور ايفان تولسكي .

وابتسمت وانا اشم حروف صديقي اليوغوسلافي الذي تعلم العربية وها هو ذا يكتب لي بلغتها .

وتناول ابني الصغير ـ رديء الخط ـ البطاقة .

اعجب بالمنظر الرائع فيها ، وراح يقرأ كلماتها في سرعة وطلاقة مذهلة ...

واستأذن مني ان يأخذ البطاقة ويحتفظ بها .

وليلا ، عندما كنت اطمئن على صغيري في سريره ، وجدت البطاقة الحلوة وقد تيتمها بدبوس صغير على خشب السرير فوق راسه ، وكتب تحتها على ورقة ملصقة بها هذه العبارة وبخطه الرديء للغاية :

(صديق ابي ـــ وصديق شعبي الذي يحبنا ونحبه لانه يحبنا كثيرا) .

حمص ـ سوريا : عدنان الداعوق

مكتبة دعوة الحق

- المشكلة الثقافية فى العالـــم الاسلامـــي : واقعهـــا ، وعلاجهـــا

المشكلة الثقافية في العالم الإسلامي
واقعها وعلاجها

تأليف : د. محمد المبارك
عرض : الأستاذ زين العابدين الكتاني

المشكلة الثقافية في العالم الاسلامي لا تختلف كما يؤكد ذلك رجال التربية والفكر ، وهي في الحقيقة ليست مشكلة ، ولكنها حقيقة مشاكل العالم الاسلامي وأساس الداء فيه . . .

ولذلك فالذين لا ينطلقون من هذا الاساس انما يحاولون أن يغضوا الطرف عن مشاكل العالم الاسلامي في عمقها ، وهذا ما استهدفه جلالة الملك الحسن الثاني وهو يدعو الى قيام حركة الاصالة منذ سنوات ، وهذه النظرية تتبلور الان وتختمر لتؤكد للعالم الاسلامي المنطلق الاصيل الذي انطلق منه المغرب وهو يدعو الى الايمان والتوحيد والعودة اليهما . . .

وضمن هذا الاطار نلتقي في هذا العرض مع كتيب جديد صدر ببيروت للمفكر الاسلامي الكبير الاستاذ محمد المبارك بعنوان : « المشكلة الثقافية في العالم الاسلامي واقعها وعلاجها » .

والكتيب كما اشار اليه المؤلف هو بحث سبق له ان تقدم به للمؤتمر الاسلامي العام المنعقد بمكة المكرمة بعد موسم الحج عام 1383 هـ — 1963 م وهو يقع في ثلاثين صفحة من الحجم المتوسط ، قسمه الى اربعة مواضيع تتناول بالدرس :

— النظام الثقافي الحالي في البلاد الاسلامية .
— والازدواج في التعليم .
— والاتجاهات والمحاولات الجديدة .
— والوسائل المقترحة لتحقيق الاهداف التي يراها الاستاذ المبارك كفيلة للوصول الى نظام ثقافي اسلامي ، خصوصا وانه ممن خبر هذا المجال ومارسه خلال سنوات عديدة مستهدفا من وراء ذلك الوصول الى نتائج صحيحة وفعالة للبعث الثقافي الاسلامي ، وأحياء فكرته وعقيدته ونظامه في هذا العصر الذي هو أحوج ما يكون اليه .

والمؤلف كما يلاحظ ذلك في كل موضوعات كتابه ، وخصوصا بالنسبة للنظام الثقافي الحالي في

البلاد الاسلامية ، يرى انه يسيطر على هذا العالم بوجه عام تفكير غير اسلامي في اسسه ومفاهيمه ، سواء كان ذلك عن طريق التعليم في المدارس ، او طريق وسائل النشر الاخرى كالصحف والمجلات والاذاعات والكتب المترجمة والمؤلفة .

ففي المواد الدراسية ولاسيما التاريخ والاجتماع والتربية الوطنية والمعلومات المدنية ، وفي المواد الفلسفية تتجلى اتجاهات فكرية ومفاهيم مستقاة من عقائد ومذاهب فكرية مخالفة للاسلام ، ولو ان المؤلفين في هذه المواد يحاولون تجنب التعارض الظاهر للافكار الاسلامية ، وكذلك العلوم الطبيعية فانها تمزج بنظرات عقائدية خارجة في الاصل عن نطاق العلم المحض .

ان هذه المواد الدراسية اخذت واستقيت من مصادر اجنبية عن طريق النقل والترجمة والاقتباس ، وهي لدى اصحابها وفي حضارتهم قد اسست على مفاهيم فلسفية واسس فكرية معينة هي نتيجة تطورهم الفكري وظروفهم الخاصة ، منها : الصراع بين الدين والعلم ، او بين الدين والعقل ، ذلك الصراع الذي كان نتيجة لتشوه الدين وانحرافه الى وثنية جامدة ، وتقاليد عجيبة ، ومناصرة رجاله لاهل الظلم والاستبداد قبل الثورة وفي بدايتها ومعاكستهم للفطرة التي فطر الله الناس عليها .

لقد تجلت في هذا التفكير العام المسيطر على الثقافة نزعات فكرية تخالف التفكير الاسلامي والعقيدة الاسلامية واهمها كما يرى الاستاذ المبارك :

اولا :

النزعة الالحادية بشتى صورها ومذاهبها (المذهب الطبيعي منذ القرن الثامن عشر) سواء اكانت الطبيعة فيها هي التي تحتل المكان الاول (المادية الجدلية او الماركسية) ام العقل (المذاهب العقلية) ام الغرائز (الوجودية) وغير ذلك .

ثانيا :

النزعة القومية المغالية التي تتخذ من القومية عقيدة وقيما عليا ، وهدفا اعلى للحياة ، وتحصر التفكير والنشاط في الاطار القومي ، وتتجلى هذه النزعة واضحة في تدريس المجتمع العربي في كثير من البلاد العربية وفي مادة التربية الوطنية ، وفي الجو المدرسي العام .

ميلاد المدرسة الاسلامية اساس حل المشكل :

اما عن واقع مدرسة العالم الاسلامي ككل فقد ابتدأ بالحديث عنها وذلك في نطاق تحليله لصياغة العلوم المتعلقة بالطبيعة ومفاهيم التاريخ والمجتمع ، ومقاييس الاخلاق حيث يرى العلامة المبارك ان هذه الصياغة قد استمدت كلها من هذه الفلسفات المادية او المثالية المختلفة المعارضة لاسس الاسلام ومفاهيمه وعقائده ، وعلى هذا الاساس وضعت مناهج التدريس والفت الكتب في البلاد الاسلامية على اختلاف درجات التعليم .

اما تعليم الدين في المدارس العامة الرسمية او الخاصة التي تحذيها في البلاد الاسلامية فيؤلف رقعة صغيرة غير منسجمة في مجموع النظام التعليمي — يقول المؤلف — الذي وصفناه .

فهو يؤلف من الوجهة الكمية اولا تضاؤلا نسبيا بالنسبة الى مواد الدراسة يتراوح في المدارس الابتدائية حسب نسب مختلفة .

وفي دور المعلمين في البلاد التي يدرس فيها الدين بهذه النسبة او اقل .

اما في الكليات الجامعية فلا تدرس الثقافة الاسلامية مطلقا الا في قسم اللغة العربية في كليات الاداب في بعض الجامعات حيث يدرس القرآن والحديث من الوجهة الادبية فحسب (1) والنادر لا حكم له في هذا المجال . . .

اما من الوجهة الكيفية **فالنقص اشد ، والخطر اقوى وذلك ان طريقة تدريس الدين ومناهجه وكتبه واساليب كتابته وتعليمه كانت متأخرة جدا ولا تزال في كثير من البلدان الاسلامية بالنسبة الى مواد الثقافة الاخرى** ، في حين ان تعليم سائر المواد يسلك فيه

---

1) نظام (كلية الشريعة) و (كلية اصول الدين) و (دار الحديث الحسنية) في المغرب لا تخضع لهذا التعميم .

اساليب حديثة مرغبة من حيث مراعاة مستوى الطلاب العقلـــــــى (2) .

ومن ناحية حسن التعبير وجمال التاليف وغيـــر ذلك مما تراعى فيه احدث الطرق والاساليب ، نجـد ان التعليم الدينى لا يراعى فيه — فى كثير من البلاد الاسلامية — سن الطالبا من حيث استساغتـــــه للموضوع ، ولا تراعى فيه عقلية واساليب التفكير التى اعتادها فى ثقافته ، ولا ينظر الى المشـــكلات القائمة فى نفسه ، وفى المجتمع الذي يعيش فيـــه لمحاولة حلها عن طريق الثقافة الاسلامية ، فلا تزال تدرس فى بعض البلاد الاسلامية المتون القديمة التى لم توضع للصغار ولا للاحداث ، والتى كتبت باسلوب موجز مفتد اشـــد التعقيد (3) واصبحت بعيـــدة فى طريقتها عن الحياة ، بعيدة عن ان تحل المشكلات التى حدثت فى عصرنا هذا ، سواء كانت مشكلات فكرية ام اجتماعية . وقد يضاف الى هذا النقص أن يكون المدرس كذلك بعيدا عن روح العصر ، خالـــى الذهن من مشكلاته ، غير مطلع على جوانب الثقافة العامـــة المعاصـــرة .

ان هذا التقابل بين هذين النوعين من المواد الدراسية مادة الدين والمواد الاخرى . وهذه الحال التى وصفناها تسبب نفور الطلاب من الدين وتكون فى نفوسهم نظرة استخفاف وازدراء لهذه المـــادة ولمدرسيها ، يقابلها نظرة قبول واحترام للمـــواد الاخرى وان مثل هذه العقدة النفسية حصلت فعـــلا لدى كثير من الطلاب فى بعض البلاد الاسلامية التـــى يقيت الحال فيها على ما وصفناه من التباين والتضاد بين الدين ، والمواد الثقافية الاخرى ، وقد ولدت هذه الحال ازمة فى نفوس الجيل ، وصراعا بين الدين من جهة والعلم والحياة من جهة اخرى . . وكان لذلك ردود فعل شديدة ونتائج سيئة فى اضعاف روح الدين لتتسرب الى عقول الناشئة التى تكون الطبقة المثقفة وفسح المجال للعقائد والافكار المعارضة للاســـلام ثم الطبقة الموجبة والحاكمة .

***

وبعد ، فان ما يقترحه المؤلف من الحلول يتناسب والمشاكل الثقافية القائمة فى العالم الاسلامى ، غيـــر انى اعتقد اننا لم نصل بعد الى المرحلة التى يمكن فيها تطبيق تلك الحلول ككل ، وذلك لاني ارى شخصيا ان من الضروري العمل على بعث الروح الاسلامية فى الشعوب المسلمة بواسطـــة :

1 — النشاطات الفكرية غير المدرسية .

2 — وبالتاليف فى جميع اللغـــات .

3 — وباعداد جيل من العلماء الاكفاء الواعـــين لمقتضيات العصر ، القادرين على المجادلة .

4 — وبخلق تيارات ثقافية تربط البلدان الاسلامية بعضها ببعض ، العربية منها وغير العربية ، وتجعل الافكار تروج فى الداخل والخارج يتلقفها الشباب ويناقشونها .

ولابد من اقتناعهم ايضا — كما ذهب الى ذلك الدكتور ممدوح حقى :

(بان الفكر العربى فى مسيرته الطويلة خلال اربعة عشر قرنا لم يخرج عن محور معين ، احـــد قطبيه العروبة ، وثانيهما الاسلام ، وانه مهما تمعج وانعطف ، وصعد او هبط ، وتيامن او تياســـر لم يخرج قط عن الدوران حول هذا المحور الثابت ، وانه ما ابتعد عنه مرة الا عاد اليه راضيا او مضطرا ، وان سر قوة العرب وثباتهم على محن الدهـــــر وشرائبه ، كامنة فى تمسكهم به ، وان بقاءهم حتـــى اليوم — وقد بادت من حولهم امم كثيرة — هو هذا المحور الراسخ فى اعماق نفوسهم . . وان اي تطور حديث لا يستمد منه ولا يدور حوله ، لن يكتب لـــه البقاء ، فمتى يفهم الساسة وقادة الشعـــــوب والاجتماعيون بان استيراد النظريات والعقائد مـــن خارج هذا الجو لا يمكن لها ان تعيش فى الجو العربى الا غريبة منعزلة عنه او تندمج فيه ، وتستمير منه ، وتصبح جزءا من اجزائه (4)) .

---

2) وهذا هو مشكل مشاكل هذه المدرسة لان تهيء الاستاذ لم يفكر فيه يعـــد . . .

3) توجد محاولات مهمة هنا وهناك لابد من الاشارة اليهـــا .

4) لا اتفق مع الاستاذ ممدوح وهو يستهدف العرب والاية العربية لولا انني اعرف اصالة تفكيـــره الاســـلامـــى .

وعلى أي حال فاني متأكد بان بعث الاسلام لن يتم على يد كثير من العلماء التقليديين ؛ لا لشيء الا لانهم يمارسون نوعا من الارهاب الفكري ؛ ويعدون بالويل والثبور كل من لم يتبن آراءهم في تفاصيلها ؛ ومن لم يتتبع طرائقهم في التعريف بالاسلام ؛ وتلك مصيبة شباب العصر في العالم الاسلامي بصفة عامة مع هؤلاء السادة ؛ وذلك ما نرجو أن يدخل في جوهر المناقشة ؛ ونحن نخطو بعون الله الخطوات الواضحة للعودة الى الاصالة وتركيزها في هدوء ، مما يشير الى الغد الذي تطل عليه هذه الامة وهي تنفض ما بقي من اغلال ، وتصارع ما بقي من مخلفات ورواسب لابد أن نضعها بكل صدق وشجاعة في اطارها الحقيقي غير هيابين ولا وجلين من العملاء ضحايا معسكرات الاستعمار الجديد ، ورباتب الاستعمار القديم .

وعلى الله قصد السبيل .

● قال الحسن : ذم الرجل لنفسه في العلانية ـ مدح لها في السريرة ...

وقال حكيم : من ذكر عيوب نفسه فقد زكاها ...

● في الحديث : اياكم والشر الاصغر . قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : الرياء .

● دراسة قيمة عن شخصيـــة علمية بارزة من الصحراء المغربية المحررة ، وافانا بها الاستاذ الباحث زين العابدين الكتاني وهذا العدد مائل للطبع . نعتذر للكاتب الفاضل عن عدم ادراج مقاله القيم فى هذا العدد . والى العدد العاشر الذي نتهي به الـــنة 18 من عمر المجلة ان شاء الله .

بمناسبة الذكرى الثانية لتحرير الصحراء المغربية :

الشيخ بن العتيق

العالم الأديب

للأستاذ زين العابدين الكتاني

ديوان المجلة

- أريج مكة وعبير رياض
- وفاء
- يا مبدعا هذا الوجود
- من لواعج الذكريات
- فعزاء سلمت من كل ريب
- واحر قلباه !
- الوينة العز والايمان والظفر
- فردوس المساعيد

ذكريات يفوح منها

أريج مكة وعبير رياض

للشاعر الكبير

الاستاذ عبد الله بلخير

جاءتنا من الشاعر العربي الكبير الاستاذ عبد الله بلخير القصيدة التالية مع تحية عاطرة تعتز بها « دعوة الحق » ويسرنا أن تنشر قصيدة الشاعر بلخير آملين أن يوافينا باستمرار بانتاجه الادبي والفكري :

السيد رئيس تحرير مجلة « دعوة الحق » الموقرة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ففي هذه القصيدة طيوف ورؤى وألوان من ادب الجزيرة العربية تمثل حقبة قريبة العهد وتلوينها تلوينا صادقا لعل في طيوفها ما يحسن اطلاع ادباء المغرب عليه .

فان رأيتم هذا الراي فالامر اليكم في نشرها تبادلا لسرور الحياة هنا في جزيرة العرب . وفي مغربنا الاقصى المجيد مع التحية لكم ولاصدقائنا معالي احمد ابن سودة والاستاذين عمر بهاء الدين الاميري والفقيه الحاج محمد داوود في تطوان والله يحفظ الجميع .

في موسم حج عام 1396 (1976) كنت قد عدت من رحلة طويلة في اوربا الى بيتي في عمارة عالية مشرفة على النيل والاهرامات بمصر المحروسة وكنت جالسا في شرفة البيت عندما امتلأت غرف البيت كلها بصوت جهير تمازجت به جنباتها منبعثا من جهاز التلفاز في غرفة الاستقبال وحوله العائلة فهرعت من الشرفة مهرولا لسماع الصوت المجلجل في المنزل فاذا به صديقي واستاذي وشيخ العروبة وشاعرها العظيم الشيخ احمد ابراهيم الغزاوي وقد اشرق به التلفاز وهو يرتجز حولية موسم الحج ذلك العام في المحفل السنوي بين يدي صاحب الجلالة الملك خالد وجماهير افلاذ اكباد العالم الاسلامي الذي يقام منذ نحو خمسين عاما يكون فيه الاستاذ الغزاوي صوت الجزيرة العربية في الترحيب بوفود العالم الاسلامي الى بيت الله الحرام .

ولقد جلست امام التلفاز وقد غمرتني احاسيس الذكريات برائعة استاذنا الغزاوي في الحفلات التي تقام في مواسم الحج من كل عام حيث اكون بين جماهيرها وبجوار شاعرها وكانت تلك الحفلة منقولة عبر الاثير في الحال من مكة المكرمة الى القاهرة وغيرها من زوايا الارض وهي آية الايات ومعجزة البينات فغاض خاطري وانا في غمرة ما اراه واسمعه بهذه التحية القلبية والذكرى الشجية للشاعر العظيم ولايام صباي وشبابي في مكة والرياض وقد كانت الذكريات حينئذ تهزني هزا وهذه القصيدة من فيض الخاطر في تلك الساعة تحية عرفان واكبار واجلال وولاء لشيخنا العظيم وهو يتخطى الثمانين من عمره الطويل ان شاء الله .

يـا من تحير في (الاسراء) وضاق بـه
عقلا وما فيه مـن (آي) و (اخبـار)

هل بعد مسرى رؤى (التلفاز) مشرقـة
في الكون ، كالبرق ، من شك وانكـار ؟

سمعت صوتك في بيتـي المطـل علـى ... اهـرام مصر ومجرى نيلهـا الجـاري
يـرى من (ام القرى) كالبرق اشرقت الـ ... نيابـه ، في (شوال) ذات اسحـار
تلمحت في شاشـة التلفـاز مرتجـزا ... حولية الحج طيفا ، موهنـا ، بـاري
لولا التقـى ، خلت هوليانـه نسكـا ... بعـد القـروض لحجـاج وعمـار
يفـوح منهـا عبير (ام القـرى) وروا ... بـى (طيبة) وشـذا (نعمان) في داري
تكبت المشـى الى التلفـاز أحضنـه ... شوقـا ، والثم فيـه طيفك السـاري
وفـاض ما غاض مـن شعري وكنت ولا ... تـزال ملهـم افكـاري واشعـاري

⁂

ورنحتنـي رؤى لاحـت علـى عجـل ... تمـوج مـلء احاسيسـي وافكـاري
واحـر قلبـاه للذكـرى تجيش بهـا ... خواطـري وفـؤادي الخافـق الواري
اكـاد اصغـي اليهـا كالصدى بعـدت ... أغـواره في ثنايـا بئـر أو غـار
فيهـا من انفـاس (نجـد) حينما عبقت ... بها قوافيـك مثـل الـد في النـار
شمـت فيهـا شبابـي في (الريـا ... ض) فيا ذكرى (الرياض) وايامي وتذكاري
ربيـع عمـري بنجـد كلـه عبـق ... بذكريات تغنـي والهـوى سـاري
اذا الربيـع اتـانـا في مطارفـه ... وفـاحـت الارض مـن انفـاس الازهار
يمشـي اليـه (طويل العمر) (1) في عشب ... وحولـه ، كـل رمـاح وبتـار
ما بين (حزوى) وما بين (اللصافة) و (الـ ... ـصمان) و (الحضـر) من روض وابار
نيرانـه عرس (الدهنـا) اذا اشتعلت ... ملء الفضاء ، لا ضباب و (خطـار)

⁂

في روضـة (الخفس) و (الدعثاء) كم نصبت ... بهـا خيامـي وكـم غضيـت ازطـاري
وطالمـا اختلـت في كثبانها مرحـا ... علـى شملـة صـيف ذات ازرار
امسـي واصبـح فيهـا والرمال بهـا ... معازف الجـن فـي انغـام زمـار
تمشـو الريـاح باوراقـي تبعثرهـا ... في خيمتي ، وبأقلامـي ، واحبـاري
وطالمـا سفـرت حولـي عباقـرة ... مـن (جـن عبقر) سماري على تاري
جـن الرمال السواقي في مراقصهـا ... مـن حول زوبعة او حـول اعصـار
جـاؤوا مـن (الربع الخالي) تسيل بهـم ... كثبانـه في عجيـج زاخـر وار

لهم على (الجود) من (عبد العزيز) قرى ... ومن (تداد) على ورد واصدار

مالوا على (خيمتي) في عارض لجب ... كالريح مال بأشجار وأحجار

بتنا على جنبات الرمل في صخب ... وفي اعاريج عشاق وأخبار

يردون لي شعر اجدادي وانشدهم ... شعري ، فتمتلىء (الدهنا) بالاشعار

تغنى الينا صبايا الجن معجبة ... بشاعر ، لبنات الجن ، سحار

متيمتهن ، اذا داعبتهن بما ... يثيرهن ، من اخباري واسراري

تقول لي (نارة) متهن ، كن حذرا ... منا ، فعشق بنات الجن من نار

فقلت : عشق صبايا الانس موقدة ... نيرانه فاسألي عنه يا (ناري)

فكم وردت وصحبي الماء مصطبحا ... على (رماح) بدلوي ، للهوى شاري

عليه من (ريم نجدا) كل مسعرة ... للعشق يخشى مرآها كل مقدار

ريم (الدوانر) أو (حرب) وجارتها ... (قحطان) أو من (سبيع) العزم والثار

فبعض من خلق الاسلام عتقه ... ومن سجاياه غض الطرف للجار

إزاحم البدويات الصباح على ... جر الدلا والهوا يلهو باطماري

من كل دولة الاهداب ضامرة الا ... حشاء بدلى (رشاها) زندها العاري

اذا تمطت نجر الدلو مال بها ... كما يميل بخفق الراية الساري

تحمله بين يديها ، ثم تسكبه ... في الحوض ، للبهم ، في زهو وتكرار

كأنها مهرة غراء تلعب في ... روض وحول غدير بين امهار

فتنتشي حولها الانظار وهي بها ... نشوى ، فيا سحر انظار لانظار

سحر هلال واخلاق مطهرة ... مع العفاف بلاشين واكدار

كنا بها في (حمى عبد العزيز) أبي الـ ... تاريخ ، نرفل في حل واسفار

واليوم في (خالد) العقبي يحف به ... (فهد) وان به للمخلص الضاري

كلاهما ، في مسار المجد مؤتلق ... بيني صروح حضارات واعمار

شيخ (البطاح) وشيخ العابدين بها ... من اهل (مكة) من اهل ومن جار

الذكريات عبير العمر يعبق في ... في (حارة الباب) من (ام القرى) الداري

لي في (الشبيكة) (2) عهد لا زال به ... ليلاه ، وليالي سهده الجاري

أضاء فجر حياتي في (ارتتبها) ... صبحا ففيه صباباتي واخباري

في كل شبر تراب في (ملاعبها) ... ولا يزال بها قلبي وانظاري

لم تشنها روابي (النيل) وهي هنا ... ذكرى ترفرف في سمعي وابصاري

بكل (حفنة رمل) من مخضبها ... جنابن الارض من حور وازهار

لا اشتري (لندن) الفيحاء ولا (باري)

درجت في (برحة المحجوب) احسبها ... دنيا الورى ذات اقطار وامصار
اذا النوى طوحت بي (للحجون) بدت ... لي (مكة) ذات ابعاد واسفار
وطالما قمت في (الماحي) (3) مكبرة ... خلفي صفوف تراويح واذكار
يؤمها (ابن ثمان) في عمامته ... اذا تلا (الجزو) كان الحافظ القاري
يدري (العريف) (4) بها ان لم تخنه بها ... (الستون) فهو (شبيكي) الهوى جاري

***

ولست انسى دخول (الركب) (5) صاخبة ... جموعه فهو في سمعي وابصاري
والركب انست به ادرى واحبني ... ببعض ما كان من اخباره داري
اذا تعالى به صوت (الحداة) زهت ... ركائب (الركب) في زهو واكبار
تهتز منه شعاب (ام القرى) طربا ... في امسيات من الذكرى واسحار
اذا سمعنا بشير الركب سال بنا ... (لحارة الباب) سيل صاخب جاري
يهزنا صخب (البشرى) كأن بنا ... مسا من السحر من قيثار سحار
تكاد تسبقنا فيما نخب له ... (اعلام جرول) من دوح واشجار
وتنتشي كل (حوراء مطهرة) ... ملء النوافذ في افاق اقمار
كان في شرفات الدور لمع سنا ... مجرة ، من نجوم ذات انوار
فيهن من (عبد شمس) كل فاتنة ... تطل من شرفات ذات استار
لهن في صهوات الخيل (افئدة) ... يزهو بها (الركب) من آل واصهار
يرمينهم (بفتات المسك) عايذة ... شفاهن بذكر (الحافظ الباري)
ويعبق (العود) فيها من (مباخره) ... يضوع في الحي من دار الى دار
مع (الزغاريد) اجراس النجوم اذا ... تماوجت فهي من اصداء اوتار
تهتز منها نياط القلب خافقة ... ضلوعها كاهتزاز السلك من نار

***

حتى اذا ما تبدي للحداة به ... (باب السلام) كبدر التم للساري
تماوجت في شعاب (ام القرى) وسرت ... اصواتهم في خشوع المتقي البار
مصلين على (خير الانام) فيا ... لله من صلوات ذات آثار
وثم طافوا (ببيت الله) وانتشروا ... في الحي بين ذوي القربى والاصهار
وباتت (ام القرى) تزهو مصفقة ... شعابها في اهازيج وسمار
كأنما كل حي في مباهجه ... رفارف (الخلد) من زهر واطهار

***

يـــا (شيبة الحمد) فى (وادي النبى) وجا ... ر (البيت) ذي الركن خفاقا بالاستـــــار
ذكـــرى لعينيك (يا شيخى) يفوح بهـــا ... (اريج مكـــة) فى اعقـــاب امطـــار
كأنهـــا مـــن عبيـــر الاذخـــر انتشـــرت ... ملء الابـاطـــح مـــن نجـــد واغـــوار
لشجـــى واطـــرب من جرس تماوج مـــن ... نـــارا مـــن الفضـــة الحمراء على نـــار

***

ذكـــرى (الثمانين) والدنيـــا بصفقـــــة ... من حول (احمد) فـــى انغـــام تيثـــار
ضمختهـــا بشـــذا قلبـــى تردده ... عضاب (مكة) ذات (البيت) و (الغار)
اذا تغنى بهـــا (جيـــران ابطحهـــا) ... غنـــى بهـــا فى (السراة) كل ســـيـــار
فيشرئـــب (ثبيـــر) فـــى مطارحـــه ... طوحـــا (لامير الشعـــر) و (الجار)
يكـــاد ان يتهـــادى فـــى جنادلـــــه ... يقبـــل (المغـــرق) المغمـــور بالغـــار

***

على (سميـــك) ابـــن (ام القرى) وشقيـــ ... ـــع الخلـــق (احمـــد) من آل وانصار
أركى الصلاة تعالت من حناجرتـــــا ... اذا التقينـــــا بحجـــــاج وزوار

عبد الله بلخيـــر

القاهرة 7 ذي الحجة 1396 هـ ــ 1976 م

---

1 ــ طويل العمر المرحوم العظيم الملك عبد العزيز موحد الجزيرة العربية والناهض بها وكنت موظفا فى ديوان جلالته و (حزوى) و (اللصافة) و (الصمان) والحفر والدهناء وروضة الخنس ثم رماح رياض ومياه وغدران اماكن مشهورة فى نجد تفوح اشعار العرب بذكرها والشوق اليها والوقوف بها والتنقل بينها وكان طويل العمـــر الملك عبد العزيز رحمه الله يرتادها فى اقبال الربيع ويخيم فيها ويقيم بها فى مواكبه الصاخبة فينزل بها على اهليها كما ينزل الربيع ويصدر شؤون الدولة شهورا عديدة من خيامه بها ومن مكاتب ديوانه المتنقلـــة .

2 ــ الشبيكة الحى المعروف من احياء مكة المكرمة نشأت وترعرعت فيه و (برحة المحجوب) ساحة ذلك الحى وملعبه كنا فى طفولتنا نراها اوسع مـــا خلق الله من ملاعب الدنيا فيما نعلم يومئـــذ وافسحها واجملها ؟ والحجون الحى المعروف باعلا مكة المكرمة حرسها الله ولا نصله الا لماما .

3 ــ الماحى هى المدرسة الابتدائية التى انشاهـــا الشيخ المربى محمد امين الماحى فى حى الشبيكـــة بمكة المكرمة وقد التحقت بها وحفظت القـــرآن الكريم فيها وكانت العادة يومئذ فى مكة ان يؤم الطلاب من حفظة القرآن الناس فى صلاة التراويح وكان ذلك فى عامى 1347 و 1348 .

4 ــ هو اخونا وصديقنا وزميلنا فى مدرسة الماحى يومئذ الشيخ عبد الله عريف امين العاصمـــة اليوم واحد الطلاب الذين كانوا يؤدون صـــلاة التراويح معنا فى تلـــك المدرســـة ؟

5 ــ الركب : المركب السنوي الذي يشد اهل مكـــة فيه الرحال من مكة المكرمة الى المدينة المنـــورة لزيارة المسجد النبوي الشريف فى جمع زاخر لـــه عاداته وتقاليده وبهجته وافراحه ويوم عـــودة الركب الى مكة من ايام ام القرى الغراء المحجلة تحتفى مكة كلها بالعائدين فى مهرجانات صاخبـــة لا نظير لهـــا .

وفـــاء

للشاعر الأستاذ محمد الحلوجي

مهداة الى روح صديقنا الشاعر ادريـــس الجـــاي تغمده الله بواسع رحماته .

امن قفص الدنيا الى قفـــص القبـــــر
تسوقك ايدي الموت ، يا بليل الشعـــر ؟

طوتك يـــد تختـــار كـــل نفيســـــة
ولا تجتني الا الرطيب مـــن الثـــــور

واطفيء نـــور كان يومـــض في الدجـــى
بـــناه ؛ مظلا مثل اظلالة الفجـــــر

وقالوا قضى ادريس ! قلت نعم قضـــى
حقوقـــا عليـــه للثقافـــة والفكـــــر

مشى في ركاب الشعر يهفو الى العـــلا
وأبدع فيه وهو في ميعة العمـــــر

ورافق قوافي الشعر وهي شـــوارد
وصـــاغ معانيـــه قلائـــد مـــن دُرِ

قضى عمره يشدو ، ومن حوله يـــرى
نياما ؛ وآذانا تعانـــي مـــن الوقـــــر

فلم يثنه موج الظـــلام عن الثـــرى
ووالى خطاه وهو في مهمـــه قفـــــر !

وفتح للدنيـــا وللخيـــــر قلبـــــه
وقاوم ما استطاعت قواه ؛ قوى الشـــر

عصامية شدت عـــراها اصالـــــة
فغاضت كينبوع تفجر مـــن صخـــــر

وروح اعتزاز بالمروءة لم يـــــزل
يردده في لهجة الوطنـــي الحـــــر

سقته الحياة الحلـــو من رشفاتهـــــا
ولم تروه حتى سقتـــه من المـــــر

كؤسا ذهاقـــا اذبلـــت زهراتـــــه
وألوت بريـــا عطرها ثـــوب الدهـــــر

وغازلها في عزة وشجاعة ... وذلل منها كل مستصعب وعر

وما اختار ارض الغال ارضا لغربة ... ولكنه حج الى عالم الفكر

ولو امنت بيض الخمام بزاتيا ... لما نزحت بيض الخمام عن الوكر !

وما كان يشكو دهره وعقوقه ... ولم يشك من اخوانه خلق الغدر

ولكن شكا مما يعانيه شاعر ... وما يتلقى من جفاء ومن هجر

اذا شاء ان يحيا امات ضميره ... وان مات لم ينعم بصالحة الذكر !

وهام كانسان بكل فضيلة ... وحام على اللذات في كنف الستر

وما كان الا مسلما لبس التقى ... شعارا وان لم ينج من دنس الوزر

سوانحه في الله تنهض حجة ... وعذرا اذا ما احتاج ثم الى عذر !

مشاعل تسعى في مراتع روحه ... وحور حسان في مطارفها الخضر

وآفة هذا الشعر ان رجاله ... قليل وان كانوا كثيرا بلا حصر

غناء ولا معنى ، وصوت ولا صدى ... وغيم ولا قطر ، وزهر بلا عطر !

اشاحوا عن الماضي ، فلم يات منهم ... غناء ، وهل تغني السواقي عن البحر ؟

وفي شعر ادريس رؤى عربية ... وتبع جرى من ذلك الكوثر الثر

وصوت من الماضي البعيد يشدنا ... اليه ، وفخر الشعر في امة الشعر

يعز علينا ان تودع بالبكا ... ويدعى رفاق الشعر فيك الى السير !

بكوك بلا دمع يراق ولا اسى ... ولا خطب تلقى ولا مادح يطرى

وهل كنت الا عابرا وابن عابر ... يحث خطاه لاهثا مجهد السير

ونحن رفاق الدرب ظلت تشدنا ... أواصر قربى باقيات مدى الدهر

نحييك بالشعر الذي عشت واقفا ... بمحرابه القدسي تشدوه في كبر

سيفديك منه باقة اثر باقة ... مضمخة الانفاس قرابة الشعر

الا ليت شعري هل يجودون بعدنا ... علينا كما جدنا ببيت من الشعر !

وما كل شعر الارض يجدي وانما ... عقوق ذوي الابداع نوع من الكفر !

وليت سعيدا ان اقوم بموقف ... يذكرني ماذا يؤل اليه امري

وحسب المنايا وانفنا تمنقل ... يخبر عنها وهي منه على شجن !

سلام عليه لا سلام مودع ... فموكبنا يمشي اليه على جمر

ولم ارث ادريسا بشعري وانما ... رثيت به نفسي وان كنت لا ادري !!

يا مبدعاً هذا الوجود ...

للشاعر الأستاذ علال بن الهاشمي الفيلالي

يا مبدعا هذا الوجود بحكمتك
يا واهبا ... ومنزها في وحدتك
الفجر وضاح السنا من صنعتك
والشمس والافلاك آية قدرتك
آمنت انك واحد في عزتك
يا رب ... قلبي خافق بمحبتك
اهوى رضاك ... واستجير برحمتك

***

يا ربنا ... تجري الحياة كما تشاء
نهفو اليك .. نحن .. نمعن في الدعاء
اسعدتنا ... وبعثت خير الانبياء
المصطفى ... هادي الانام الى الضياء
آي الكتاب لنا حياة واهتداء
في نورها الانسان يحيا في صفاء
يبني حضارته على اسس الاخاء

***

يا رب ... هديك خالد متجدد
ما بال افكار تزيغ وتلحد . ؟
كيف الخلاص . ؟ وجونا متلبد . ؟
تلك المذاهب هل تراها تنجد . ؟
والفكر فوضى حائر متمرد . !
لا حل يرجى ... او معالم ترشد
الا التقى — تحيى القلوب وتسعد .

الرباط — علال بن الهاشمي الفيلالي

من روائع الذكريات:

ملانة غريب

للأستاذ الشاعر: عبدالكريم التوافتي

امام ضريح العالم الفقيه سيدي ابن ابى جيدة بفاس تنتصب نخلة فارهة الطول فريدة ، وكلما مررت من هناك أسترعت انتباهي وذكرتني بمسقط الرأس (تميمون توات) ، وتسجيلا لما تلهمني من ذكريات انشدت هذه القطعة ... ع ـ ت .

ملانا غريب يا نخيلة مالـه ... انيس يواسي أو قريب يساعد
نبت بك دار قد نبت بي مثلها ... غريبين عشنا روعتنا الشدائد
ولوعنا بين الاحبة والنوى ... فبهنا نعاني مسرة وتكابد
فيا اخت تاساه ، فما كانت الدنى ... سوى غير ، للعالمين مصائد

ملانا غريب ، غير انك حرة ... وانى اسير محكم القيد واحد
لئن طوحتنا ، يا نخلة غربة ... فما غرب الاحرار الا المحامد
مطامحنا ناءت بعبء مجالها ... دنى الناس فارتادت طموحا تراود
تداعبك الارياح طورا وتارة ... يعزك اعصار عنى مناكد
اذا ذكرتك الريح اهلك والحمى ... عاودت تشوى والاحبة راقد
وان انا عزتني النصبا خلت انها ... عناق أهلي عاش أهلي الاجاود

الى منبت الاحرار ، يا اخت شوقنا ... به هتفت احناؤنا والقصائد
منابتنا يا اخت صحراء آلها ... اساة اباة صابدون اساود

وهل فى الدنى غير الصحراء مثبت لخسر ، وهل فى غيرها عز سائد
اذا ذكرت صحراؤنا ، هتف الندى الى ، وقال المجد : انى وافد

فيا اخت اذ اشكو اليك صبابتى تسرى لوعتك الذكريات الخوالد
وتابنك مثلى لوعة قد اعاجها لذكار اخلاء الصبا والتواجد
وهل بك ما بى من هوى وشجونه وهزك شجو واعتورتك المراقد
وهل بك ما بى من حنين لمنبت الاصـ ـيل الاقاحى منهم والاباعد

وهل بك شوق لارتياد ربوعهم تشوقنى لارتياع الصحراء آيد
وبى صبوة مشبوبة لظبائها فؤادي بها ولهان والله شاهد
جآذر ، ما آرام « فاس » تطولها ولكنهن الحور غيد تواعد

اصحراء كثبان الرمال تشدنى اليك وتخطل باستات فرائد
واخلاق اخوان كرام اصولهم بهم يتباهى الاكرمون السيائد
فيا اخت روحى لن ترا لى اثيرة لدي ، واحشائى الجرار شواهد
شموخك يذكى فى الحشايا مشاعرا تعشق نجواها بتوك الاماجد
فهل ارين تلك الربوع وارتمى باحضانها نشوان والشمل راشد ؟

الاعى بارك ما اروم وارتجى منالاوك الجلى حمى ومقاصد

فاس : عبد الكريم التواتى

فعزاء سلمت من كل ريب

للشاعر الأستاذ الحدفي الحمراوي

خير اخت ضممت يا خير قبر ... أي نبل حويت لو كنت تدري
نحن اولى بصونها منك ، لكن ... حزتها ـ دوننا ـ بأوسع عذر
قدر الله قد دعاها ، وما من ... قدر الله للوري من مفر
قد رضينا بحكمة غير انا ... نتقلى على مواقد جمر
وبكينا فما شفانا بكاء ... فعرفنا ما كابدت اخت « صخر »
وغمرنا أرض المغارب دمعا ... فكأن البلاد لجة نهر
وجفا النوم كل عين ، وامسى ... كل بيت في مثل وحشة قبر
وتوارى عن العيون ضياء ... ومحا الحزن كل شمس وبدر
ليس غير السواد غشى عيونا ... ليس غير الاسى دهى كل فكر

⁂

عجبا للحياة كيف نراها ... متعة ، وهي ذات مكر وغدر
قد شغفنا بحبها ، وسكرنا ... من هواها بكأس ختل وسحر
كم صريع بغدرها وحزين ... وصحيح يصيبه مس ضر
وشباب قد فاجأته بحتف ... ومصاب بعسرها بعد يسر
ابعد الله وجهها من لعوب ... تتلهى بكل جبل ودهر
تستبي اهلها بخلب برق ... وتمنيهمو ببسمة ثغر
تمزج العذب بالاجاج ، وتخفي ... غصة الفتك بين حلو ومر

عظم الرزء فيك يا خير أخت ... وحصان لم تجن متعة عمر
قد طواك الردى طرية عود ... كيف نسلو وما لنا اى عذر ؟
ليس يدرى لجرحنا فيك آس ... لا ، ولا يرتجى تكلف صبر
غبت فى لمحة فاعوز صبر ... كيف والكسر لم يجد اى جبر ؟
ليف نفسى على عفاف فقيد ... وسجايا ما شانها اي كبر
ان تكونى قضيت فالذكر باق ... ليس ننساك يا خميلة طهر
انت فينا بين الضلوع معان ... ومثال لكل نبل وبر
احتسبناك عند رب كريم ... نرتجى ان يثيبنا خير اجر
وكفى انك الشهيدة فى يو ... م عظيم مضى اخوه بـ « بدر »
هو يوم فى خير شهر فطوبى ... لك ، لكننا اصبنا بخسر
فوداعا يا درة المجد ، يا من ... كسدت بعدها لالىء بحر
وعلى روحك الكريمة ازكى ... رحمة فى ربى فراديس خضر
وسلام عليك بالشجو يسري ... فيناجيك فى اصيل وفجر

***

يا هماما فداه كل نفيس ... وعزيز اليك آهة شعر
بلبل الحزن فكرها ، فهى حيرى ... تتلوى ما بين حرف وسطر
اقبلت تلثم البساط وتفضى ... بالتعازي اليك من عمق صدر
فتصبر سلمت من كل ريب ... ولتعش فى دوام حفظ وستر
أن تكن « نزهة » العزيزة أودت ... فالى الله راجع كل امر
ولنا فيك اذ بقيت عزاء ... يا حبيبا نراه انفس ذخر
ورعى الله اسرة نفتديها ... وحماها من كل خطب ونكر
هى بين الجفون — حرصا عليها — ... ولها فى ضلوعنا بيت سر
ربط الله بيننا برباط ... من ولاء يجل عن كل قدر
هو فينا أمانة ، وامان ... أن اطعنا ما جاء فى خير ذكر
حرس الله عرشنا ووقانا ... به من فتنة وهول وجور
ورعى مهجة من الحسن الثا ... نى ، واولاه كل عون ونصر

الرباط — المدنى الحمراوي

وَاحَـــرَّ قـلـبـاه !!!

للأستاذ الشاعر محمد بن محمد العلمي

قصيدة في رثاء صاحبة السمو الملكي الاميرة الجليلة للا نزهة التي وافاها الاجل المحتوم اثر حادثة سير — تغمدها الله بواسع رحمته واسكنها فسيح جناته —
م. م. العلمي

سلام على الاشراف في السر والجهر ؛ سلام على الاقمار والانجم الزهر
سلام على الجنات تهتف حورها بنزهة ذات المجد ، طيبة الذكر
سلام على اشراقها وشبابها ، سلام عليها وهي لامعة الفكر
سلام على ذاك الربيع وحسنه ، وقد زاده الايمان طهرا الى طهر
سلام على العرش المجيد تحفه **من الله الطاف الشجاعة والصبر**
سلام على (عصمان) في رزئه الذي تفاقم في مأساة حادثة السير
فواحر قلباه من الصدمة التي اصابت سواد العين والقلب في الصدر ! !
هو الموت لا حول لدينا جميعا ولا قوة تلقاه من حيث لا ندري
فكان وما ينفك نقطة ضعفنا ، فسبحان ربي ، من تفرد بالقهر
هو الحي ، قيوم الوجود ، وملكه يدوم ويبقى دائما ابد الدهر
اذا ما قضى امرا ، فان قضاءه بقوله : « كن » يجري على التو والفور
ولا خير في الدنيا ، لمن وثقوا بها ، ففي شهدها سم من العلقم المر
وفي حضنها الاضداد تصهر اهلها ، وما احد يدري الحقيقة في السر
فما جمعت الا وفرق سهمها جموعا ، فلم تثبت على العسر واليسر
وتدبير رب الناس جل جلاله يرى وحده سرا من الخير والشر

وفى رمضان الاجر كان مضاعفا ... لمن ظفروا بالاجر من صاحب الامر
كذا تحكم الاقدار فى الخلق كلهم ؛ ... وتعصف بالاحباب فى عمر الزهر
اذا قطف المعروف الزهور طرية ... فقد عبقت فى الخلد رائحة العطر
وآل رسول الله فى ظل جدهم ... تباركهم نجواه فى الحشر والنشر
وللحسن الثانى محبة ربه ؛ ... وعهد وثيق صح من شعبه الحر
ونحن رفعنا ضارعين دعاءنا ... لمدتنا بالفتح والعز والنصر
وقد حفظ الرحمان مجدا مؤثلا ... لعرش حباه الله بمعجزة العصر
رأيت لدى القرآن اقوى ضمانة ... وخير ملاذ للرعية والقصر
وفى الحسن الثانى ارى الشمس اشرقت ... وفى ولى العهد ازدهت طلعة البدر
وفى الماجد المولى الرشيد تكاملت ... محاسن هذا العقد من انفس الدر
وفى الخامس المرحوم احسن قدوة ... لوارثه فى النبل والحمد والشكر
هو الفخر فى اسمى الجدود لعرشنا ... يضيف له الياسون فخرا الى فخر
عزاء لمولانا الامام وبيته ؛ ... فنزهة فى الجنات مرفوعة القدر
عسى وحشة الليل البهيم تجيبها ... شموس من الامال فى مطلع الفجر
فيا رب بارك فى المليك وشعبه ؛ ... ويارك له يا باريء الكون فى العمر
ومعذرة ان اخرس الحزن منطقى ؛ ... ويكبت تصوير اليراع فى الفكر والشعر
فانى بما قد عانيت واصابنى ... عجزت ؛ فكان العجز ابلغ فى العذر

الرباط ـ محمد بن محمد العلمى

ألوية العزّ والإيمان والظفر [1]

للأستاذ ابو بكر البوخصيبي

والفتك فتكال بين الاي والسور ... تسائل القوم كم فى القوم من عمر
وكم وكم لابن مسعود وأخوته ... فى هذه الارض من ذكر ومن اثر
ومن خليل دعى فكري بمختصر ... مهما بجلال العلم منزر
يا اهل بوس امد الله جمعكم ... بما امد به رواد بؤتمري
ما كان اولاكم شعري يخاطبكم ... ولن يكون بلا مختاركم وطري
وانى يكون وكيف الشعر وانتفى ... بلا انيس بلا شمس بلا قمر ؟
انتم شموس ذوى الاقلام لا عجب ... ان افصح الشعر عن حبى وعن سيري
وكيف لا وانا الملتاع جئتكم ... كى اعرض اليوم هذا الجزء من فكري
وكى اقول لجمع الدارسين هنا ، ... عرج على ما وراء الطاح (1) واعتبر
على السيين ، على القوم الكرام بها ... على الذي زارنا منهم ولم يزر
واذكر هنالك من كانوا انمتنا ... كانوا هنالك ملء السمع والبصر
كم عطروا ارض تيندوف بذكرهم ... وكم لهم فى مجال العلم من درر
ما لى ارى بعضهم جاؤوا وبعضهم ... من القنادسة الابطال كالحجر
فلا جموع قصور توات حاضرة ... ولا هنالك جمع غير منكسر
لم يكتبوا لم يقولوا الشعر من قدم ... لم يستريحوا من الاتعاب والكدر
قل للجزائر ان دست تراثهم ... وشوهت مثله مع انعالها الاخر
انا لعمري وان جارت وان طمست ... فاننا باسم هذا الجمع لم نجر

---

1) القصيدة التى القيت بمؤتمر رابطة علماء المغرب المنعقد باكادير .

حتى تجيج وحتى فاس وآسفى ... كم صم عاذلهم منها الى الجزر
سلوا (نويهض) عن اعلام مغربنا ... فانه يا عباد الله غير يسرى
الى متى وضروب الغش تخدعنا ... ونحن عن فرصات الشرح فى سفر
لا جورجى زيدان يبدو فى نعلته ... ليم شبيها ولا طيرانس ، فى الخبر
رغم المسيحية العمياء ما بلغوا ... لمثل ما بلغ الاخوان من هذر
قالوا ابن تاشفين ما كانت شجاعته ... الا لانه دونها باب وذو ظفر
وان دولته ، العظيمى قد انطمست ... لانها غير قسطنطينية الاطر
وان عصر ابن رشد من صنائعهم ... وانهم آل منصور وبنتصر
وانما مثل ما قد قال قائلهم ... شعب ترامى على عيادة البشر !
الله غيبنا وفى اغضاب امتنا ... وفى بنينا فيهم مرضى من الكدر
يا يوم رحلة ادريس وبيعته ... ويوم معركة الزلاقة انتظر
واذكر من الحسن الثانى مسيرته ... واربط مآثره مع سالف العصر
واشرح كما شئت فالتاريخ ملحمة ... خضراء يانعة الاغصان والزهر
يا ارض فاطمة الفهرية انطلقى ... وحدثى عن ذوى الآثار والطرر
يا اخت مريم يا عنوان مؤتمرى ... هزى بجذعك يسقط يانع الثمر
وحدثى عن بنى الملجوم اجمعهم ... وعن حزائم عن الدراس عن مضر
عن ملك عن بريطانا وما تركت ... فى المغربين وفى الصحراء من اثر
وخاطبى ، اختك الحمراء لا تدعى ... هز نيراك بنى آمات للقدر
فان منها ومن احشائها انطلقت ... الوية العز والايمان والظفر
وحدثى ان تطوان فان بها ... فى كل ناحية ذريا لمعتبر
بغداد تأتيك يا تطوان ما انطلقت ... الا على نغمات الناى والوتر
ولا تبدى شرود فى ضمائره ... الا استهان (بفقد العز فى الحضر)
كنون ادرى بمجد المسلمين هنا ... مجاهدين ومجادين فى السحر
بمارعين ذوى الالباب شامخة ... ابصارهم لبطون الكتب والسير
يا معشر العلماء الغر لا تدعوا ... تراثنا عرضة للزيف والغير
هم شوهوه وهم زادوه منقصة ... وبعض كتابنا زادوه فى القصر
والبعض لم يدر ما ضمت جوانبه ... ولا درى ان هذا منتهى الخطر
من اجل هذا قصدت اليوم جمعكم ... اشكو وأسأل حل ذى القوم من عمر
وليس لى مثل كنون يلاذ به ... ولا سوى اهل هذا المجمع العطر

فردوس المساعيد

للشاعر الأستاذ محمد البوعناني

ليلاى ردي الى ليلى أناشيدي ... وباعدي بين ابداعي وتقليدي

سأبدع اليوم لحنا لم تقن به ... عرب ، ولا سمعته الجن في النيد !

وبدعة الشعراء الظامئين الى ... عينيك ما شربوا الا بتحديد

تنهلوا وأمانيهم تؤججها ... قحولة ، فاستظلوا دون تبريد

الا أنا فلقد اشبعت ملحتي ، ... وقد علمت تهاليلي وتفريدي

كما علمت بأني ما قصدتك في ... شعري سوى كي تمري خلف مقصودي

قصدت بابك يا خزان مكرمة ... وليس بابك في الفتوى بمردود

ولست اخشى لهوجاء الرياح ولا ... اهوى الدوالي بلا ظل وعنقود !

اشم من تافيلالت النخل مقتبسا ... من الحجاز شعاعا غير مسؤود ،

وعرشنا خلف يقتات من سلف ... مناقبا كلها تيجان تخليد !

مولاي ، ثبت بك الدنيا وكان على ... جبينها وسخ ... بين التجاعيد

ايقظتها ، فاستحت من وجه سيدها ... وغلفت وجهها امواج توريد

وكنت في حلمها الماضي كمغفرة ... جديدة تركت محراب داود ...

تقود شعبك والصحراء ماثلة ... مع النداء بآلاف العواعيد

وانت تغلق باسم الله نافذة ... على الدخيل واشياح التقاليد

قد كحلت امين الدنيا مسيرتنا ... وعطرت كل لحن في فم القيد

فلا ترى غير معتز بخطوته ... ولا ترى غير سباق لتاييد

ونحن لا نرتضي الدنيا بقشرتها ... ولا نشام على ماء وقديد
ولا نحب مساواة بلا عمل ... وحريات بلا حيات محدود
نختال بالسعد حتى صار مغربنا ... ارض السعادة ، فردوس المساعيد
عبدت كل طريق كان ملتويا ... وقاد رايك فيه خير تسديد
ولم يكن — قبل ان تمتاز لقمتنا — ... الا قفار جراحات ، وتشريد
وكنت داعية في كل مؤتمر ... بل كنت قمته ، للبيض ... والسود
وحيثما هدد العدوان مشرقنا ... ظلعت فيه بآيات الصناديد
وعطرت مصر والجولان من دمنا ... صدر الرمال ومحروق الاخاديد
فهل نخاف ، وانت السلم في يدنا ... والحرب ان بزغت رايات منكود ؟

توسد الاطلس الدنيا وانت على ... جبينه يقظة بين التضاريد .
عيد ظهورك في آفاقه امل ... وانت نافلة الاسلام في العيد
وراءك السحب لا تدنو الى قمم ... جبلي ، وتزرع احلام العناقيد ...
الا اذا كحلت اهدابها فتن ... من جودك المقتفى في كعبة الجود !
تملي على المجد آيات الخلود وما ... تمل من مد ابداع وتجديد
تشد عزوتنا الوثقى ، وتحرسها ... ومن بنانك يجري حبل معقود
والامهات اذا رتلن بسملة ... ختمن باسمك يتلوها بتجويد
لقبن باسمك اكبادا والويه ... على الخدود ، واوراقا على العود
فلا اعتزاز سوى بالطفل تطلقه ... الى الحياة بلا كره وتقييد ،
ولا مفاجاة الا لتطرينا ... ولا خضوع سوى حب لمعبود
والشمس هاهنا بنا ... فامتد مغربيا ... بقلبنا ، ثم نامت عند مولود
اسرابها بعدما ذهبن ساحلنا ... وشمنه بصبابات ... وتقييد !
وانت حين ينام الثوم ... تبحث عن ... صباحنا بين أجفان المواليد
ولم اكن مغربيا عند طائره ... الا لانهي في ناديك تغريدي !

محمد البوعناني

● من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية يجتمع برؤساء الاقسام والمصالح بالوزارة

● عقد السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور احمد رمزي في مقر وزارته اجتماعا مع رؤساء الاقسام والمصالح الادارية بحضور الكاتب العام بالوزارة اعطى فيه السيد الوزير نظرة اجمالية عن كيفية تسيير الوزارة في نطاق الرسالة التي تتولاها الوزارة والاهداف التي تتوخاها .

كما ابرز السيد الوزير مسؤولية وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في ميدان التوعية الدينية خاصة فأهاب بالسادة العلماء ان يبلغوا الرسالة الاسلامية في المجتمع المغربي بجميع فئاته ، وخاصة منها الشباب.

وركز في هذا الصدد على اختيار الاسلوب وانتقاء الوسيلة في طريقة التبليغ قصد استجلاب شبابنا المسلم ، ورفع همته الاسلامية .

وبخصوص عمل الوزارة في المجال الاداري البحت طلب الوزير بوجوب عمل تكاملي يتحمله جميع الموظفين مبرزا في حديثه ان مؤامرة الصمت التي تحدث عنها صاحب الجلالة حفظه الله تتعلق بكل مسؤول شاعر بما له من واجبات مقدسة في سبيل النهوض بالبلاد طبقا لتعليمات صاحب الجلالة حفظه الله ورعاه .

السيد الوزير يتفقد اشغال بناء مسجد محمد الخامس بطنجة

● قام السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور احمد رمزي بزيارة الى مدينة طنجة تراس خلالها افتتاح الموسم التقليدي لدار زهيرو ، كما زار اوراش بناء مسجد محمد الخامس بساحة الكويت الذي سيكون اكبر مسجد في افريقيا ويضم عدة مرافق حيوية كالمكتبة وقاعة للمحاضرات والنادي الثقافي ... الخ .

كما تدارس السيد الوزير مع المنتخبين والسلطات المحلية وضعية قطاع الشؤون الاسلامية وممتلكات الاوقاف باقليم طنجة .

وفد من مسلمي كوريا في المغرب

● استقبل الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بمقر الوزارة وفدا عن جمعية المسلمين في كوريا الذي زار بلادنا مؤخرا برئاسة السيد الحاج محمد الياس وان ، ويتألف من 3 اعضاء .

وقد دارت المحادثات بين السيد الوزير والوفد الكوري المسلم حول العلاقات بين البلدين وجهود المملكة المغربية في دعم النشاط الاسلامي في هذا البلد الاسيوي الصديق .

ومن المعلوم أن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله تبرع من ماله الخاص بمبلغ مهم لانشاء المسجد والمجمع الاسلامي في سيول عاصمة كوريا الجنوبية .

برنامج توعية بمناسبة موسم الحج

● اعدت المصالح المختصة بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية برنامجا موسعا للتوعية الدينية بمناسبة موسم الحج للسنة الحالية . وقد اشتمل البرنامج على دروس في مختلف مساجد المملكة وندوات تلفزيونية شاركت فيها نخبة من العلماء والمفكرين .

جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام

● تشكل لجنة دائمة مكونة من الشخصيات الاسلامية الآتية ، لاستعراض اسماء المرشحين ، ودراسة أعمالهم واختيار الفائز من بينهم :

— صاحب السمو الملكي الامير عبد الله الفيصل

— صاحب السمو الملكي الامير سلطان بن عبد العزيز

— صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر

— صاحب الفضيلة امين عام المؤتمر الاسلامي

— صاحب الفضيلة امين عام رابطة العالم الاسلامي

وينضم اليهم كل سنة اثنان من هيئة الافتاء في بلدين اسلاميين مختلفين ، يختاران من قبل اللجنة الدائمة للجائزة ، وتتخذ القرارات بأغلبية اصوات الخامسين .

ويعتبر مؤهلا لاستلام جائزة الملك فيصل لخدمة الاسلام كل من قام بخدمة الاسلام والمسلمين وبجهد بارز يتعدى ما هو عادي ومفروض ، وينتج عنه فائدة ملحوظة للمسلمين تحقق هدفا او اكثر من الاهداف المنصوص عليها في حيثيات منح الجائزة . وذلك وفقا لتقدير وحكم هيئة الاختيار ، ويجوز ان يشترك في الجائزة اكثر من شخص واحد .

ويتم الترشيح لهذه الجائزة من قبل المنظمات والجمعيات والاتحادات الاسلامية في جميع انحاء العالم (لا تقبل ترشيحات الاحزاب السياسية)

المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية

● انعقد بالقاهرة يوم 14 اكتوبر الجاري المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الاسلامية الذي يشرف عليه الازهر الشريف بجمهورية مصر العربية وذلك بحضور ممثلي عدد كبير من البلاد العربية والاسلامية وقد ترأس المؤتمر الشيخ محمد حسنين مخلوف المفتي السابق للديار المصرية وعضو المجمع .

هذا وقد طلب اعضاء المؤتمر بضرورة دعم الازهر الشريف ومجمع البحوث الاسلامية من اجل الحفاظ على اللغة العربية وتراثها واصولها والاهتمام بها حتى تكون الدعامة في سياسة العالم الاسلامي الثقافية والتعليمية .

وطالب ادخالها في مناهج التعليم العام بالدول الاسلامية ، وتقرير المنح والجوائز لحفظة القرءان الكريم ولمن يؤلفون بالعربية من ابناء البلاد الاسلامية في فروع الدراسات الاسلامية ، كما طالب بضرورة حماية المجتمع بتطبيق الشريعة الاسلامية .

وقد الح المؤتمر على ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية على نطاق واسع باعتبارها المخرج الوحيد للازمات التي تعاني منها المجتمعات الاسلامية قاطبة .

100 مدرسة اسلامية جديدة في تركيا

● صرح السيد نجم الدين اربكان نائب رئيس الوزراء التركي انه تم افتتاح 100 مدرسة اسلامية جديدة في مجموع التراب التركي . وذلك لتعزيز التعليم الاسلامي وتنشيط الدعوة الاسلامية الصاعدة في البلاد .

وستتولى هذه المدارس المائة اعداد الائمة والدعاة والخطباء والمؤذنين .

ومن المعلوم انه توجد بتركيا 250 مدرسة اسلامية اضافة الى المائة الجديدة .

وقد اقيم بهذه المناسبة حفل كبير حضره نائب رئيس الوزراء والوزراء وسفراء الدول الاسلامية ومندوبون عن الهيئات الاسلامية في العالم الاسلامي .

وقد تحدث السيد نجم الدين اربكان عن دور تركيا في نصرة الاسلام ونشره في ربوعها منذ اكثر من الف سنة وكيف استطاع الدين الاسلامي رغم ما لاقاه المسلمون من اضطهاد من الصمود في وجوه الاعداء .

وقال : اننا نعيش اليوم في تركيا صحوة اسلامية كبرى . واضاف قائلا ان العالم الاسلامي اليوم يؤهل ليكون اكبر قوة من امريكا وروسيا بل اكبر قوة في العالم .

واشار الى وجوب انشاء سوق اسلامية مشتركة لتقوية العلاقات الاقتصادية بين المسلمين لان عالمنا الاسلامي الذي يبلغ مليار نسمة في حاجة ماسة الى مثل هذه السوق . واضاف قائلا نحن من المطالبين بانسحاب اسرائيل من كافة الاراضي العربية ، وحزب السلام الذي اراسه من المطالبين بالقطع التام للعلاقة مع هذه الدولة .

انشاء اول مركز اسلامي في ايطاليا

● في بداية العام القادم .. تبدأ في روما الاعمال لانشاء اول مركز اسلامي على الارض التي اهدتها حكومة ايطاليا للمغفور له الملك فيصل عاهل السعودية الراحل عند زيارته الرسمية لايطاليا .

وقد تكون للاشراف على بناء المركز الاسلامي في روما وادارته مجلس ادارة برئاسة السفير المصري الشافعي عبد الحميد سفير مصر لدى الفاتيكان ويضم المجلس سفراء السعودية والسودان والعراق وعمان والكويت والاردن وليبيا واندونيسيا وافغانستان وايران وتونس وباكستان والمغرب في روما .

وتقدر تكاليف المشروع باثني عشر مليونا من الدولارات اعلنت السعودية انها ستقدم منها سبعة ملايين دولار دفعت منها فعلا مليون دولار ونصف مليون دولار من كل من عمان والمغرب وتونس . وتقدم مصر مائة الف دولار وكل الخدمات الخاصة بالديكورات والزخارف الاسلامية الخاصة بالمركز الذي تتكلف مرحلة انشاءاته الاولى خمسة ملايين دولار .

المملكة العربية السعودية تدعم خطط وبرامج منظمة اذاعات الدول الاسلامية

● اكد الدكتور عبد العزيز محيي الدين خوجة وكيل وزارة الاعلام للشؤون الاعلامية في الحكومة السعودية ورئيس المجلس التنفيذي لمنظمة اذاعات الدول الاسلامية حرص وزير الاعلام السعودي على تدعيم المنظمة والنهوض بقدراتها المتبادلة والانتاجية، وقال ان هذا الحرص ينطلق من ترحيب المملكة الدائم بدعم مختلف الخطط والبرامج التي تخدم الاسلام والامة الاسلامية في جميع المجالات .

تفقد الاقليات المسلمة في رومانيا وبلغاريا

● وصل الى مكة المكرمة قادما من انقرة فضيلة الاستاذ صالح ادزجان عضو مجلس النواب التركي وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي .. وقد اجتمع فضيلته بسعادة الاستاذ محمد صفوت السقا امين الامين العام المساعد للرابطة وبحث معه نتائج الرحلة التي قام بها وفد الرابطة الى كل من رومانيا وبلغاريا لتفقد اوضاع الاقليات المسلمة فيهما ودعم احتياجاتها ومتطلباتها .

طبعة جديدة من الموسوعة العربية

● الموسوعة العربية الميسرة التي تخرجها مؤسسة فرنكلين باشراف كامل محمد فريد ستصدر قريبا طبعتها الثانية مزيدة بما طرأ من احداث منذ الطبعة الاولى .. راجعها فنيا محمود عزت موسى ولغويا علي فوده .

شعائر صلاة العيد من راديو باريس

● لاول مرة يذيع راديو باريس القرآن الكريم وخطبة وشعائر صلاة العيد ضمن برنامج خاص عن

احدى الدول العربية وقد تم ترجمة الخطبة الى اللغة الفرنسية .

والمعروف أن راديو باريس يهتم اهتماما كبيرا وكذلك التليفزيون بكل ما هو خارج فرنسا من خلال برامج يطلق عليها (عالم آخر) يطلع فيها المتفرج والمشاهد على البلاد الاخرى .

بعثة ازهرية الى النمسا لتدريس العربية والدين الاسلامي

● تم الاتفاق بين مجمع البحوث الاسلامية والجمعية الاسلامية فى النمسا على ارسال بعثة من مدرسي الازهر الذين يتقنون اللغة الالمانية الى مركز الجمعية بفينا لتدريس اللغة العربية والدين الاسلامي بالجمعية وذلك على نفقة الازهر .

ومعلوم ان الجمعية الاسلامية فى النمسا تقوم برعاية المسلمين النمساويين البالغ عددهم 50 الفا من الناحية الدينية . كما انها تقوم بنشر عدد من المجلات والنشرات وكتب التفسير للقرآن الكريم باللغة الالمانية .

معرض للفن الاسلامي بالنمسا ..

● يقام حاليا باحد القصور الثقافية باقليم بورجن لاند فى النمسا معرض كبير للفن الاسلامي . المعرض يضم مجموعة نادرة من القطع المصنوعة فى ايران والهند ومجموعة كبيرة من الاثيات الزجاجية واعمال فنية اخرى بالاضافة الى مجموعة متنوعة من سجاجيد الصلاة .

ادخال اللغة العربية فى مناهج الدراسات باسبانيا

● تدرس منظمة التربية والثقافة والعلوم مذكرة تلقتها من مدير مكتب جامعة الدول العربية فى اسبانيا حول تعزيز العلاقات العربية الاسبانية ، وتتضمن المذكرة مجموعة من الاقتراحات لتدعيم العلاقات الثقافية من بينها انشاء عدد من المراكز العربية فى مدن اسبانيا وادخال اللغة العربية ضمن برامج المدارس والجامعات .

كما تشمل المذكرة تبادل الاساتذة العرب والاسبان فى الجامعات العربية والاسبانية .

اجتماع مجلس امناء المركز الاسلامي

● انعقد مؤخرا بالخرطوم اجتماع مجلس امناء المركز الاسلامي . وحضره ممثلو الدول المساهمة فى تأسيس المركز .

اسلام الشاعر القروي

● يبلغ الشاعر الآن الثالثة والتسعين وهو الرجل الذي عرفته المهاجر الامريكية كأحد وجوهها اللامعة، كان يراس « العصبة الاندلسية » ، كما تراس تحرير مجلة « الرابطة الوطنية السورية » التي كانت تصدر ايضا بامريكا .

كتب الشاعر القروي وصيته وفيها يقول انه مسلم ايشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) وانه يريد ان يموت على دين الرسول العربي ؛ كما عاش ؛ انسجاما مع نفسه ومع تاريخه ..

وقد احب الشاعر القروي الاسلام عن طريق حبه الصوفي للعروبة ؛ اذ انتهى به هذا الحب الى الاعلان انه من اجل هذا الحب يريد ان يموت على دين الرسول العربي .

● شهريات ـــ الفكر والثقافة

المغـــــــرب :

● انعقد المؤتمر الثالث للجمعية الافريقية للعلوم السياسية بالرباط من ـ 22 ـ الى ـ 26 ـ سبتمبر الماضي تحت الرئاسة الشرفية لصاحب الجلالة الملك الحســـن الثانـــي ، انتهـــى بانتخـــاب مكتبه الجديد والمصادقة على توصية نهائية .

ولقد انتخب المشاركون بالاجتمـــاع المغـــرب رئيسا للجمعية المذكورة في شخص : الأستاذ محمد البوزيدي رئيس الجمعية المغربية للعلوم السياسية كما انتخبوا أعضاء مكتب الجمعية على الشكل التالي :

— نائب الرئيس : شمويارير أ من (زيمبابوي)
— الكاتب العام : موشيي من (تانزانيا)
— نائب الرئيـس : عن شرق افريقيا : تافوديري من (أوغندا)
— نائب الرئيس عن افريقيا الوسطى : ريتوغي من (الكامـــرون)
— عضو اللجنة التنفيذية : تولي من (نيجيريا)
— نائب الرئيس عن غرب افريقيا : هانس من (غانا)

كما صادق المؤتمرون على توصيـــة نهائيـــة يعبرون فيها لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عن شكرهم وامتنانهم لقبول جلالته رئاسة هذا اللقاء العلمي الهام وعلى المساندة المادية والمعنوية التي قدمها المغرب لهذا المؤتمر مما ساعد على انجاحه

— تعبر التوصية عن شجب علماء السياسة في افريقيا لممارسة القوى الامبرياليـــة في البلـــدان الافريقية ونهب ثرواتها وخلق الأزمة في اقتصادياتها

— كما يطالبون وضع نظام اقتصادي عالمـــي جديد تسوده العدالة والمساواة وممارســـة الدول الافريقية لسيادتها على خيراتها الوطنية .

وتعبر المشاركون عن مساندتهـــم المطلقـــة للشعوب الافريقية في نضالها ضد القوى الامبريالية وشعب فلسطين في مقاومته للصهيونية والامبريالية وشعوب جنوب القارة الافريقية في كفاحها ضـــد الاستعمار والعنصرية .

وأعربت التوصية في الاخير عن تأييد المؤتمرين ومساندتهم للتعاون العربي الافريقي .

● اصدرت وزارة البريد يوم الاثنيـــن 26 شوال 1397 الموافق 10 أكتوبر 1977 طابعا بريديا تاريخيا من فئة 70ر0 درهما يحمل اسم (الذكرى المائوية لقائد الاعظم علي جناح الباكستاني)

● نشرت الجريدة الرسمية في عددها ليوم 10 أكتوبر نص ظهير شريف بمثابة قانون يقضي بتأسيس أكاديمية المملكة المغربية التي ستوضع تحت اشراف وتبني جلالة الملك نصره الله وتعنى بتنمية البحث في مختلف فروع المعرفة الانسانية الواسعة .

● افتتح مساء يوم السبت 22 اكتوبر بقاعة وزارة الثقافة المؤتمر الخامس للمجمع العربي للموسيقى بمشاركة وفود اغلبية الدول العربية . وقـــد ترأس الجلسة الافتتاحية السيد محمد العربي الخطابـــي وزير الاعلام نيابة عن السيد امحمد با حنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية .

وقد اختير الدكتور عباس الجراري رئيســـا للمؤتمـــر .

● احيت الشاعرة السورية الاستـــاذة طلعـــت الرفاعي والشاعر العراقي الاستاذ عبد الرزاق عبـــد الواحد امسية شعرية رائعة بقاعـــة وزارة الثقافـــة مساء يوم الجمعة 21 أكتوبر .

● كتاب الدكتور عبد الله العروي الذي صدر منذ مدة باللغة الفرنسية عن دار النشر ماسبيرو ستصدر ترجمته العربية عن المؤسســـة العربية للدراســـات بلبنـــان .

● اصدرت وزارة الدولة المكلفـــة بالشـــؤون الثقافية كتاب « المختار من شعر شعراء الاندلس » من تصنيف أبي القاسم علي بن المنجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي . وقام بالتحقيق الكاتـــب العراقي الاستاذ هلال ناجي .

صدر الكتاب عن مطبعة فضالة .

● صدر للدكتور التهامي الراجي الهاشمي كتاب : « خلافات القراء بالمغرب والانـــدلس » . وهـــي اطروحته التي نال بها شهادة الدكتوراه في أوائل الســـبعينـــات .

● شهريات الفكر والثقافة

تـــــونس :

● شهدت تونس اخيرا معرضا للخـــط العربـــي اشتمـــل علـــى مخطوطـــات مـــن المصاحـــف النادرة التي تحتفظ بها دار المكتبـــة الوطنيـــة ، منهـــا : (مصحف فاطمـــة) حاضنـــة الاميـــر باديس الصنهاجي والتي توفيت عام 420 هـ واوقفت مصحفها هذا على جامع القيروان ، الى جانب نسخة مصورة من المصحف الوحيد بخط ابن البواب الذي انجزه عام 391 هـ . اما الاصل فهو موجود بمكتبة (تشستر بيتي) بدبلن (ارلندا) .

ومن المصاحف المعروضة مصحف قـــرآن كتب بخط نسخي حوالي سنة 12 هـ .

اما المخطوطات فهي كثيرة منها : تفسير القرآن ليحيى بن سلام المتوفى عام 200 هـ ثم نسخة من « الجامع الصحيح » للامام البخاري في 20 جـــزءا بخط محمد بن محمد الصدام القيرواني الذي انهى نسخه عام 1086 ، كذلك نجد نسخة من « الجامع الصحيح » للامام محمد بن اسماعيل البخاري وهي نسخة مغربية .

● « نظرية ابن خلدون في علم الاجتماع » كتاب الدكتور علي الوردي الذي صدرت طبعته الاولى منذ ازيد من عشرين سنة ، صدرت طبعة جديدة منه عن دار النشر التونسية .

ليبيـــــا :

● بدأت في الاسبوع الاخير من شهر سبتمبـــر اشغال مؤتمر الادباء العرب الحادي عشر ، ومـــن ابرز المواضيع المدرجة في جدول اعمال المناقشة قضية فلسطين والادب المعاصر واللغـــة العربيـــة الفصحى والعامية والمسرح والتـــراث والحريـــات الادبية في الوطن العربي وحماية الاديب من العجـــز والشيخوخة والترجمة والاشكال الادبية المختلفة . واعقب المؤتمر لقاءات شعرية وقصصية .

هذا وشارك المغرب في المؤتمر ممثـــلا في اتحاد كتاب المغرب الذي ترأس وفدا عنـــه رئيس الاتحاد الاستاذ محمد برادة .

● « كتاب الشهر » تحت هذا العنوان يصدر عن الدار الليبية للنشر كتاب جديد ابتداء من مطلـــع السنة القادمة ، يتناول الكتاب مختلف الجوانـــب الثقافية والعلمية ويعالج موضوعا واحدا .

مصـــــــر :

● صدرت بمصر رسالة الماجستير للاستاذ السيد احمد عبد المجيد هريدي بعنوان : (كتاب المقصور والممدود لابي علي القالي ، وثـــرات المقصـــور والممدود في اللغة العربية) الكتـــاب يقـــع في 130 صفحة من الحجم المتوسط العادي .

ومما يجدر الاشارة اليه ان الكاتـــب اشار في صفحة 112 الى انه استطاع « بفضل جلالـــة مولاي الملك الحسن الثاني ملك المغرب حفظه الله حصلت على نسخة من الميكروفيلم .. »

● فازت السيدة سعاد علي صبر الرازق برتبـــة الشرف الاولى في الدكتوراه عن موضوعها :

(التصوف عند ابي القيم) بجامعـــة القاهرة . وبذلك تصبح اول سيدة تحصل على الدكتـــوراه في (التصوف الاسلامي) .

● كرمت مصر الاديب والمفكر الكبير علي ادهـــم (80 سنة) باهدائه وسام العلوم والفنون والآداب. كتب علي ادهم في التراجم والسيـــر والدراســـات التاريخية والادبية والفلسفية والدينية وله عدة اعمال مترجمـــة .

● « القصة القصيرة : دراســـة ومختـــارات » تاليف الدكتور الطاهر احمد مكي استـــاذ الادب ، يشمل الكتاب قسما للدراسة وضم مختارات مـــن القصة القصيرة العربية والاجنبية . يعتبر الكتـــاب دراسة شاملة لتاريخ القصة منبعا لاصولها الاولى .

● شهريات الفكر والثقافة

● صدرت عن دار الاهرام مجلة شهرية جديدة بعنوان : الشباب والمستقبل ، وهي مجلة علمية يراس تحريرها صلاح جلال .

● « رحلة مع الظرفاء » تاليف الاستاذ أحمد عبد المجيد يعالج الفكاهة معالجة شاملة فى ضوء علم النفس والادب والمسرح والشعر والرسامين والكتاب، ثم يقدم فصولا للفكاهة عند الكتاب فى الشرق والغرب وحديثا عن مجالس الظرفاء واستخدام الفكاهة فى النقد الاجتماعي . الكتاب صدر عن دار المعارف فى سلسلة « اقرأ » .

● اصدرت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد كتابها الجديد « شعب وشاعر » وهو دراسة عن شاعر تونس ابو القاسم الشابي .

● « نصوص من النقد الادبي » احدث ما الفه الدكتور محمود الربيعي استاذ النقد الادبي . يتضمن الكتاب سبعة نصوص وهي على التوالي لمحمد بن سلام الجمحي وان قتيبة وابن طباطبا العلوي وقدامة ابن جعفر والقاضي الجرجاني والآمدي وابن رشيق القيرواني .

الكتاب فى 82 صفحة ، قطع كبير صدر عن دار المعارف .

● شرعت دار المعارف المصرية فى اصدار سلسلة ثقافية أسبوعية تتناول الثقافة العامة باسم : « كتابك » العدد الثالث صدر من السلسلة بعنوان : « شريعة الله وشريعة الانسان » للاستاذ علي منصور وفيه يوضح المؤلف كيف سبق الاسلام بشريعته قواعد القانون الدولي فى تنظيم العلاقات الدولية فى الحرب والسلم ، وفى تقريره لحقوق الانسان ونشر العدل بين البشر .

● يعد اقبال محمد هيكل رسالة دكتوراه عن : دراسة مقارنة للوضع القروي فى القصة المصرية الحديثة ـ عبد الرحمن الشرقاوي وأعماله الادبية . وستقدم الاطروحة فى جامعة اكستر بانجلترا باشراف الدكتور سمارت استاذ الادب المعاصر في تلك الجامعة .

ومن اشهر روايات ع. الشرقاوي رواية : « الارض » التي ترجمت من بين كتبه العشرين الى 15 لغة من بينها الصينية والانجليزية والروسية والالمانية كما ترجم الى الانجليزية كتابه : « محمد رسول الحرية » والى الفرنسية مقالات عديدة عن آرائه فى الفكر الاسلامي .

● « اصول الشعر الجاهلي » كتاب جديد يصدر هذا الشهر من تاليف المستشرق البريطاني مرجيليوث ترجمه الى العربية الدكتور يحيى جبوري. ومن الجدير بالذكر ان الدكتور طه حسين اعتمد على مرجيليوث فى فكرة الانتحال لدى تأليفه كتابه : « فى الشعر الجاهلي » .

● صدرت طبعة جديدة مصححة ومعلق عليها من كتاب « الاسلام » للاستاذ سعيد حوى من سلسلة شهرية .

● « القرءان واعجازه التشريعي » عرض شامل للتشريع الاسلامي للاستاذ محمد اسماعيل ابراهيم صدر عن دار الفكر العربي .

ولنفس المؤلف صدر عن نفس الدار كتاب : « مع الله : بالتوحيد والتسبيح والتمجيد والمناجاة»

● تعيد « دار الشعب » طبع مؤلفات الكاتب الاسلامي الكبير عبد الرزاق نوفل . الكتاب الاول صدر هذا الشهر وعنوانه : « الله والعلم الحديث »

● عن دار الهلال صدر الشهر الماضي كتابان مترجمان : الاول للفيلسوف البريطاني برتر اندرسل بعنوان : « الوصول الى السعادة » ، ترجمه نظمي

● شهريات الفكر والثقافة

لوقا . والكتاب الثاني للروائي الروسي دستويفسكي بعنوان : « الزوج الابدي » ترجمه الاديب السفير المرحوم سامي الدروبي الذي ترجم اعمال دستويفسكي الروسي .

سوريا :

● وصلت الى المغرب النسخة الكاملة من كتاب : (سلسلة الاحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها) للاستاذ محمد ناصر الدين الالباني الدمشقي .

السلسلة تقع في مجلدين ضخمين ، تضم الف حديث ، وفي الف وخمسمائة صفحة من الحجم المتوسط في ورق ممتاز وتبويب مبسط .

● « أوراق مهملة » مجموعة شعرية صدرت للشاعر رشيد ياسين وهو من منشورات اتحاد الكتاب العرب . يحتوي الديوان على 28 مقطوعة شعرية .

العراق :

● صدر للدكتور خليل ابراهيم العطية المدرس بجامعة البصرة كتاب : (بقية التنبيهات على أغاليط الرواة) لعلي بن حمزة البصري المتوفى سنة 375 للهجرة .

وكان كتاب التنبيهات على اغاليط الرواة صدر ناقصا بتحقيق الشيخ عبد العزيز الميمني .

وقد توفر الدكتور العطية على تحقيق بقية هذا الكتاب معتمداً على نسختين احداهما جديدة لم يرها ـ الميمني ـ

وتنبع اهمية هذا الكتاب من كونه يعد من اهم اثار العرب في النقد اللغوي ـ ويشتمل على تنبيهات البصري عن نوادر الكلابي الشيباني والدينوري .

● ويصدر لعبد الرحيم محمد علي ا الشيخ كاظم الدجيلي) صاحب مجلة (لغة العرب) وذلك ضمن سلسلة ـ اعلام العراق ـ .. ويستعد ايضا لدراسة عن الاديب محمد علي البلاغي صاحب مجلة (الاعتدال) .

سبق أن صدر عن هذه السلسلة « خليل عزمي الاديب والاداري » .

● صدر حديثا من مطبوعات وزارة الاوقاف العراقية المجلد الاول من كتاب (فقه الاوزاعي) بتحقيق الدكتور عبد الله محمد المدرس بكلية الامام الاعظم .

● عثرت هيئة تحر اثارية في بعض نقط حصن العاصمة الاشورية في محافظة نينوى بالعراق على مجموعة كبيرة من رؤوس السهام المدببة يعتقد انها تعود الى حارس الملك الاشوري شلمنصر اضافة الى ازرار نحاسية وكؤوس صغيرة للشرب مع عدد من المسارج .

● توفي في بغداد العلامة العراقي الكبير الدكتور ناجي معروف العبيدي . ترك العلامة الفقيد اكثر من أربعين مؤلفا كلها في سلسلة التراث العربي والاسلامي لعل أهمها سلسلة من عشرة مجلدات ، صدرت منها ثلاثة مجلدات ، رد فيها على المؤرخ العربي الشهير ابن خلدون واثبت بطلان نظريته القائلة بان جل العلماء المسلمين من الموالي ، أي من غير العرب ، واوضح من خلال هذه السلسلة عروبة العلماء الذين نسبوا الى مدن او اماكن غير عربية بحكم وجودهم فيها ، في حين أنهم من أرومة عربية .

● صدرت في بغداد المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر المرحوم شاذل طاقة ، قام بجمع الديوان واعداده سعد البزاز وتحتوي المجموعة على الدواوين التالية : المساء الاخير ـ ثم مات الليل ـ الاعور الدجال والغرباء ـ السندباديات .

● شهريات الفكر والثقافة

● الجزء الثاني من كتاب الدكتور عبد الاله الاحمد « الادب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية » صدر ضمن سلسلة الكتب الحديثة عن وزارة الاعلام . في هذا الجزء يدرس المؤلف القصة الفنية في العراق ، مبينا ابرز سماتها وملامحها ، كما يدرس المضامين والاتجاهات الفكرية ، ثم القصص الطويلة .

● احتفلت الاوساط الادبية في العراق بالذكرى المائوية للشاعر العراقي المرحوم معروف الرصافي 1877 – 1945 . له ديوان طبع ثلاث مرات ومؤلفات نثرية .

● « ذاكرة المدينة » مجموعة قصصية لعبد الرحمن مجيد الربيعي تصدر طبعتها الثانية عن « الدار العربية للكتاب » . الطبعة الاولى صدرت منذ أزيد من عام .

● أصدرت مجلة التراث الشعبي العراقية ملحقا في كتيب مستقل عن « الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الاسلامية والمراقد المقدسة » من اعداد شاكر هادي غضب .

باكستان :

● تحتفل الباكستان خلال شهر دجنبر المقبل بالذكرى المائوية لميلاد شاعرها القومي محمد اقبال وقد وجهت الدعوة الى اكثر من (200) عالم وشاعر من جميع انحاء العالم للمشاركة في مؤتمر دولي يستمر اسبوعا لاحياء ذكرى الشاعر الذي الف حول حياته اكثر من ثلاثين كتابا .

الصومال :

● قرر الصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الافريقية والعربية تقديم معونة الى الصومال قيمتها مليون و 83 الفا و 75 دولارا .

تتضمن هذه المعونة ايفاد ثلاثة خبراء لتطوير مناهج التدريس بالعربية بكلية التربية الصومالية و 61 مدرسا للتدريس باللغة العربية في التعليم العام و 25 منحة دراسية للمعلمين الصوماليين الى كليات التربية بالدول العربية ، وكذلك انشاء معهد لتعليم الالة الكاتبة باللغة العربية بالعاصمة الصومالية « مقديشيو » .

الهند :

● صدر في الهند كتاب جديد من جزاين بعنوان « مجد العرب واحزانهم » للدكتور الشيخ محمد اقبال .

الجزء الاول من الكتاب يعرض الحياة الاسلامية في المملكة العربية السعودية ، والجزء الثاني يتحدث عن مشكلة فلسطين واثرها على العالم العربي .

المؤلف احد المفكرين المسلمين البارزين في الهند وله صلات وثيقة مع عدد من الشخصيات العربية .

امريكا :

● صدرت في الولايات المتحدة الامريكية الطبعة الثالثة من كتاب (الولايات المتحدة والعالم العربي) لمؤلفه وليام بوك استاذ التاريخ ومدير مركز دراسات الشرق الاوسط بجامعة شيكاغو .

يحتوي الكتاب على تاريخ الدول العربية منذ صدر الاسلام الى وقتنا الحاضر مركزا على فترة ما بين الحربين الاولى والثانية وتاثير وعد بلفور على امن المنطقة . حيث اشاد المؤلف بمقدرة البلاد العربية وتاكيد اهمية البترول كسلاح في الحرب .

فرنسا :

● ظهر الجزء الثالث من كتاب : « الحضارة العالمية ووضع الزنوج وطبيعتهم » والذي قام بتاليفه

الشاعر ليوبولد سيدار سنغور رئيس جمهورية السينغال ، والذي يتناول فيه علاقة الانسان بالانسان وعلاقته بالعالم من حوله . في هذا الجزء الجديد يتحدث سنغور عن ثقافة الزنوج وانسانيتهم كما يقدم تعريفا للزنوج والتجديد الذي طرأ عليهم مطالبا بعدم عزل العنصرية لافريقيا السوداء عن الحضارة العالمية . ثم يشيد في نهاية كتابه بانسانية القرن العشرين التي تعبر في الواقع عن حضارة العالم لانها تحاول ربط الشعوب ببعضها بعيدا عن العنصرية .

● صدر في باريس الكتاب الاول من سلسلة جديدة قررت دار البان ميشال اصدارها بعنوان : (حضور العالم العربي) .

عنوان الكتاب (تجربة الشرق) وهو من تاليف رينة تافرنييه .

مساندة جامعة جنيف للدكتور رشدي فكار

● استطاع المفكر الدكتور رشدي فكار الاستاذبجامعة محمد الخامس بالرباط واول عربي يرشح لجائزة نوبل في الآداب . ان يحصل للعالم العربي الاسلامي على نصر ادبي كبير .

وذلك بحصوله على مساندة لترشيحه للجائزةمن جامعة جنيف وهي الجامعة التي ساندت العالم الرياضي العظيم اينشتين في حصوله على جائزة نوبل

وقد جاء في الرسالة التي وجهها برنار عميدكلية الآداب بجامعة جنيف الى الامين الدائم للاكاديمية السويدية التي تمنح الجائزة ، ان جامعةجنيف ما كاد يبلغها ان الدكتور رشدي فكار الذي يعمل استاذا زائرا بها مرشح لجائزة نوبل في الآدابوان هذا الترشيح قد تم في اكتوبر 1976 بمساندة قمة الهيئات والمؤسسات الثقافية في العالم تبادربمساندة هذا الترشيح وتتمسك به بحرارة وذلك ـ كما تقول رسالة عميد كلية الآداب بجامعة جنيف ـ لان البروفسور رشدي فكار المفكر العربي الاسلامي قد ساهم باعماله الفكرية خاصة اعماله في جامعةجنيف في خلق التقارب والتفاهم بين الثقافات والحضارات الاوربية والعربية وانه ما زال على عهدهفي الدفاع الدائم عن القيم الروحية في عالم تسلطت عليه الماديات والمصالح .

ولا شك ان مساندة جامعة جنيف التي تعدواحدة من الجامعات الخمس الكبرى في العالم لها قيمتها الادبية عند حلول موعد التحكيم لنيل الدكتورفكار للجائزة الذي سوف يتم في اكتوبر عام 1979 .

وقد اعلن في هذا الاسبوع رفع قيمة جوائزنوبل بمقدار عشرين الف كورونة سويدية .. وبمعنى آخر اصبحت قيمة الجائزة تعادل ما يساوي 200 الف دولار .